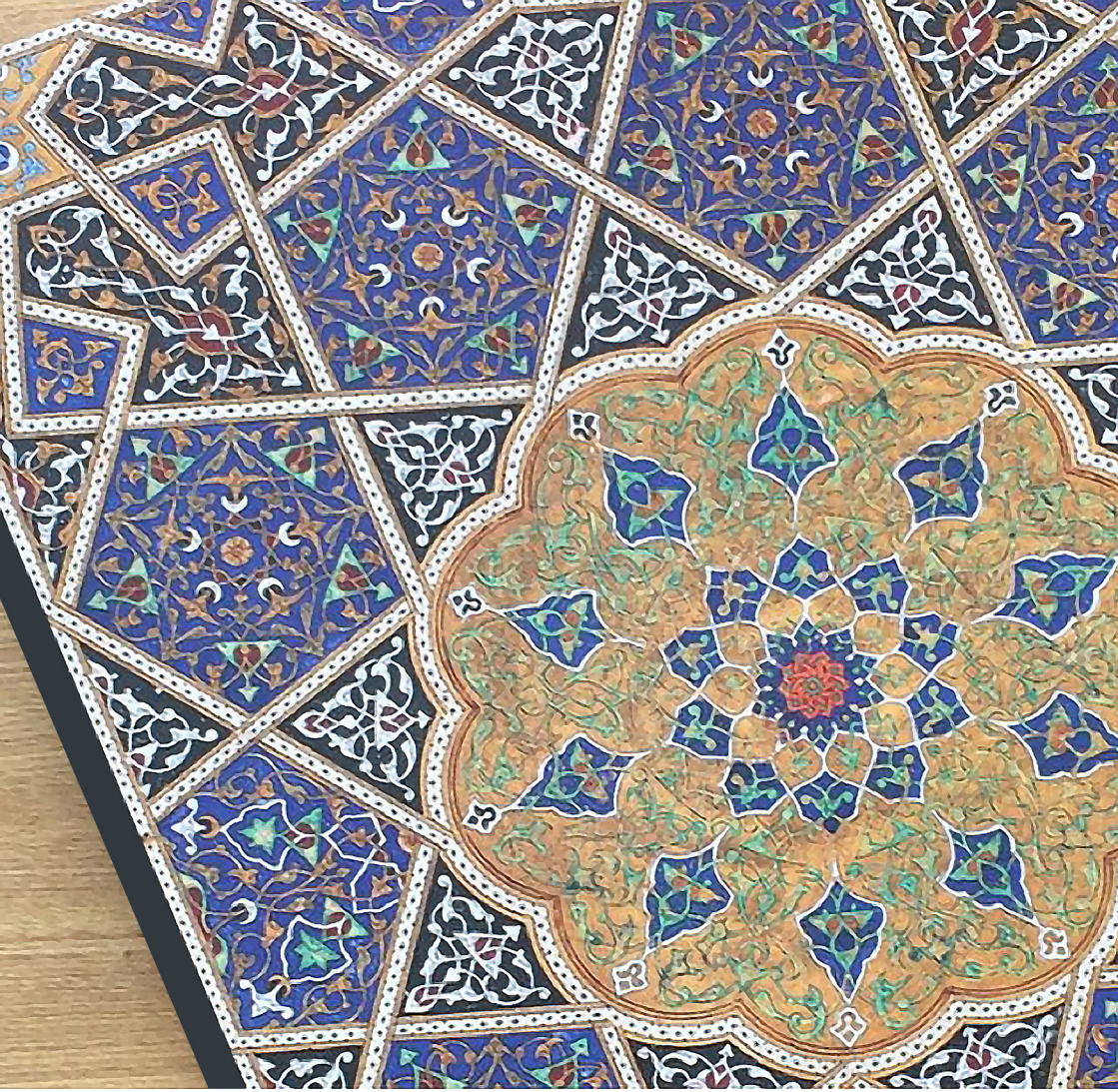




تأملات في خطبة المتقين

ساحة آية الله الشهيد الشيخ نمر باقر النمر قدس سره





هوية الكتاب:

الكتاب: تأملات في خطبة المتقين

المؤلف: سماحة آية الله الشهيد الشيخ نمر باقر النمر

الطبعة: الأولى 1440 هـ - 2019 م

الناشر: مؤسسة الشهيد آية الله النمر العالمية

موقع الشهيد النمر www.skner.com

تأملات في خطبة المتقين

سماحة آية الله الشهيد الشيخ نمر باقر النمر قدس سره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ①
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ②
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③
مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ④
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤
اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ⑥
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ
عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦

المقدمة

الشهيد الفقيه النمر

وصفات المتقين

لدينا مفردات تحتاج إلى كتاب ضخم لنستوفيها حقها من البحث..

فالتقوى؛ هي باب الدخول إلى رضا الباري عز وجل في كل الأعمال، إذ قال الله في محكم التنزيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

وكان أمير المؤمنين سلام الله عليه يقول: «لا يقل عمل مع التقوى وكيف يقل ما يُتقبل؟»^(٢).

فالتقوى هي الميزان في الأعمال، والمنقذ في المال لأن الله تعالى قال: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٣).

وقال ربنا بما هو أوضح وللصدور أشرح: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) آمالي الشيخ المفيد: ج ١ ص ١٢٢.

(٣) الزمر: ٦١.

أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿١﴾.

والتاريخ يُحدثنا عن عبد الله تقي من الأتقياء جاء إلى سيد الأوصياء، وإمام الأولياء، أمير المؤمنين وأسوة المتقين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام وطلب منه وصفاً للأتقياء، فخشي عليه وخاف أن تقضي عليه، ألح عليه بالطلب وكأن روحه قد اشتاقت بل وتاقت إلى ما وعد الله المتقين من النعيم المقيم في داره دار السلام، وجواره جوار الرب العلام..

فقال عليه السلام: «يا همام، اتقِ الله وأحسنْ فـ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾» (٢).

ولكن همام أصر، فاستجاب له الأمير عليه السلام بعد إصرار منه، فبدأ بوصف أولئك النخبة من الخلق بقوله: «الْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُّعُ».

إلى أن يقول عليه السلام: «بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لَيْنٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ».

قال: فصعق همام رحمه الله صعقةً كانت نفسه فيها.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ».

ثم قال: «هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا؟».

نعم؛ كلام الأمير أمير الكلام، وفعله في قلوب المتقين، كفعل حسامه في

(١) الطلاق: ٣.

(٢) النحل: ١٢٨.

رؤوس المشركين المعاندين، فالسلام على معلم الإنسانية حقيقة الدنيا لدى المتقين حيث يقول ﷺ فيها: «أَرَادَتْهُمْ الدُّنْيَا وَلَمْ يُرِيدُوهَا، وَأَسَرَّتْهُمْ فَفَدَّوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا».

وهكذا نجد -مَنْ نحن في حضرته- الفقيه الشهيد آية الله نمر باقر النمر الذي قضى نجه بسيف الغدر الصهيوي وهابي لحملة لفكر الإمام علي ﷺ، وروح ثورة ولده السبط سيد الشهداء الإمام الحسين ﷺ حيث قام وقال كلمة حق بوجه سلطان جائر ظالم بكل معنى الكلمة..

ومن كلمات وخطب الشهيد السعيد أنه تناول هذه الخطبة لأمر المؤمنين ﷺ بوصفه للمتقين، فشرحها وعلق عليها بكلماته وآرائه النيرة، ومواقفه البطولية الرائعة، فجاءت هذه السلسلة من الدروس الأخلاقية والتربوية بلسانه وصوته رحمة الله تعالى عليه وحشره مع المتقين محمد وآله الطاهرين.

جمعتها المؤسسة هنا ووضعها لمزيد الفائدة منها، وليتشر النور من قلب الديجور، فليل الظالمين حالك وقلوبهم الحاقدة أحلك وأسود، ولا بدّ من انفجار عمود الصبح مؤذناً بولادة يوم جديد للعالم ينتهي فيه الظلم، ويذهب الظالمون إلى مزابل التاريخ، لأن سُنَّة الله الحاكمة هي خلود الأتقياء، ولعنة الأشقياء ولن تجد لسنّته تحويلاً أو تبديلاً..

فالفقيه الشهيد كان تقياً عالماً بَرّاً وقيّاً لدينه وعقيدته وقائداً صالحاً لأُمته، أرادته الدنيا فرفضها في ظلّ حاكم ظالم جائر، بل وقف وقفة البطل وطالبه بالحقوق المشروعة، والمعاملة بالقسط والعدل، وإلا

فليعتزل عنهم ليختاروا الحاكم الصالح لهم لينبأ دولتهم المستقلة في المنطقة الشرقية أو ما يسمى البحرين الكبرى..

فكان الشهيد بحق صرخة المظلومين، ونداء الضمائر الحرة في ذاك البلد الذي اغتصبتة عصبة يهودية بالحديد والنار وتسلمت عليه فسلبته كل ما فيه من خيرات وبركات ومقدرات فوق الأرض وتحتها ووضعها كلها في خدمة الصهيونية العالمية، وكفّرت الأمة الإسلامية كلها خدمة لمشروع الاستكبار العالمي الجديد الهادف إلى دفن الإسلام وإبادة المسلمين وقتلهم وتدميرهم حتى لا تقوم لهم قائمة من جديد، لأن كل البشائر تشير إلى قرب ولادة فجر جديد على العالم عنوانه العريض الإسلام العظيم، وشريعته السمحة، وقرآنه الحكيم، ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله..

فالرحمة والرضوان على روح الشهيد السعيد آية الله المجاهد الشيخ نمر باقر النمر، والخزي والعار للمجرمين القتلة..

مؤسسة الشهيد آية الله النمر العالمية

◀ تأملات في خطبة المتقين (١)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.

قال الله العظيم، في محكم كتابه الكريم، بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾^(٢).

وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٣)، آمناً بالله، صدق الله العلي العظيم.

خطبة المتقين التي يُبين فيها الإمام عليه السلام صفات المتقين، هي من أهم الخطب التربوية العالية جداً؛ لذلك كان من الضروري أن نتأمل تلك المعاني بإمعان، ونسعى لإيجاد تلك الصفات في أنفسنا.

وفي شهر رمضان: شهر الخير والبركة، شهر الطهارة والنقاء؛ حري بنا أن نغتني الفرصة لبلوغ أعلى درجات التقوى، لأن الهدف الأسمى لتشريع

(١) سورة البقرة: ١٩٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٣) سورة التغابن: ١٦.

ذلك الشهر هو بلوغ التقوى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا
كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ لماذا؟ ما هي العلة؟
﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(١)، الهدف إذن هو التقوى.

إذن شرعت العبادات أجمع من أجل بلوغ التقوى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا
رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ لماذا نعبد الله؟
﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢)، فالتقوى هي الهدف الذي يسعى ويبتغيه الإنسان
المؤمن العاقل.

لذلك أحد طرق بلوغ التقوى هي معرفة صفات المتقين، إذا عرف
الإنسان تلك الصفات واتّصف بها أصبح من المتقين، وبالتالي يبلغ درجات
التقوى.

طبعاً الخطبة هي عبارة عن طلب من أحد الأتباع الخالص للأمير عليه السلام:
وهو همام، طلب من الأمير عليه السلام أن يُبين له صفات المتقين؛ فأمره الإمام
بالتقوى والإحسان، وأن هذه الصفات صفات عظيمة، فلا داعي لذكرها
في هذا الوقت.

أصر همام لشغفه وحبه للمتقين، وأصرّ على الإمام أن يُبين له وألح عليه،
فاستجاب له الإمام؛ فبعد أن خطب الإمام خطبته، صُقع همام صقعاً كادت
فيها روحه أن تزهق؛ فقال الأمير عليه السلام: «هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ

(١) سورة البقرة: ١٨٣.

(٢) سورة البقرة: ٢١.

بِأَهْلِهَا؟»^(١)، بمعنى أنه كان من المتقين.

نحن نسعى لتكون من أهل التَّقْوَى، الآيات التي تَوَجَّهَتْ بها الحديث: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(٢)، الإنسان بشكل طبيعي دائماً وأبداً يبحث عن مُقَوِّم لبقاء حياته: زاد يُقَوِّم وَيُتَّقِي ويحافظ على حياته.

والمسافر لا بدّ أن يبحث عن الوقود، يتزود حينما يكون الطريق طويلاً، فلا توجد محطات للتزود من الوقود، من مكان انطلاقه يتزود؛ يوجد حافلات كبار عندهم قُرب مليئة بالوقود، حتى لو تعطل في الطريق ولم يجد، هذا لا يتعطل في الطريق ويتوقف؛ هذا زاد الإنسان.

نحن في هذه الدنيا في سفر، والطريق بعيد كما يقول الأمير عليه السلام؛ الطريق بعيد من هنا إلى بلوغ تلك الجنان مسافة، تحتاج إلى تزود؛ ما هو الزاد؟

القرآن يقول: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^(٣)، خير الزاد يتزود به لبلوغ هدفه، ويختتم حياته في الخير، وضمان الفلاح: هو التَّقْوَى.

ولذلك في آية أخرى يقول: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾^(٤)، التقاة حَقَّ تقاته، يعني كلَّ التَّقْوَى، ما يستحق من التقوى، لا بدّ أن يبلغ الدرجة العليا.

تارة أبلغ هذه الدرجة، الدرجة التي يريدّها الله من الإنسان؛ فبالتالي نحن بحاجة إلى أن نبلغ الدرجة العليا من التقوى بقدر ما نتمكن «فَإِنْ لَمْ أَكُنْ أَهْلًا

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، ت. الحسون ص: ٤٨٣.

(٢) سورة البقرة: ١٩٧.

(٣) سورة البقرة: ١٩٧.

(٤) سورة آل عمران: ١٠٢.

أَنْ أَبْلُغَ رَحْمَتَكَ، فَإِنَّ رَحْمَتَكَ أَهْلٌ أَنْ تَبْلُغَنِي»^(١)، فبالتالي نحن قد لا نكون أهلاً لبلوغ الدرجة العليا القصوى من التقوى.

الله سبحانه وتعالى في آية أخرى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٢)، يعني ابذل كل طاقة تستطيعها لبلوغ التقوى، كل قدراتك، كل إمكانياتك، كل ما تملك، كل ما تستطيع من أجل بلوغ التقوى.

أنت لا تقدر أن تبلغ الدرجة العليا، لكن ابذل ما تستطيعه؛ ولذلك يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٣)، بأي مقدار تستطيع، لا يوجد إنسان إلا ويملك القدرة على بلوغ درجة من درجات التقوى؛ لا يتمكن كل إنسان من أن يبلغ الدرجات العليا، إن كان الأمر مهياً للجميع؛ لكن هذا الإنسان لا يتمكن، لكن بإمكانك أن تبلغ درجة، ولذلك ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾^(٤).

لذلك نحن استجابة لتلك الآيات، واستجابة لتحقيق فلسفة الصوم، وفلسفة العبادات؛ نبدأ بشرح تلك الكلمات والمعاني، والهدف منها في الواقع: التطبيق.

الخطبة الهدف من شرحها تطبيقها، ليس من أجل معلومات؛ المعلومة اكتسابها إن لم ينعكس على الواقع لا قيمة لها، بل تكون وبالاً على صاحبها. تلك المعلومة إذا لا يُطبّقها الإنسان ستكون وبالاً، لأنّ الإنسان الذي يعلم بالتكليف ولا يُطبّقه يُعاقب أكثر ممن لا يعلم.

(١) إقبال الأعمال (ط: القديمة) لأبن طاووس، ج: ١، ص: ٩٨.

(٢) سورة التغابن: ١٦.

(٣) سورة التغابن: ١٦.

(٤) سورة التغابن: ١٦.

الله سبحانه وتعالى يغفر للجاهل، طبعاً الجاهل القاصر، ليس الجاهل المقصر؛ بل القاصر لم يتمكن من العلم، لم يكن لديه قدرة على التعلم، أما إن كان هو لا يريد أن يتعلم؛ مساجد مفتوحة لا يدخلها، هذا لا يُسمى جاهلاً قاصراً بل هذا جاهل مُقَصِّرٌ ويُعاقب؛ لكن بفضل الله: «يُغْفَرُ لِلْجَاهِلِ سَبْعُونَ ذَنْباً» حتى هذا المقصر أُرِيتُم هذا المقصر، الذي لا بد أن يتعلم ولم يتعلم؟

«إِنَّهُ يُغْفَرُ لِلْجَاهِلِ سَبْعُونَ ذَنْباً قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لِلْعَالِمِ ذَنْبٌ وَاحِدٌ»^(١)، لذلك الهدف هو التطبيق، وليس اكتساب المعلومة؛ وليس معناه أن يقول: أنا جيد إذن هذا يكفي أنا لا أتعلم! إذا لم تتعلم تبقى جاهلاً، قد تنحرف أو تهتدي إلى الضلال؛ وإن كان لا بد أن يتعلم، ويعرف الطريق حتى يسير وفقه؛ إذا لم نعرف الطريق ونجهل الطريق، ندور في دوامة من دون نتائج.

لذلك لا بد أن نعرف الطريق حتى نسير وفقه، لذلك سوف نبدأ بشرح تلك الكلمات البليغة الراقية، تلك الدرر؛ من أجل تطبيقها على واقعنا، من أجل اكتساب السلوكيات التي تُبلِّغنا درجة التقوى.

إن شاء الله نشرع في البداية بتلك الكلمات، حيث يبدأ الأمير عليه السلام بدياجة إجلال وتمجيد الله في سطرين أو ثلاثة، ثم يبدأ ببيان صفات المتقين؛ إن شاء الله في يوم غد نبدأ بشرح تلك الدرر.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) بحار الأنوار، (ط. دار الإحياء التراث)، ج: ٢، ص: ٢٧، ح: ٥.

◀ تأملات في خطبة المتقين (٢)

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
قال الأمير عليه السلام في مطلع خطبته المعروفة بخطبة المتقين، خطبة صفات المتقين:

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلْقَ الْخَلْقِ حِينَ خَلَقَهُمْ، غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ، أَمِنًا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ؛ لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةٌ مِنْ عَصَاؤِهِ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مَنْ أَطَاعَهُ؛ فَكَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ»^(١)، هذه المقدمة ذكرها الإمام قبل أن يبدأ بصفات المتقين.

ينتقل بعدها: «فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا: هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ» إلى آخر تلك الخطبة العظيمة.

في البدء يُبين الإمام عليه السلام تنزيه الله سبحانه وتعالى عن الحاجة إلى العباد من جانب، ومن جانب آخر عدم وجود الأثر السلبي لفعل العباد على الله سبحانه وتعالى؛ فلا المعصية تضره، ولا الطاعة تنفعه.

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٧٨.

«أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى» الله: المعبود، المتأله: المتحيّر فيه، الذي يُلجأ إليه.

الله: جامع جميع الصفات، صفات الكمال والجلال؛ وهو اسم يجمع جميع أسماء الله، وهو أعظم اسم لأعظم مسمّى.

«فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى» التسبيح: يعني التنزيه، فَإِنَّ اللَّهَ مَنْزَهُ؛ وهو عليّ مرتفع، ويتعالى عن كلّ حاجة وكلّ نقص وكلّ عيب.

«فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ» تسبيح: هنا يعني التنزيه، أي أنزّهه من الظلم، أنزّهه من الحاجة، أنزّهه من النقص، أنزّهه من العيب، وهكذا؛ تنزيه الله من كلّ صفة نقص وصفة طغيان أو ما شابه.

«وَتَعَالَى» أي أنزّهه الله وأرفعه عن تفكير العباد، يتعالى الله عن الحاجة؛ والله سبحانه وتعالى أبعد من أن يتصوّره الخلق، لا يمكن للمخلوقين أن يعرفوا كنه الله سبحانه وتعالى، فهو عليّ عما يصفه العباد.

العبد يتصوّر أن الله سبحانه وتعالى على هذه الهيئة، على هذا الشكل؛ يتعالى الله عما يتصوّره العباد: في حقيقته، أو في حاجته، أو ما شابه؛ يعني في بعض الأوقات الإنسان يعمل شيئاً، ويمنّ على الله! الله ليس محتاجاً إليك:

«أنا عملت وأنا عملت..»

يارب لماذا عملت فيّ كذا!

وأنا فلان وأنا الذي عملت، وأنا الذي عملت، وآخر شيء تعمل فيّ كذا!..»

هل الله محتاج إلى طاعتك؟ هل محتاج إلى عملك حتى تمنّ عليه؟
 ﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ يقول الله للرسول ﷺ: ﴿قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ
 إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾^(١).

ثم يبدأ بمقدمة بعد ذلك التنزيه: «خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ، غَنِيًّا عَنْ
 طَاعَتِهِمْ» الإنسان يفعل الأشياء لحاجة، يصنع الأشياء لحاجة؛ هناك حاجة
 له، لا يفعل شيئاً إلا لوجود حاجة له: حاجة مادية، أو حاجة معنوية؛ لكن
 الله سبحانه وتعالى يتعالى عن ذلك، فحين خلق الخلق: أي أوجدهم من
 العدم، في هذه اللحظة التي أوجد العباد من العدم، هل كان محتاجاً لأولئك
 الخلق؟

لا، لا يوجد حاجة، ليس عنده نقص حتى يحتاج؛ الضعيف هو الذي
 يحتاج، الناقص هو الذي يحتاج؛ أمّا الكامل يحتاج لماذا؟

لو احتاج لانتفت صفة الكمال، لكان ناقصاً، لكان ضعيفاً، لأنّ الناقص
 ضعيف مهما كان؛ أمّا الله سبحانه وتعالى: قوي، قادر، غني، غير محتاج.
 «حِينَ خَلَقَهُمْ، غَنِيًّا عَنْ طَاعَتِهِمْ» حين أمرهم بالطاعة، هل كان محتاجاً
 إلى طاعة؟

أمرهم بالعبادة، أمرهم بطاعة الأنبياء، أمرهم بطاعته في التكاليف،
 وطاعة الأوامر؛ هل يحتاج إلى طاعة العباد؟

الله سبحانه وتعالى غير محتاج، لذلك يقول الأمير ﷺ: «غَنِيًّا عَنْ

(١) سورة الحجرات: ١٧.

طَاعَتِهِمْ» في غنى عنهم، غير محتاج لهم.
الفقر: أي الحاجة.

الغنى: يعني الكفاية، عدم الحاجة؛ الله سبحانه وتعالى لا يحتاج، وليس ناقصاً، وليس ضعيفاً حتى يحتاج إلى طاعتي، وإيماني، وعبادتي؛ أنا المحتاج، وأنا العبد بالطاعة لله أنا المحتاج إليها: نحتاج إلى طاعة الله، نحتاج إلى عبادة الله؛ وهذا عكس ما يتصور بعض الناس، الذي يعبد الله ويمن! بل أنا المحتاج لهذه العبادة.

«أَمِنَّا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ» يعني هل يخاف الله معصية العباد؟

الدولة تُصدر أوامر بحاجة إلى طاعة الناس لهذه الأوامر، وإذا عصيت الناس الأوامر تضطرب الدولة وتنهار؛ ولذلك تضع القوانين الرادعة المجحفة لمن يعصيها، لأنها إذا عُصيت سقطت؛ أمّا الله سبحانه وتعالى آمن، فليعصه من يشاء، لا يُغير شيئاً في ملك الله.

«أَمِنَّا مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ»: الأب حينما يأمر أولاده بالطاعة يخاف المعصية، أو أن يتمرد ابنه، فيُسبب له مشاكل؛ الابن يتمرد، لا يُطيع، يُسبب للأب قلاقل ومشاكل أو لا يُسبب له؟

بالتالي الأب يضع بحسابه عصيان الولد، الأم تضع بحسابها عصيان الولد، فتخاف من معصية الولد، وعدم الطاعة، وما تفرزه من مشاكل ومآسي؛ أمّا الله سبحانه وتعالى يقول تفضل: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾^(١)، بكيفه الذي يريد أن يعصي فليعصه، آمناً من المعصية، لا يضره

(١) سورة الكهف: ٢٩.

شيء؛ يعني لا تؤثر عليه حتى يخاف من معصيتي، لا تُسبب له شيئاً؛ ولو عصى العباد أجمع هل يُغيّر شيئاً في هذا الملك؟

لا يُغيّر شيئاً؛ لأنه لماذا يأمن؟ لماذا يستغني عن الطاعة؟

«لأنه لا تضره معصية من عَصَاهُ» ليس فيها ضرر.

أنا ابني حينما يعصني فيها ضرر أو ليس فيها ضرر؟

هناك ضرر، أقلّ الأمور أن يُقال هذا ابن فلان، أنا أحفظ وأهتم بسمعتي، هذا أقلّ الأمور فضلاً عن المضاعفات الأخرى.

«لأنه لا تضره معصية من عَصَاهُ» أكبر طاعني، أكبر عاصي لله؛ لا يضره شيئاً.

«وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةٌ مَنْ أَطَاعَهُ» حتى العابد، العبادة هل تنفع الله؟

لا، في الأصل لماذا هذه الأمور؟

لأن الله سبحانه وتعالى قادر ممتنع، وغير محتاج؛ ولذلك طاعة العباد لا تنفع الله، بل تنفع العبد نفسه، أنا الذي أُنفع بالطاعة.

«فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ» قال تفضلوا هذه الحياة واسعة، خذوا ما شئتم؛ جعل قيمياً، على وفقها يتمكن الإنسان من أخذ نصيبه؛ وكلُّ يأخذ حظه، والأرزاق مقسمة بين العباد.

«فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ» وجعل كلَّ إنسان بموضع، كلَّ إنسان في هذه الدنيا له موضع: بالعلم يكون في موضع، بالجهل يكون في موضع؛ بالجهاد يكون له موضع، بالتقاعس يكون له

موضع وما شابه، كل إنسان في هذه الدنيا له موضعه؛ وسخر الله العباد بعضهم لبعض، كل شخص له موضع، يسير وفقه على ضوء تلك السنن التي جعلها الله سبحانه وتعالى.

«فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعَايِشَهُمْ» كل شخص له حظّه ونصيبه «وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ» شخص حاكم، شخص محكوم؛ شخص رئيس، شخص مرؤوس؛ شخص أب، شخص ابن؛ واحد زوج، واحد زوجة؛ وهكذا كل له موضعه، على حسب المكان الذي يناسبه؛ والتصنيف الذي يكون له.

هذه المقدمة يُبين فيها الإمام عدم حاجة الله، وحاجة العبد لله؛ ويلج في صفات المتقين، لا أن يكون عند الإنسان غرور في إيمانه أو تقواه، فيُضيع الهدف؛ إن الله غير محتاج، فلا يُعجب الإنسان بنفسه، فيمنّ على الله!

مقدمة ضرورية لبناء هذه الروح عند الإنسان: أنا المحتاج بصلاتي وبطاعتي، وهكذا أنا المحتاج للتقوى؛ الإنسان يصير متّقياً، وهذه صفات ما شاء الله، بعدها يتصور نفسه -بلغ الكمال!- نقول له: أنت محتاج إلى هذه الصفات إلى أن تُوجدها، بحاجة ماسّة.

ثم يتحدث الإمام عن صفات المتقين، إن شاء الله في الغد نتحدث عنها.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

◀ تأملات في خطبة المتقين (٣)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا: هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ، وَمَلْبَسُهُمُ الْاِقْتِصَادُ، وَمَشْيُهُمُ التَّوَاضُّعُ»^(١).

في هذا المقطع يُبين الإمام عليه السلام صفات المتقين، ففي المقطع الأول يُبين الإمام أن المتقين يجمعون صفات الفضيلة، وهم أهل الفضيلة؛ لأن صفات الخير، وصفات الفضل، هم أهلها، وهم أهل التقوى.

«فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا» المتقون في هذه الدنيا التي قُسمت فيها المعاش، ووضع كل إنسان موضعه.

«فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا: هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ» هذا موقع المتقين، مكانة المتقين هم

(١) نهج البلاغة، للشيخ الشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٧٨.

أهل الفضائل كلّها؛ لا يوجد صفة خير إلّا وهم أهل لها: الصدق، والإيمان، والتقوى، والحب، والشفافية، والكرم، والجود، والشجاعة، والإخلاص، والتعاون، وما إلى ذلك من صفات الخير؛ كلّ صفات الخير تجتمع في أولئك المتّقين.

«فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا» في هذه الدنيا «هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ» يعني إذا أردت أن تبحث عن أهل الخير، فابحث عن المتّقين؛ وإذا أردت أن تكون من أهل الخير، من أهل الفضيلة؛ فكن من المتّقين، اسعَ لأن تكون من المتّقين حتى تكون من أهل الفضائل.

«فِيهَا: هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ: مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ» الآن الإمام يأتي ويبيّن صفات التي يتّصفون بها، بعد أن بيّن الإطار العام: أنهم أهل الصفات الحيرة كلّها، وهنا يبدأ بالصفة الأولى والرئيسيّة وهي: منطقهم الصواب.

تفكيرهم دائماً الصحيح، لا يتكلمون إلّا صواباً، لا يفكّرون إلّا صواباً؛ لأنّ المتّقين لا يفكّر في الدنيا بقدر ما يفكر في الآخرة: يفكّر في رضوان الله، يفكّر فيما يرضي الله، يفكّر في كفيّة الوصول إلى مرضاة الله، هذا التفكير هو التفكير الصحيح.

لا يفكّر كيف يجمع المال، بل يفكّر كيف يجمع الحسنات؛ لا يفكّر فيما يزول من هذه الدنيا، بل يفكّر فيما يدوم ويبقى معه من هذه الدنيا إلى الآخرة؛ هنا يوجد فارق، هذا منطقه: تفكيره صحيح، تفكيره صائب، الإنسان يفكّر: سمعة، شهرة، البيت الفخم!

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

◀ تأملات في خطبة المتقين (٤)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام في بيان صفات أهل التقوى: «غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ»^(١).

في هذا المقطع يُبين الإمام علي عليه السلام مسلكين من مسالك أهل التقوى: المسلك الأول: يرتبط بكيفية الاستفادة من البصر.

المسلك الثاني: في كيفية الاستفادة من السمع.

ولا ريب أن الله سبحانه وتعالى حينما خلق الإنسان وخلق أجزائه، جعل لكل جزء منه هدف خير: فقد جعل لليد مهام ومسؤوليات من أجل الخير،

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٧٨.

وهكذا للسان، وهكذا للعينين، وهكذا للأذنين، وهكذا سائر الأعضاء.

وفي المقطع تحدّث الأمير عن البصر والسمع باعتبارهما أداتين ووسيلتين:
للعلم والمعرفة، بمعنى أنّه من المهام الرئيسية والأساسيّة للبصر والسمع:
هو العلم والمعرفة.

فإذا سعى الإنسان وكرّس جهده من أجل تسخير تلك النعمتين: نعمة
السمع والبصر للعلم والمعرفة، بلغ الهدى؛ أما إذا استخدمهما وسخرهما
للمحرمات، ضلّ الطريق، وارتد على عقبيه.

هنا الإمام يُبيّن أنّ المتّقين هم أولئك الذين لا يطلقون العنان لهاتين
الأداتين للاستعمال المحرّم السلبي، بمعنى آخر: مَنْ يقود هاتين الأداتين:
أداة السمع وأداة البصر؟ مَنْ يقودهما؟ هل العقل أم الشهوات؟

إذا كانت العينين وكذلك الأذنين مقودتين للشهوات ستُدمر الإنسان،
أمّا إذا كانتا تحت قيادة العقل فسيكون الوضع طبيعياً كما أراده الله.

لذلك يُبيّن في المقطع: المقطع الأوّل عدم الخضوع للمحرّمات، وفي المقطع
الثاني التكريس لما فيه الخير والصلاح؛ هذا من باب المثال، وإلا الأمير أراد
أن يُبيّن التأثير سلبيّاً وإيجاباً لكلا الأداتين.

✽ مسلكان وصفتان لأهل التقوى:

الصفة الأولى: «غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»: يعني هذا البصر لم
يُستعمل فيما هو محرم، بل استُعمل فيما هو مشروع ومحلّل؛ وإن كان الشطر
الآخر غير مذكور، لكنه مُراد، فهو لاء حينما لم يستعملوه فيما حَرَّمَ الله؛ هنا
فقط يستعمل فيما أراد الله له.

البصر هو أداة معرفة للأمور المادية أو المعنوية، ببصره يقرأ المكتوب، وببصره يقرأ الكون، وببصره يقرأ الأشياء، وببصره يُبصر جميع الأشياء، المادية المحسوسة بالبصر؛ لكن هذا البصر يقرأ ماذا؟ ويشاهد ماذا؟ وينظر ماذا؟

ينظر إلى ما هو محلّ، لا ينظرون إلى ما هو محرّم: إنسان يستعمل بصره لقراءة قصة غرامية! محرّم، حرام؛ هذا البصر هل هذه مهمته؟ هل خلق الله البصر من أجل ذلك؟

إنسان بهذا البصر يُطارِد بنات الناس، يهتك أعراض الناس، يتلفّظ لهتك أعراض الناس! هذه هل هي المهمة التي جعلها الله له؟

يوجد إنسان بهذا البصر كالمسّمار في التلفاز، لاصق أمام تلك الشاشة الفضائية أو الأرضية، لا فرق؛ لاصق أمام تلك الشاشة، ينظر ذا وينظر لذاك؛ فهل خلق الله البصر لهذا؟ هذه النعمة الكبيرة هل من أجل أن ينظر الإنسان إلى تلك العاهرات، وأولئك الفسقة؟

المتّقون لا يُمارسون ذلك، بعيدون كلّ البعد عن تلك الممارسات؛ ولذلك الأمير عليه السلام يقول: «عَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» هل يجوز النظر إلى أعراض الناس؟ هل يجوز النظر إلى ما هو محرّم؟

من المحرّمات على النظر، لذلك الأمير عليه السلام يقول في رواية لطيفة: «لَيْسَ فِي الْبَدَنِ أَقَلُّ شُكْرًا مِنَ الْعَيْنِ فَلَا تُعْطَوْهَا سُؤْلَهَا»^(١)، أقلّ أعضاء البدن شكراً هو البصر، وإذا سأل الإنسان شيئاً لا يُعطى سُؤله.

(١) وسائل الشيعة (ط. آل البيت) للعالمي، ج: ٦، ص: ٥٠٥، ح: ٨٥٥٩

لذلك نلاحظ العبادة في شهر رمضان، والصيام في شهر رمضان: هو غُضُّ البصر «فَحَفَظُوا أَلْسِنَتَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ»^(١)، واحفظوا أسماكم أيضاً، فبالتالي شهر رمضان تأكيد: «إِنَّ الصَّيَّامَ لَيْسَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَحَدَهُ»^(٢)، عن الإمام الصادق عليه السلام، وبعد ذلك يطلب «وُغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ» هذا الصوم الحقيقي: صوم النظر عن الزنا، النظر إلى المحرمات هذا زنا العين، زنا البصر؛ هؤلاء المتقون لا يُبارسون ذلك.

حفظوا أنفسهم من ذلك، هم أعفَّ من أن يُبارسوا تلك الحالة؛ لذلك يقول الإمام عليه السلام: «غُضُّوا أَبْصَارَهُمْ»: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ هذا أمر بضرورة دون سائر الأعضاء.

الله سبحانه وتعالى يأمر الرسول أن يأمر المؤمنين بغُضِّ البصر من دون سائر أعضاء الجسم، لأنَّ هذا منزلق خطير: «النَّظَرُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ»^(٣)، عن طريق البصر يصطاد إبليس مصائده وضحاياه، شباك الشيطان سهامه: عن طريق البصر.

لذلك أهل التقوى لا يتمكن منهم الشيطان، لأنهم: «غُضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» هذه الصفة الأولى.

وقلت في مقابل ذلك، كرَّسوا هذا البصر للخير: يقرؤون القرآن بأبصارهم، ويقرؤون الكتاب الديني بأبصارهم، ينظرون إلى الكون،

(١) الكافي (ط. الإسلامية)، ج: ٤، ص: ٨٧، ح: ٣.

(٢) الكافي (ط. الإسلامية)، ج: ٤، ص: ٨٧، ح: ٣.

(٣) بحار الأنوار، (ط. دار الإحياء التراث)، ج: ١٠١، ص: ٤٠، ح: ٤٦.

يتفكرون في خلق السماوات: من خلال رؤية حركة الشمس، وحركة القمر، وهبوب الرياح وما شابه؛ من خلال النظر إلى الكون، يُؤدّون مهام البصر ويستفيدون منه.

الصفة الثانية: «وَوَقَّفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى الْعِلْمِ النَّافِعِ لَهُمْ» لأنه ذكر أيضاً الجانب الإيجابي، يعني هؤلاء أوقفوا، فلم يتجاوزوا هذه الحالة.

فالسمع لا يستمع غيبةً، بل يستمعون إلى العلم النافع؛ يعني هؤلاء استخدموا أداة السمع، هذا الجزء، هذا العضو من البدن من أجل الخير؛ ولم يستعملوه في طريق الشر: هذا السمع ليس للغيبة، ليس للتلصص على أسرار الناس، ليس للاستماع للموبقات من التلفاز أو المذياع، أغاني أو ما شابه؛ لا، بل يستمع العلم النافع.

«وَأَسَدُّ أَسْمَاعَنَا عَنِ اللَّغْوِ وَالْغِيَةِ»^(١): كلام اللغو، الأغاني، والمجون، وعن الغيبة، وما شابه؛ لهذا المتّقون هذه صفتهم، يستعملون السمع لماذا؟

يستمع من الخطيب الموعظة، فكرة، عقيدة حقّة، يستمع إلى آيات القرآن، يستمع إلى كلام الخير، يستمع إلى العلم؛ يجلس مجلس درس، يستمع علماً نافعاً ينفعه، تلك المعلومات التي يسمعها تنفعه في دنياه وأخراه.

لذلك: «مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ، فَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ عَنْ اللَّهِ فَقَدْ عَبَدَ اللَّهَ، وَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ عَنْ لِسَانِ إِبْلِيسَ فَقَدْ عَبَدَ إِبْلِيسَ»^(٢)، هؤلاء لا يمكنون الشيطان من سمعهم، أو يُمكنون سمعهم من الشيطان؛ يحفظون أسماعهم،

(١) مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي، ص: ١٧٥.

(٢) وسائل الشيعة (ط. آل البيت) للعالمي، ج: ٢٧، ص: ١٢٨، بحار الأنوار، (ط. دار الإحياء التراث)، ج: ٢٦، ص: ٢٣٩، ح: ١.

لا يتركه في كل مكان، مجلس فيه غيبة ونميمة تخرج منه، لا يُمكن سماعه
لأمثال هؤلاء.

بالتالي يستمع من أجل التصحيح، لا يستمع الغيبة؛ بل من أجل البناء
وما شابه.

أما تستمع إلى هذا الملحد، والآخر الإباحي، وإلى هذه المغنية، وإلى ذاك
الماجن، وإلى هذا الفاسق، وإلى ما شابه من أولئك؛ ويذهب إلى المجالس من
أجل الكلام والثرثرة الفارغة، أو الغيبة والنميمة وكلمات بذيئة وما شابه.

وتارة شخص لا يستمع إلا خيراً، لا يستمعون إلا حقاً، لا يستمعون
إلا العلم النافع؛ يعلمون أن السمع أداة للعلم، والبصر أداة للعلم؛ السمع
وُضع للعلم، لا يستمع لشيء آخر.

المتقون يعلمون ما هي المهمة الحقيقية وما هي المهمة الوهمية للسمع
والبصر، النظر إلى المحرمات مهمة وهمية خاطئة، وليست مهمة حقيقية،
وليست مهمة صحيحة وهي باطلة؛ أما النظر إلى الخير، إلى هذا الكون،
والنظر فيما ينفع، والنظر إلى العلم النافع؛ هي المهمة الحقيقية.

لذلك الأمير عليه السلام يُبين ما الذي يُبلغ الإنسان إلى التقوى، الأخذ بالعلم
وهو أداة وطريق للتقوى؛ فما هي أدوات العلم، آليات العلم، وأمور أخرى؟

العقل مصدر المعرفة، السمع والبصر هما آليات؛ فإذا استخدم الإنسان
عقله، وسخر آليات العلم والمعرفة، بلغ العلم والمعرفة، وبلغ التقوى؛ أما إذا
جعل الأهواء والشهوات مصدر المعرفة، وكانت العين والأذن مسخرتين في
الأهواء والشهوات، كان الدمار، وكان الجهل، والبُعد عن التقوى؛ لذلك

الإمام يُبيّن ويقول: تُريد أن تكون من المتّقين؟ هل تُريد ذلك؟

بإمكانك لكن بشرط أن تُعمل تلك الأداتين في وضعهما: غُضّ البصر عن الحرام، وكَرّس السمع للعلم النافع؛ وفي المقابل يذهب من باب: المفردة والمفردة، وإلا أيضاً وكَرّس البصر للعلم النافع، وأغلق السمع وأسدّد السمع عن المحرّمات والأغاني.

فإذن الطريق هو: غُضّ البصر، وسدّد السمع عن المحرّمات؛ وفتح البصر وفتح السمع للعلم النافع طريقٌ للمعرفة الحقّة من أجل بلوغ التقوى.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين.

◀ تأملات في خطبة المتقين (هـ)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: «نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرَّخَاءِ»^(١)، في هذا المقطع يُبين الأمير حالة الوسطية عند هؤلاء.

بتعبير آخر: حينما يكونون في نعمة ورخاء لا يبطرون، وإنما يلاحظون حالة البلاء؛ وكذلك فيما لو كانوا في بلاء لا يياسون ولا يقنطون، ويعيشون كما كانوا في حالة الرخاء؛ فلا الفقر يُخرجهم عن الصبر، ولا الغنى يُخرجهم عن الشكر؛ كذلك لا البلاء يُخرجهم عن الرجاء، ولا الرخاء يُخرجهم عن الخوف.

(١) نهج البلاغة، للشریف الرضی، تحقیق: الحسون، ص: ٤٧٨.

ولذلك يقول: «نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ» حينما يكون هناك البلاء، هناك المشاكل، هناك القحط، هناك الفقر، هناك فقد الأمن، أو ما شابه من جميع أنواع المتغيرات السلبية؛ هل تُحدث هذه التغيرات أثراً سلبياً في أنفسهم؟

الإمام يقول: لا، وضعهم مستقر؛ لأنهم يتحركون وفق عقيدة راسخة، لا وفق الواقع؛ يوجد أناس إذا كانوا في نعمة، صاروا عُبَاداً زُهَاداً، إذا سُلبت النعمة كفروا بالله؛ ويوجد أناس العكس، إذا لم يكن عندهم نعمة تراهم عُبَاداً زُهَاداً، وما أن تأتي النعمة يكفرون بالله، تلاحظون يوجد هكذا نماذج بكثرة!

يقول الإمام علي عليه السلام: المتقون ليسوا كذلك، المتقون البلاء والرخاء لا يخرجهم عن التزامهم بقيم السماء، بل شكراً وصبراً، ورجاءً وخوفاً.

إذن الإمام يُبين: أنّ هؤلاء لا المتغيرات تُحرّكهم، ولا المصالح تُغريهم، ولا البلاء والمشاكل يُضعفهم؛ أمثال هؤلاء أقوياء وأعزاء من دون غنى مادي، وكذلك في المقابل يرون أنفسهم أمام الله ضعفاء أذلاء، مع الغنى المادي والقدرة المادية.

«نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرِّخَاءِ» الإنسان حينما يعيش في حالة رخاء تجده ينطلق ويتحرك ويستأنس ومسرور وما شابه، تجد وضعه مستقراً، في رخاء: عنده بيت، عنده أموال، عنده عمل، عنده خدم، عنده حشم، عنده احترامات، هذه حالة رخاء: الدنيا مرتحية له، ليست مشددة عليه؛ بل مرتحية له، وفي متناول يديه؛ حينما هذه الأمور تُفقد، وتشتد عليه الدنيا، هل يتغير؟

الإمام يقول: لا، مثله مثل وضع الرخاء: حالة استقرار، هذه حقيقة الإيمان، وهذه حقيقة الإيمان بالله والعقيدة الراسخة، ليس الإيمان على حسب المصالح: رأينا الناس يُصلون صلينا معهم، صارت أزمة والناس انسحبت من المساجد نحن ننسحب!

لاحظوا الفرق بين الأجواء العامة: هي التي تحركه، وليست العقيدة الراسخة، وليس الإيمان الراسخ، يوجد أناس كثيرون من هذا الصنف؛ أمّا المتّقون الإمام علي يقول غير ذلك.

جماعة الكوفة حينما أقبل إليهم مسلم بن عقيل، آلاف كانوا معه تصوّروا أن (الرجل غداً يحكم) جاءت الجماعات، وكانوا يتصورون أن (غداً يستلم الحكم) فكانوا يتقربون منه، حالة رخاء ستكون غداً! فحينما انقلبت الظروف، وتبيّنت الأمور، انسحب الجمع وبقي وحده!

كذلك الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء: يوجد جمع، ويوجد متّقون بقوا معه؛ يوجد جمع حينما عرفوا أنّ المصير هو الموت، أن الإمام الحسين لن يبلغ الحكم ولن يحكم؛ انسحبوا! الإمام عليه السلام قال لهم: «اتَّخِذُوا هَذَا اللَّيْلَ جَمَلًا»^(١)، يوجد أناس من هذا النمط؛ لاحظوا الفارق بين المتّقين، وحالة الصعوبات والشدائد.

لهذا الإمام عليه السلام يركّز على حالة البلاء أكثر من تركيزه على حالة الرخاء، وتحدّث أن البلاء لا يُغيّرهم؛ وتجدون كثيراً من الناس ما أن تحصل تغييرات في حياته: وضعه يتبدّل، ونفسيّته تتخبط، وإيمانه يضعف، وعلاقته الاجتماعية

(١) كلمات الإمام الحسين، للشيخ الشريفي، ص: ٤٠١، الهداية الكبرى، للخصيبي، ص: ٢٠٤.

للحسر؛ البلاء أو المشكلة أغرقته في دوامة نفسه، لا يقدر أن يتحرك، انشل تفكيره، وشلت حركته، وشلت علاقاته؛ لماذا؟

لأنه يتحرك وفق الخارج: تجد فلان رسب في المدرسة، رسب في الجامعة؛ خير! الحياة لم تنتهي، لكن تجد هذا في مشكلة بسيطة جداً: تغيرت أموره، انعزل، انطوى، تعقد! على ماذا؟

على هذا الشيء! ويوجد إنسان حدث له مشكلة، كان عنده مال، فقد ماله؛ لاحظ ماذا يحدث له؟

فقد حفيداً، فقد هذه الأمور! هنا يُبان، وفي مثل تلك الموارد يُبان عمق التقوى.

هل نحن نتحرك وفق الواقع، وفق المتغيرات، هي التي تُحرِّكنا وتقودنا؟ والذي يُحرِّكنا ويقودنا هل هي حالة الرخاء واليسر فقط، أم قيم السماء هي التي تقودنا وتحركنا؟

الإمام علي عليه السلام يُبين أن المتقين يتحركون من خلال قيم السماء، لذلك يقول: «نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ» القضية داخل النفس، القضية ليست قضية الخارج وشكليات؛ بل النفس وفي الداخل والعمق، وعمق النفس.

«نَزَلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي الْبَلَاءِ» النفس لا تضطرب حينما يكون هناك البلاء: لا تضعف، لا تنهار.

«الْبَلَاءُ كَالَّتِي نَزَلَتْ فِي الرِّخَاءِ» كيف كانت النفس في الرخاء؟ كيف وضعها؟ كيف طبيعتها؟

لاحظوا كيف أنّ هناك استقرار، ويوجد اطمئنان، ويوجد سكينّة؛ لا يوجد قلق، لا يوجد أرق، لا يوجد اضطراب، هذه حالة الرخاء؛ كذلك في البلاء: سكينّة، واطمئنان نفسي، ورخاء وما شابه؛ فبالتالي لا تتغير الروح والنفس بها السكينّة، والاطمئنان، هنا يرتبط بالإيمان لا يرتبط بالواقع.

لذلك لا بدّ أن يكون وضعه وسكينته واطمئنانه واستقراره سيان، لا يفترق بين الرخاء والبلاء.

نحن أيضاً لا بدّ أن نغرس فينا هذه الروح، فلا يكون حالنا حينما تكون عندنا مصيبة أو يكون عندنا مشكلة ننهار، ونراجع، وكأن السماء أطبقت على الأرض! والدنيا أطبقت علينا!

لا، هذه الحياة فيها الحلو وفيها المر، فيها الخير وفيها الشر، وفيها الفقر وفيها الغنى، وفيها الضعف وفيها القوّة.

لذلك لا بدّ أن نعد أنفسنا للاستقرار والاطمئنان الدائم مهما تغيرت الظروف: استقرارنا لا بدّ أن يكون مستوحى من الإيمان بالعميدة، والإيمان بالله سبحانه وتعالى.

لاحظوا كلمة زينب عليها السلام: «إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى»^(١)، أو الكلمة الأخرى، لماذا الإنسان يتحمل هذا؟

لأنه بعين الله: «هون عليّ ما نزل بي أنه بعين الله»^(٢)، كلّ ما جرى في

(١) الوثائق الرسميّة لثورة الإمام الحسين، للسيد عبد الكريم الحسيني القزويني، ص: ٢٣٦.
(٢) اللهوف في قتل الطفوف، للسيد بن طاووس، ص: ٦٩، بحار الأنوار، (ط). دار الإحياء التراث، ج: ٤٥، ص: ٤٦.

كربلاء، لأنّه بعين الله، لهذا لا يتغيّر شيء؛ هل تغيّر شيء؟ هل تراجعوا؟ مع كلّ هذا البلاء هل تراجع أهل البيت عليهم السلام؟ هل تراجع زينب عليها السلام؟

لم تتراجع وهي امرأة، مع كل ما لاقت؛ ثلاثة عشر أخاً، فضلاً عن الأقارب، يعني أكثر من خمسين قريب في لحظات يُقتلون قتلة شنيعة؛ لكنها لا تتبدل من حيث النفس تبقى راسخة الإيمان، قوّة الارتباط بالله.

وبالتالي لا يفرق هذا الوضع، أو وضع الحكم؛ كانت في الحكم: أبوها حاكم، وجدها كان حاكماً، وكانت في السبي والقتل ولم تتبدل.

في الواقع نحن لا بدّ أن يكون هذا منهجنا، نحن إذا أردنا أن نبلغ التقوى لا بدّ أن نملك هذه الروح: أن تكون القيم هي التي تقودنا، لا المتغيرات ولا الواقع لا يخرج منك.

نعم نستفيد من المتغيرات، ونتحرك من خلال المتغيرات، لكن لا تقودنا المتغيرات؛ وإنّما نتحرك وفق المتغيرات لكي نواكب العصر، لا أن نجمد؛ فرق بين أن نواكب المتغيرات، وبين أن تقودنا المتغيرات.

نسأل الله أن نُوفّق لغرس تلك الروح، وإنزال تلك النفس التي لا تتبدل لا في الرخاء، ولا في البلاء؛ لا تكفر، ولا تضطرب في البلاء، ولا تبطر ولا تكفر في الرخاء.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

◀ تأملات في خطبة المتقين (٦)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: «عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ»^(١).

التعظيم: تلك صفة هي أصل جميع صفات الخير، التي منها تتفرع كل الصفات: «عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ»: «الناس أعداء ما جهلوه»^(٢)، فحينما يعلمون ويعرفون الحقائق كثير منهم يهتدي الطريق، هنا معرفة الله بتعظيمه.

«عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ» يعني عقيدة راسخة وليست معلومة، وفرق بين المعلومة وبين المعرفة؛ المعرفة تنعكس تعظيماً، الإنسان قد يعلم الشيء؛

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٧٨.

(٢) بحار الأنوار، ج: ٧٥، ص: ١٤، ح: ٧٢.

لكن لا يتغير من سلوكه شيء؛ أمّا حين يعرف الشيء، هذه المعرفة تنعكس على سلوكه، وبالتالي تكون هدى.

«عَظَّمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ» ذلك من خلال معرفتهم عظمة الله، وتدبير الله، وحكمة الله؛ من خلال معرفتهم: أنّه الخالق دون سواه، وأنّه القادر دون سواه، وأنّه هو الرازق، وأنّه هو القابض، وأنّه هو الباسط وما شابه من تلك صفات.

حينما عرفوا تلك الصفات هنا يخشع القلب، وبالتالي تكون هناك العظمة الإلهية، يرون العظمة؛ كيف حال الإنسان حينما يرى جيشاً جراراً: تأخذه هيبة داخلية في نفسه، وأن تلك أمام عينه؟

وليست مسألة! تارة يقولون له إنّ هناك جيشاً جراراً، أنت تارة تنقل خبر: تقول على مسافة ١٠ كيلومتر جيش جرار يتقدّم إلى هذه المدينة من أجل تدميرها، ويمكن الإنسان أن يدخله الخوف، ويمكن لا؛ أمّا أن يرى أمام عينه جيشاً جراراً، يريد أن يقتحم المدينة ويدمرها وهو أمام عينه، هنا يدخله الخوف؛ فيرى عظمة الجيش، وقدرة الجيش، وقوة الجيش، وسيطرة الجيش، وهيمنة الجيش وما شابه؛ هذه أمثلة تُضرب ولا تُقاس، نحن أن نريد نُبيّن كيف هنا تكون المعرفة وانعكاس تلك المعرفة على السلوك.

«عَظَّمَ الْخَالِقُ» الخالق لكلّ شيء: خالق للنفس، وخالق للغير، وخالق للأشياء.

«فِي أَنْفُسِهِمْ» يعني في داخل الذات، وليس لقلقة لسان، وليس على السطح؛ وإنّما شيء في العمق.

«عَظَّمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَصَغَّرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ» فكلّ الأشياء تكون صغيرة لأنّها مخلوقات، بالتالي بالنسبة إلى الخالق تعتبر صغيرة؛ حتى من نظرة العين، من أول نظرة تكون هذه الأمور صغيرة.

فمعرفة لها: المال صغير، الجيش الجرار صغير، السلطان صغير، كل قوة موجودة تعتبر صغيرة؛ يراها صغيرة.

«فَصَغَّرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ» هذا طبيعي، ما دام هناك عظمة للخالق تصغر الأشياء؛ وإذا كان هناك تعظيم للأشياء هناك تصغير للخالق، أو عدم معرفة للخالق، أو عدم تعظيم للخالق، إن الوضع طبيعي؛ مَنْ يُعَظِّمُ الله تصغر عليه الأشياء كلّها، هذا حل لكثير من مشاكلنا.

نحن نخاف: نخاف من السلطان، نخاف من الآباء، نخاف من المجهول، نخاف ونخاف من هذه الأشياء؛ كيف ننزع الخوف؟

عن طريق التعظيم: «عَظَّمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ» الخوف لا يأتيه «فَصَغَّرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ» هذا الشرح العام.

دعونا نأتي لناخذ الرؤى الحقيقية في الواقع لهذا المقطع:

الرؤية الأولى: الإنسان إمّا عبدٌ لله، وإمّا عبدٌ للأشياء؛ إذا عبدَ الأشياء يعني لم يُعَظِّمِ الله، وإذا عَظَّمَ الله لم يكن عبداً للأشياء؛ عبدٌ للمال، عبدٌ للسلطان، عبدٌ للجاه، عبدٌ للشهرة، عبدٌ لهذه الأشياء؛ لأنه يراها كبيرة، فيتطلع إليها، فيُكْرَسُ جهده من أجلها!

عبدٌ للبيت، عبدٌ للسيارة! يوجد أناس يحملون همّاً، تطلعه وهدفه أن يملك سيارةً، أن يملك بيتاً، أن يصبح مشهوراً! قالوا عنه فلان كذا،

ويُمارس دوراً، ويُمارس أدواراً، ويُمارس أموراً من أجل أن يقول عنه الناس شيئاً! من أجل جمع المال، يُغريه المال، وما شابه.

فيكون عبداً للأشياء، هذه الأشياء سيد عليه؛ والحال أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان سيّداً على الكون وما فيه، ولكنه يتحوّل إلى عبد للأشياء: يعبد المال، يعبد الجمال، يعبد الموضة، يعبد اللباس، يعبد السمعة، يعبد، ويعبد، ويعبد ما شابه من هذه الأشياء؛ حينها يكون ضعيفاً، أين الخلل؟

الخلل عدم تعظيمه لله، لأنه لو كان في ذهنه تعظيم لله لما عبد الأشياء.

لذلك نحن لا بدّ أن نُعظّم الله حتى نخرج من شرقة عبودية الأشياء، حتى نكون أسياداً حقيقيين، أسياداً على هذا الكون؛ لا نخشى سلطاناً، ولا نعبد سلطاناً؛ لا نخشى الجاه، ولا نعبد الجاه؛ لا نخشى الفقر، ولا نعبد الفقر؛ لا نخشى المال، ولا نعبد المال؛ ولا نخشى شيئاً، حينها يكون هناك تعظيم لله؛ كيف يكون التعظيم لله؟

عن طريق التفكير في خلق الله: التفكير في حركة هذا الكون، نحن حينها يأتي جهاز جديد، نرى فيه بعض التعقيدات، نحن ننبهر منه، ونُعظّم هذا الجهاز، ونكبر هذا الجهاز، وهذا الجهاز من صنع الإنسان؛ دعونا نأتي نلاحظ هذا الكون:

أ. هذه الشمس: تصوّروا الشمس لا تُشرق على هذا الكون، ماذا يحدث للكون؟

تصوّروا الشمس لا تُشرق، البرودة تزداد، الظلمة تشتد، وحتى نور الليل هذا مقتبس من نور الشمس؛ القمر يأخذ من نور الشمس، ويُضفي

على الأرض.

ب. هذا القمر: حتى هذا القمر ضوءه من ضوء الشمس، وحتى هذه الشمس حينما تُضيء الكرة الأرضية؛ ومن الجهة الثانية يبقى لها شعاعاً، بقدر ما يُضيء؛ فتصوروا أن هذه الشمس المُشعة على هذا الكوكب، توقف شعاعها!

ج. جاذبيّة الأرض: تصور هذه الأفلاك التي ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١)، لو أنّ الله سبحانه وتعالى بدّل حركة من حركاتها، ترتطم مع بعضها البعض؛ ماذا يكون مصيرهم؟

- تصوروا كوكب المريخ يقع على الأرض!

- مذنب يقع على الأرض! هذه النيازك تقع على الأرض! تصوّروا ماذا يحدث؟

- لو أنّ طائرة تقع على الأرض تُدمّر ما حولها!

- صاروخ يُقذف به، ينزل على الأرض، بأيّ مقدار يُدمر ما حوله! فكيف الكوكب؟ كيف النيزك؟ وكيف ما شابه؟

فدعونا نتفكّر في حركة الكون حتى نعرف عظمة الله: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢)، كيف يتفكّر هؤلاء؟

(١) سورة الأنبياء: ٣٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٩١.

يأتون يتفكرون في خلق السماوات: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ من خلال الشمس والقمر، من خلال الظلمة
والنور ﴿لَايَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١)، آيات: دلالات واضحات لمعرفة عظمة
الله، هذه آيات؛ ولكن نحن مغمضو العيون!

د. الله سبحانه وتعالى أعطانا البصر لماذا؟ هل لأجل أن نُطارِد بنات
الناس، وهذه لكي تُغري أولاد الناس؟ أو أعطانا البصر حتى ننظر في هذا
الفضاء، هذا الأفق الواسع لنعرف العظمة الإلهية؟

هـ. الله أعطانا الأذن، فلتتفكر حتى نكون من الذين يُعظمون الله، أولي
الألْبَاب: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي
خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ لا يمكن أن تكون هذه
الحركة وهذا الكون وهذا التدبير وهذه الحكمة باطل وعبث، بل وراءها
حساب؛ بالتالي هؤلاء رأوا العظمة، فرأوا النار؛ لهذا يقولون ﴿سُبْحَانَكَ﴾
نُزْهِك عن الضعف، عن الظلم، عن كل النواقص؛ لكن مع ذلك ﴿فَقِنَا
عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢).

لذلك ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٣)،
لهذا في شهر رمضان دائماً وأبداً ندعو بهاذا؟

«اللهم أَعْتِقْ رَقَابَنَا مِنَ النَّارِ» هذه من خلالها نعرف العظمة الإلهية،
ونعرف شدة العذاب.

(١) سورة آل عمران: ١٩٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٩١.

(٣) سورة البقرة: ٢٠١.

الرؤية الثانية: لابد أن نتفكر حتى تُغرس العظمة الإلهية، حتى تكون العظمة في أذهاننا حاضرة، في أنفسنا مغروسة؛ بالتالي تصغر جميع الأشياء: الوظيفة تصغر، المدرسة تصغر، المال يصغر، كل شيء يصغر.

الإنسان يُغلق عليه باباً من أبواب الحياة ينهار:

١. هذا في وظيفته: فصلوه من عمله انهار فقط! انغلقت أبواب الحياة! هو أغلق أبواب الدنيا عليه، أبواب الدنيا مُفتحة، هو أغلقها؛ لأنه عبدٌ للأشياء، فصلوك خير! فصلوه من الوظيفة يعني ماذا؟ هل سيموت؟ ولو مات افترضنا ماذا يحدث؟

ومع ذلك لن يموت.

٢. لم يجد له وظيفة ماذا سيحدث؟

ذهب سعى من هنا وهناك، طيب ليسعى، ولا يكون عبداً للأشياء؛ يسعى وليس معناه يبقى، بل يسعى لكن لا يتدمر.

٣. انتهى من المدرسة، ولم يقبلوه في الجامعة، خير لم يقبلوه في الجامعة! هل انتهت الدنيا؟

لم تنه الدنيا، ليسعى لجامعة ثانية وثالثة ورابعة؛ وليس معناها انتهت الدنيا، لا تكن عبداً ضعيفاً خائراً؛ وهذا كله بسبب عدم ارتباطنا بالله.

لهذا نحن بحاجة إلى تعظيم الله، إذا عظمنا الله الأشياء تصغر: المدرسة تصغر، والجامعة تصغر، والوظيفة تصغر، والمال يصغر، والشهرة؛ نحن نريد أن نكون مشهورين! نريد الناس كذا، لا؛ دعهم «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ

غَضِبْتَ لِلَّهِ، فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ»^(١)، سُلِبَ كُلُّ شَيْءٍ، مع ذلك لم يتغير؛ لأنَّ عنده عظمة لله: «غَضِبْتَ لِلَّهِ، فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ» لا شغل لك في الناس.

«ما ترك الحق لي صديقاً»^(٢)، أيضاً قضية تعظيم الله، تعظيم للحق بالتالي لا أحد يكون معي، كل الناس ضدي، كل الناس يتكلمون عليّ، كل الناس يسبونني، شوّهوا سمعتي كذباً وزوراً؛ فليكن، ماذا سيتغير؟

«يا هَشَامُ؛ لَوْ كَانَ فِي يَدِكَ جَوْزَةٌ، وَقَالَ النَّاسُ فِي يَدِكَ لُولُؤَةٌ مَا كَانَ يَنْفَعُكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا جَوْزَةٌ؛ وَلَوْ كَانَ فِي يَدِكَ لُولُؤَةٌ، وَقَالَ النَّاسُ: إِنَّهَا جَوْزَةٌ مَا ضَرَّكَ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهَا لُولُؤَةٌ»^(٣)، لا شغل لك بكلام الناس، هل نحن عبيد لكلام الناس؟ هل نحن عبيد لما يقولونه عنا، ما ينظر لنا الناس؟

أنا ألبس هذا الثوب ليقولوا ثوب جميل، وثوب أنيق، أنا أعمل كذا!

هذه مشكلتنا! عبدٌ للسمعة ولقول الناس، عبدٌ للأشياء؛ فلا بد من أن نخرج من عبودية الأشياء عن طريق التعظيم الإلهي، وهي من أهم الصفات؛ بل هي أصل صفات المتقين: «عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ».

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

(١) بحار الأنوار، (ط. دار الإحياء التراث)، ج: ٢٢، ص: ٤١١، ح: ٣٠، غرر الحكم ودرر الكلم، ص: ٨٠٦، ح: ٩.

(٢) بحار الأنوار، (ط. دار الإحياء التراث)، ج: ٣١، ص: ١٨٠.

(٣) تحف العقول عن آل الرسول (ص): ٣٨٦.

◀ تأملات في خطبة المتقين (٧)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف صفات المتقين: «فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ؛ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ»^(١).

في هذا المقطع يُبين الأمير عليه السلام نفاذ البصيرة عند المتقين، نتاج الرؤية الحقيقية للأشياء؛ حينما تكون هناك رؤية حقيقية لله «عَظَّمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ» ورؤية حقيقية للأشياء «فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ» حينما يبلغون هذا المستوى، طبعي أن يملكو نفاذ البصيرة؛ فيرون الأشياء الغائبة ببصيرة القلوب، والأشياء المادية تُرى ببصر الإنسان، بعين الإنسان يراها، إلا إذا جعل حاجزاً بينه وبين بصره، أو ضعف بصره؛ الإنسان يضعف عنده، فلا

(١) نهج البلاغة، للشيخ الشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٧٨.

يرَ الأشياء، أو قد يفقد البصر، أو يراها مشوشة أو لا يراها.

وإن كان في الجهة الأخرى بالنسبة إلى الحقائق تُرى بالبصيرة، فحينما يجعل حاجزاً بين البصيرة والأشياء لا يراها، أو يراها مشوشة؛ وحينما تضعف البصيرة لا يراها، أمّا إذا قويت البصيرة يرى حقيقة الأشياء، كما يرى بالبصر. هؤلاء حينما عظم الخالق، ورأوا القدرة الإلهية، ورأوا أنه كيف يكون شديد العقاب، وكيف هو غفور رحيم مُنعم ذو الطول، وما شابه.

فلذلك يقول الإمام عليه السلام بعدما يُبين: «عَظُمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ؛ فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا» فيراها مثل الذي يرى الجنة، كيف يرى الإنسان الجنة بالعين، أبصره؟ كيف يشاق إليها؟ كيف ينظر إنسان إلى طعام لذيذ شهى وهو جائع، يسيل لعابه، يسعى من أجل هذا الطعام لاكتسابه، والحصول عليه؛ أو إنسان عطشان يرى الماء، فيسعى مهرولاً من أجل شربه.

هؤلاء أيضاً بسبب رؤيتهم للجنة ببصيرة القلب يسعون دائماً وأبداً لها «كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا» رأى الجنة فهل يتوقف؟ يرى هذه النعم هل يتوقف؟

أنت مثلاً لو تضع في مكان ما قطعة ذهب بحجم كرة القدم، وتقول: يا جماعة؛ الذي يسبق يأخذها، تجد الكل يُهرول، يستبق إليها، يسعى إليها، فيراها أمام عينه.

هؤلاء يرون الجنة بروية البصيرة، فيسعون مهرولين جادين من أجل بلوغها والوصول إليها.

«فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا» يرون الجنة ببصيرة القلب، ويسعون إليها

كمن يسعى إلى مَنْ يرى الأشياء النافعة؛ طبعاً الجنة «فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ»^(١) يشعرون بالنعيم، يشعرون باللذة؛ حينما يقوم أحدهم بعمل صالح يتلذذ بهذا العمل: يصلي، يشعر بحلاوة الصلاة، يُنفق في سبيل الله يشعر بحلاوة الإنفاق، وما شابه.

«فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ» يعيشون النعيم في هذه الجنان، بهذه الأعمال الصالحة؛ في الحديث «حلاوة الإيمان»^(١)، الإيمان له حلاوة، مَنْ يتذوق هذه الحلاوة؟

هؤلاء يتذوقون، يشعرون بطعمها، يشعرون بنعمتها؛ هؤلاء يشعرون بلذة الإيمان، بسكينة القلب والاطمئنان، بالتالي اللذة الروحية العالية جداً، اللذة أنت تأكل شيئاً، لكن التلذذ شيء نفسي؛ لهذا الإنسان لو فقد حاسة الذوق، وأكل أشياء، كأنه لا يستطيعها، لا يشعر بلذة، لأن الذوق ينعكس على نفسه؛ هؤلاء يشعرون بحلاوة الجنة، وطعم الجنة.

كذلك في المقابل «وَهُمُ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا» يرون كمن يرى النار، كيف الإنسان يهرب من النار؟

النار تelfح، كان قبل عشرين سنة أو اسألوا الذين يعملون في أرامكوا، كان في درب البلد، رأى الناس بئراً يشتعل ناراً: بئر غاز، على مسافة بعيدة يلفح الوجه، لا أحد يقدر أن يقترب منها، فيشعر الإنسان بحرارتها.

هؤلاء أيضاً يستشعرون حرارتها، فبالتالي يهربون منها؛ يرون النار رؤية

(١) من روايات النبي وردت عن «حلاوة الإيمان» في كتاب: ميزان الحكمة، للريشهري، ج: ١، ص: ٢٠١، نص الرواية: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار».

العين، فبالتالي يهرب عن كل ما يؤدي إلى النار؛ لذلك ينزجر عن عمل الموبقات، عن عمل المحرمات لأنه لو ارتكب محرماً، لو ارتكب هذا المتقي محرماً يستشعر العذاب.

ولذلك مَنْ يقترب من درجات المتقين، حينما يرتكب ذنباً يعيش الآلام الشديدة، كأنها وخز إبر، أو نار تحرقه!

هؤلاء «وَهُمُ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا» رأوا شدة العقاب، كما رأوا من خلال عظمة الخالق من النعم والكرم وما شابه؛ رأوا أيضاً من خلال رؤيتهم عظمة الخالق: شدة العقاب، وبطش الجبار؛ فيرون النار تحرق، يرون لهيبها ببصيرة قلوبهم، فلا يجترئون على الله، هذه جرأة أن يرتكب ذنباً؛ لأنهم «فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ».

حينما يرتكب ذنباً يستشعر العذاب، فبالتالي الإنسان الذي لم يبلغ هذه الدرجة ويرتكب المحرمات يشعر بلذة؛ ألا ترون هؤلاء وتسمعون عن هؤلاء؟

يرتكب محرماً يستشعر بلذة، يأكل حراماً يتلذذ بأكل الحرام؛ وهكذا في بقية الممارسات المحرمة، يستشعر بلذة، في لحظات وتنتهي!

ذاك الضعيف فاقد البصيرة لا يعرف الله حقيقةً حينما يرتكب الحرام: يتلذذ، ويشعر بلذة، وراحة نفسية لحظات وتنتهي، بسبب جهله وقصوره.

أما هذا الإنسان المؤمن المتقي لو يرتكب ذنباً (تطبق السماء على الأرض، عليه) لا يتحمل، لذلك لا يتصور نفسه -مذنّباً-؛ لهذا يرى النار، لا يمكن أن يُقبل على الذنب، يرى النار وهو فيها معذب، يرى لفح النار.

لو فقط تأتي فكرة ارتكاب الذنب، يرى لفح النار فلا يقدر أن يرتكبه، يستشعر بلهيبها، فلا يقدر أن يسعى إلى ارتكاب الذنب؛ بل بالعكس يتراجع وينزجر، لأنّه يرى العذاب ويستشعره؛ هذا بسبب شفافية الرؤية الداخلية، نفاذ البصيرة.

لذلك الإمام عليه السلام يبيّن كيف: «وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ» النفس تستشعر عذاب النار، كما يستشعر حلاوة الجنة، وحلاوة الإيمان بالعمل الصالح، لهذا يسعى إليه ويستشعر بلذّته؛ هنالك حينما تُعرض عليه الأعمال المحرّمة يستشعر عذابها، هذه صفات المتّقين.

إذن من أحد الصفات الرئيسيّة: نفاذ البصيرة المتفرع عن عظمة الخالق، معرفته بالخالق يتفرع منه استشعار الجنة، واستشعار النار؛ يتفرع منه نفاذ البصيرة فيرى حقائق الأشياء بقلبه، كما يرى الله بقلبه.

الله سبحانه وتعالى لا يرى بالعين، ولذلك الإنسان يرتكب الذنب لأنّه لا يرى الله، ولا يرى أن الله يراه! أمّا ذلك المتّقى وذلك المؤمن يرى الله رقيباً عليه، لا يتجرّأ؛ كشخص يخاف من أبيه (وأبوه على رأسه) هل يرتكب ذنباً وجراً؟

لا يرتكب، يحاول أن يُعافل والديه، ويُعافل ذاك لكي يرتكب الجرم، هذا الإنسان يرى الرقابة الإلهيّة؛ لذلك لا يرتكب الجرم، يرى ذلك ليس ببصره، بل ببصيرته.

لذلك عندهم نفاذ بصيرة، حقائق الأشياء يرونها ببصيرة القلب؛ لذلك: «فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ؛ وَهُمْ وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا،

فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ» لكن كيف هم مُعَذَّبُونَ؟

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١)، هؤلاء يرون من خلال تلك الآيات والعلامات العظيمة الإلهية، والقدرة الإلهية، والبطش الإلهي من جانب؛ والعظمة الإلهية، والقدرة، والنعيم، والكرم الإلهي، وذا الطول من جانب آخر.

لذلك ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ لاحظوا ذلك بالبصيرة فتكون عندهم بصيرة ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ﴾ لاحظوا كيف صار عندهم نفاذ البصيرة حينما رأوا العظمة الإلهية؟

﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢)، العظمة الإلهية يسألون ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

نحن بحاجة إلى أن نكون من أمثال هؤلاء: أصحاب عقول، أولي الأبواب الذين تكون عقلهم حاضرة، ليست مغيبة؛ لهذا الأنبياء يأتون من أجل ماذا؟ من أجل أن «يُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ»^(٣)، العقول محجوبة لهذا لا يرون الحقائق، إنسان لا يرى العظمة الإلهية؛ لذلك يرتع في نعم الله ويعصه، ولذلك يرتكب المعصية، يرتع في الذنوب غامساً، غافلاً على عكس هؤلاء أصحاب العقول، هناك بصيرة لأصحاب العقول، لأولي الأبواب هؤلاء هم المتقون.

(١) سورة آل عمران: ١٩٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٩١.

(٣) نهج البلاغة، ص: ٣٤.

لذلك لا بد أن نسعى لأن نكون من أولئك المتقين الذين يرون الحقائق،
حقائق الأشياء، ببصيرة قلوبهم، وذلك عن طريق: ترسيخ العظمة الحقيقية
لله، وأن تكون عقولنا حاضرة، ونرفع الحجب، ونتجاوز الذنوب التي
تجلب القلوب، ونُثير هذه العقول: بأن نتفكر فيما حولنا، في أمرنا، في
أنفسنا، في أفعالنا، في مصيرنا، في عواقب أمورنا وأعمالنا؛ نتفكر حتى نغرس
شجرة العظمة الإلهية في أنفسنا، حتى يُعظم الخالق في النفس.

وبالتالي تتهاوى الأشياء وتصغر، فلا أرى لهذه اللذات المحرمة من قيمة،
وبالتالي أتصور النار، وأتصور الجنة، وأتعم بنعيم الجنان، وأتعذب بعذاب
النيران.

نسأل الله أن نُوفّق لأن نكون من المتقين الذين يرون الجنة ببصيرة قلوبهم،
ويعيشون نعيمها، ويرون النار بنفاذ البصيرة، ليردعوا عما يُلقى الإنسان
فيها، حتى نرى الأشياء في الدنيا قبل الآخرة؛ إنه سميع الدعاء.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ صلى الله على محمد وآله الطاهرين.

◀ تأملات في خطبة المتقين (٨)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: «قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ، وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ»^(١).

في هذا يُبين الإمام خمس صفات يتصف بها المتقون:

الصفة الأولى: الحزن على ما فات، الحزن على ما ضيع في جنب الله: الفعل يُفوته من اللهو، ويُضيع عمره في أمور لا تنفع، إن لم تكن تضر.

هذا الإنسان المتقي يملك كثير من الصفات تجعله يندم على الفترة الزمنية التي مضت، كيف لم يستثمرها في رضا الله؟

(١) نهج البلاغة، للشریف الرضی، تحقیق: الحسون، ص: ٤٧٩.

وهو يحزن على الماضي، وهذا يدفعه لاستثمار واستغلال كل فترة زمنية التي يعيشها أو المستقبل، هكذا يكون للزمن قيمة، ولأعمال الخير قدسيّة.

الصفة الثانية: السلم وعدم الاعتداء على الآخرين: «وَشُرُّهُمْ مَأْمُونَةٌ» لأنّه يعيش معهم يأمن شرهم، لأنّه لا يبدر منهم الشر؛ لهذا يعيشون الاستئمان، مسألة رئيسيّة؛ حينما يعيش الإنسان مع مجتمع يأمن فيه: على نفسه، على ماله، على عرضه، هذا الإنسان المتقي لا يُخاف منه الاعتداء وما شابه.

الصفة الثالثة: «وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ» وهو تعبير عن عدم التوجه إلى هذه الدنيا من جانب، والانشغال بالعبادة من جانب، والسهر في العبادة من جانب آخر؛ وعدم التوجه إلى ملذات الأطعمة، هذه النفس لا تهتم بأكل الطيبات.

طبعاً يأكل ما يُقوّم بدنه، ويُقوي بدنه؛ لكن لا يشغل بأكل الطيبات، هذه الأكلة، وتلك الأكلة، ليلاً نهاراً أكل وما شابه؛ هذا يأكل قليلاً مما يُقوّي بدنه وكافي عليه، لا يكون إنسان كل يوم يوزن نفسه، كم وزنه؟ يوجد أناس هذا تفكيرهم وبهذه الطريقة! كل يوم يوزن نفسه! فهو لاء ليس عندهم توجه إلى الأطعمة.

الأمر الآخر يكون سهر الليل في العبادة، الجسم يضعف بسبب حركة العبادة، وما يحمل من هموم القيم، تجد هذا الجسم ينحف لأن هذا يحمل همّ القيم، لهذا تجده ضعيفاً جسمياً أو جسدياً، أو نحيفاً ضعيفاً جسمه بمقابل النفس.

الصفة الرابعة: خفيفي المؤونة، لا يتطلّعون إلى الدنيا، لهذا حاجياته قليلة؛ لاحظوا سلمان رضي الله عنه حينما جاء يحزم أمتعته (أخذ الأولي والتالي)، حاملاً أغراضه على كتفه ومشى؛ قال له الأمير عليه السلام: «فاز المخفون يا سلمان» ليس عنده شيء في الدنيا يحمله معه.

تعالوا لاحظوا نحن إذا أردنا أن نتقل من بيت إلى بيت، يحتاج لنا ثلاثة أسابيع حتى نقل عفشنا؛ ترى هذا الإنسان في غرفته، هو شاب، غير متزوج، ترى غرفته مليئة بكل شيء، حتى هو يحتاج له بيت بمفرده! وهكذا.

هؤلاء خفيفون: في الأطعمة، قليل من الطعام يكفيهم، والملابس، قليل من الملابس تكفيهم؛ وهكذا من كل شيء قليل ما يحتاجون إليه من أمور مادية، وهذا الباب ويحصلون عليه، يتعبدون فيه؛ هذه صحيحة لا تختلف، يعني يكون بقدر حاجتهم إلى الدنيا.

إذا كان الإنسان القليل يكفيه: ما في يده يكفيه، وما عنده يكفيه؛ وإذا كان لا يكفيه، لو كان أعطي الدنيا كلها لا تكفيه، هذا الإنسان يكتفي بما يحتاج إليه، حاجاته جداً خفيفة.

الصفة الخامسة: العفة - ولها جانبين -:

أولاً: إنسان لا يعتدي على أعراض الآخرين، يتعفف.

ثانياً: لا يخضع للآخرين حاجةً، تعال أعطنا وما شابه؛ لديه عفة، تمتنع أن تذلل نفسها عند الآخرين، وشهواته وأهوائه هو متحكم فيها؛ بالتالي لا تضغط عليه: في هذا الطعام، في هذا الشراب، في هذا الجنس، وغيرها من حاجات؛ لا يتطلع إلى هذه الأمور.

لهذا حاجاتهم خفيفة، ليس عندها إقبال على هذه الأمور، وإنما من أجل احتياج البدن، من أجل الحاجة التي جعلها الله طبيعياً لا أن يتجاوز حدوده فيه.

هذه كانت صفات يتّصف بها المتّقون:

الصفة الأولى: الحزن على ما فات، الإحساس بالشعور بالتضييع فيما مضى لا بدّ أن يحزن، وإلا يوم القيامة الإنسان يتندم؛ الإنسان المؤمن يتندم لأنّ عنده إحساس وشعور، هناك يظل واقفاً، بأي مقدار ضيّع.

يشعر بالشيء الكبير، يعني صلاة ركعتين ضيعها؛ لكن شيء كبير خسر في الآخرة، لهذا الإنسان يندم، وهكذا الوقت الذي ضيعه؛ فبالتالي وهذه النقطة الأهم: الزمن لا يضيعه، يُكرّسه في العمل في سبيل الله وفي رضا الله.

الصفة الثانية: الإنسان يعيش مع الآخرين بأمن وأمان، لا الاعتداء على الآخرين، والناس تخاف منه وما شابه، هذه يتركها؛ تخاف أن يسرقها، تخاف أن يعتدي عليها، تخاف أن ينهبها، تخاف وتخاف.

الصفة الثالثة: هذه الأمور ونقطة مركزية وأساسية: تكريس الأمور في العبادة، التفرغ والسهر للعبادة.

لهذا الأمير عليه السلام يقول: «إِنْ نُمْتُ اللَّيْلَ ضَيَعْتُ نَفْسِي، وَإِنْ نُمْتُ النَّهَارَ ضَيَعْتُ رَعِيَّتِي» في الليل عبادة، يقوم ليله، ويرى قليلاً، وليس كل شيء يريده الجسم يصير؛ النهار أداء دور، وفي الليل عبادة، مع أنّه شاب يرغب، لكنه يتعب من أجل أن يأتي ليلته - للعبادة - أرفع من أن يخضع للأهواء، لهذا يتفرغ للعبادة والذكر.

الصفة الرابعة: هو أكبر من حاجيات الدنيا، وهو تعبير عن اجتهاده لا تستعبده الأشياء لأنه هو سيد نفسه؛ لا أن يكون عبداً للطعام، عبداً للشراب، عبداً للجنس، عبداً للسيارة، عبداً للشهرة؛ المتقي ليس عنده حاجة في هذه الدنيا، بل حاجته من الدنيا شيء بسيط.

لاحظوا ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ هذا الهدف كل جهده يُكرّس هناك ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(١)، تنس النصيب: يعني الحاجة الأساسية، ما يحتاجه من أشياء بما يُقوّم بدنه، ليس أكثر وما شابه.

الصفة الخامسة: العفة، الامتناع عن الخضوع للأشياء أيضاً، ومنها: عفة البطن، وعفة النفس، وعفة الفرج، وعفة النظر وما شابه؛ تجعله يبتعد عن الأشياء، والخضوع للأشياء، والعبودية لها.

هذه أمور يتصف بها المتقون، نسأل الله أن يُوفّقنا لأن نكون من المتصفيين بهذه الصفات.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) سورة القصص: ٧٧.

◀ تأملات في خطبة المتقين (٩)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وأشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: «صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيراً، أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً؛ تِجَارَةٌ مَرْبُحَةٌ، يَسْرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ»^(١).

في هذا المقطع يُبين الأمير عليه السلام بعض صفات المتقين ونتاج تلك الصفات:

الصفة الأولى: الصبر.

الصفة الثانية: التجارة مع الله.

الصفة الأولى: الصبر: «صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيراً» هذه الدنيا مهما طالَت فهي

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٧٩.

أيام معدودة قصيرة، كم يُعمر الإنسان في هذه الدنيا، مائة سنة؟
لو افترضنا أن الإنسان يُعمر في هذه الدنيا مائة سنة، أيامها تُعد وتُحصى،
فبالتالي هي قصيرة جداً؛ أما بالنسبة إلى الآخرة فهي دار لا تنتهي، تطول
وأبدية؛ بالتالي الدنيا بالنسبة إلى الآخرة تكون قصيرة جداً مهما طالت.

«صَبِرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً»: أي صبروا في هذه الدنيا، صبروا على الدنيا كلّها
«أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً».

الصفة الثانية: التجارة مع الله: الإنسان يأخذ ويعطي، في هذه الدنيا لا بدّ
أن يعطي حتى يأخذ، لا بدّ أن يعطي:

أ. يريد شهرة لا بدّ أن يعطي من نفسه، من جهده، من وقته، من تطلعاته
الأخرى؛ شهرة، أشياء عادية، قضية دنيوية عادية.

ب. يريد مالاً لا بدّ أن يعطي: من جسده، من شخصيته، من وقته، من
راحته، وما شابه.

كل شيء لا بدّ أن يُعطي حتى يأخذ سلباً أو إيجاباً، جانب مادي أو جانب
معنوي؛ لا بدّ من العطاء، وهذه التجار تُعطي وتأخذ؛ لكن هؤلاء عطاؤهم
وأخذهم إلى الله ومن الله.

لذلك تجارتهم مع الله، لهذا تلك التجارة هي مربحة ﴿رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾^(١)،
يوجد جماعة خسرت تجارتهم، يوجد جماعة ربحت تجارتهم؛ هؤلاء ممن
يربحون التجارة، المنافقون خسرت تجارتهم، المؤمنون ربحت تجارتهم.

(١) سورة البقرة: ١٦.

﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(١)، هذه التجارة تجارة مع الله «تِجَارَةٌ مَرْبِحَةٌ، يَسَّرَهَا لَكُمْ رَبُّكُمْ» السَّيْرُ فِي الطَّرِيقِ، سهَّلَ اللهُ لهم الولوج في هذا الطريق، في هذه التجارة؛ ومرتبطة به العمل ما يُسهِّل الولوج فيه، هذا الصفة الثانية.

لاحظوا أنَّ هاتين الصفتين صفتان رئيسيتان:

الصفة الأولى: الصبر هو أم الفضائل، وأساس كل صفة خير هو الصبر؛ لهذا الإنسان الذي يريد يُرَبِّي نفسه، يُهَذِّب نفسه بصفات الخير، بالفضائل يحتاج إلى الصبر، يتعب الإنسان؛ الإنسان يقول أنا عندي كسل، أريد أكون نشيطاً، مدة يوم يومين يصير نشيطاً؛ لكن هل يستمر؟

يحتاج حتى يُوجد الصبر، حتى يُوجد النشاط والحيوية، يحتاج إلى صبر؛ إنسان ليس لديه مزاج أن يقرأ كتاباً، يقرأ من كتاب صفحتين ويمل؛ يتمنى أن يقرأ.

صفة القراءة صفة حميدة أن يقرأ الإنسان، ليس كتاباً بل يقرأ قرآناً؛ من الصفات الحميدة المحببة أن يقرأ القرآن ويتدبر فيه، فقط يقرأ قرآناً حتى لا يتدبر فيه، يقرأ صفحتين ويمل؛ يحتاج إلى الصبر.

يحتاج أن يصبر، يقول حينما يصبر يحصل الذي يريد؛ ولهذا ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾^(٢)، وفي آية أخرى ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾^(٣)، الاستعانة بالصبر والاستعانة بالصلاة كبيرة

(١) سورة الصف: ١٠.

(٢) سورة البقرة: ٤٥.

(٣) سورة فصلت: ٣٥.

وليست قليلة، يحتاج لها إنسان يتحملها ﴿اضْبُرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾^(١)،
﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾^(٢)، وفي آية أخرى ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾^(٣).

الصفات الحسنة وما شابه من الفضائل ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٤)، المتقون بالصبر بلغوا الدرجات العليا كلها، لذلك هذه من الصفات الرئيسية، لكن أين المشكلة؟

في الصبر، لو نحن نصبر قليلاً نلقى؛ ما هي الدنيا؟

الإمام يُعبر يقول: هذه الدنيا هي أيام قليلة، كيف تُنظم -أمورك بها-؟

اصبر، كلّها أيام الدنيا بكاملها، تفصّل وكلها أدخل عليها عملية الصبر؛ هذا لم يكن نظره إلى الدنيا، بل نظر إلى الآخرة فرأى الدنيا بالنسبة إلى الآخرة قليلة جداً، فتحملها؛ كيف يصبر الإنسان على شيء مجهول نسبة الحظ فيه واحد من ملايين، يصبر ويدفع؟ ألا ترون الذين يدخلون في مسابقات، يشتري الجريدة مثلاً؟

كانت جريدة الشرق الأوسط يبيعونها على الناس وجعلوها بثلاثة ريال، على أساس: مسابقة وريح المليون! هي الجريدة تباع بالملايين! فحينها زادوا ريالاً، ربّحوا ملايين؛ أعطوه جائزة مليون! تُباع للناس بكم؟

الناس اشترت، ويوجد أناس تشتري جريدتين وثلاث، ويصبر يشتري، ويصبر يدفع أموال؛ وسنة وستين على ماذا؟

(١) سورة آل عمران: ٢٠٠.

(٢) سورة فصلت: ٣٥.

(٣) سورة القصص: ٨٠.

(٤) سورة البقرة: ٢٦٩.

على أساس أن يحصل على ذلك المليون، يصبر ويدفع؛ ولو قلت له تعال ادفع هذه الثلاثة ريال إلى فقير، لما دفعها! يعني مثلاً شهر خلال كل يوم ٣ ريال، يعني ٩٠ ريال؛ لو قال ادفعها، اكفل يتيمًا بتسعين ريالاً، وأعطيتها إياه لا يدفع! نفسه شحيحة، لكن لذاك يصبر ويدفع، هذا صبر على ماذا؟

على لا شيء! الإنسان يصبر في العمل من أجل أن يحصل على لقمة العيش، وهكذا الصبر في الأمور الأخرى؛ هؤلاء لأنهم رأوا الدنيا، ورأوا الآخرة فصبروا، ورأوا الدنيا قصيرة ولهذا صبروا أياماً معدودة، أعقبتهم راحة طويلة «صَبَرُوا أَيَّاماً قَصِيرَةً، أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً» المشكلة في الإنسان أين؟

يُحب الراحة؛ حينما يقرأ القرآن يمل، يريد أن يرتاح لأن فيه جهد ويتعب، ليس فيه جهد وتعب حقيقي، هو كسول، هو ملول؛ لكن مع ذلك لو كان فيه جهد وتعب تركه.

لهذا من الضروري أن يُجهد الإنسان نفسه قليلاً، أحياناً يملّ من بعض الأمور لكن يقوم بها ليستأنس، ساعات ينتظر أصدقاءه وجماعته يتجمعون في ذلك المكان، وهو (ملان زهقان): إذا قرأ كتاباً، لا يصبر، يريد الراحة! يقول الله «وَوَضَعْتُ خَمْسَةً فِي خَمْسَةٍ، وَالنَّاسُ يَطْلُبُونَهَا فِي خَمْسَةِ غَيْرِهَا فَلَا يَجِدُونَهَا: ... وَوَضَعْتُ الرَّاحَةَ فِي الْجَنَّةِ» الناس «وَهُمْ يَطْلُبُونَهَا فِي الدُّنْيَا فَلَا يَجِدُونَهَا»^(١)، إذا أراد الراحة، الراحة في الجنة، الدنيا ليس فيها راحة.

يمكن أن يتمتع الإنسان لحظات لكن ليس فيها راحة، المؤمن عنده

(١) عدة الداعي ونجاح الساعي، لابن فهد الحلي، ص: ١٧٩.

سكينة ليس عنده راحة؛ المؤمن عنده سكينة، الجسد يتعب، الذهن يتعب، التفكير يتعب، البطن يتعب، الأسنان تتعب؛ شخص يأكل ويأكل، يتعب أو لا يتعب؟

يتعب، الرسول دعا على معاوية، قال: «اللهم لا تشيع بطنه»^(١)، يأتون له بالأكل، يأكل، ويأكل، ويأكل، ولا يشيع؛ يقول «والله ما شبع، ولكن كلت أسناني» لا يشيع، يتعب حتى يتلذذ بالطعام يتعب!

جرب أنت أن تأكل علكة، تمضغها وتمضغها إلى أن تنتهي -نكهتها-، أسنانك تتعب، لكن لا ترميها؛ يوجد أناس يفعلون ذلك، تعب من العلك! الدنيا مستمرة حتى لو لم يكن فيها متعة، ليس فيها راحة؛ الراحة هناك في الآخرة، هؤلاء صبروا وتحملوا التعب وحصلوا على الراحة الطويلة، هذه صفات المتقين؛ إذن القضية والنتيجة جميلة، النتيجة مطلوبة، يتطلع لها الإنسان: وهي الراحة.

الإنسان يطلب الراحة، الإمام يقول هناك في الآخرة: بالصبر، بالتعب، بالجهد؛ تصبر على هذه، يعقب هذا العمل الراحة؛ هذا الجانب الأول.

لهذا نحن إذا أردنا الراحة لابد أن نصبر، لابد أن نتحمل، لا نمل، لا نتعب؛ ونتوقف، ونكفّ:

أ. مثلاً قرأت لي صفحة توقفت، بطلت!

ب. قمت بعمل خير يوم، وبعدها توقفت وبطلت!

(١) بحار الأنوار، (ط. دار الإحياء التراث)، ج: ٤٤، ص: ٧٦.

ج. صرت متديناً، كم يوم ورأيتُ أن هذا فيه جهد وتعب، يحتاج صبر!

د. يحتاج قراءة قرآن، تعب، وترك من هذه القضايا!

هـ. تدبر في هذه الآية، تعب! يُنشئ فئة كبيرة على اللعب والعبث والضياح والتيه والناسه!

أنا أقول لماذا أصلي، ولا أتخلص من هذه الحالة: من أن آتي ألترم، وأصلي جماعة، وأقرأ القرآن، ولا أغتاب أحداً، ولا أظلم أحداً، ولا أستمع محرمات، ولا أكل الحرام، ولا أعتدي على الناس، ولا أظلم وما شابه، مسؤولية هذه. فنحن بحاجة إلى أن نغرس شجرة الصبر في كل شيء: «ما ورد عليَّ أمران قط لله فيها طاعة إلا اخترت أشدهما على نفسي»^(١)، تجلّدوا، اخشوشنوا؛ هذا القسم الآخر.

الصفة الثانية: التجارة مع الله، أنا أفعل الشيء لماذا؟ من أجل السمعة، من أجل الشهرة، لماذا؟

هذه الأمور كلها زائلة، هذا الذي أعطيه هو الذي يبقى؛ لكن ما تأخذه يزول، لا يبقى؛ أما العمل الصالح الذي تعمله، هذا الذي يبقى.

الكلمة الطيبة هذه تبقى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٢)، ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(٣)، يوم القيامة سعيك بالعمل الصالح يبقى.

(١) روضة المتقين، للشيخ محمد تقي المجلسي، ج: ٥، ص: ٥٣٢.

(٢) سورة فاطر: ١٠.

(٣) سورة النجم: ٣٩.

العمل الذي هو ينعكس من الإيمان بالله حقيقة التدين، الإيمان بأهل البيت عليهم السلام، والإيمان بقيم السماء، والجهاد في سبيل الله، والجهاد بالنفس، والجهاد بالمال، والجهاد بالوقت، يُجاهد الإنسان بوقته في سبيل الله لا يجلس يعبث هنا وهناك، هذا لعب يتركه هناك.

الجهاد بالعمل الصالح، الجهاد بخدمة المؤمنين، الجهاد بمساعدة المحتاجين، الجهاد بالتعاون، هذا ﴿هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^(١)، ما هي التجارة؟

في آية أخرى: ﴿وَتَجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾^(٢)، نُجاهد في سبيله، الإيمان بالله: يعني الإيمان بالله، وقيم الله، وقيم الرسالة، هذا الإيمان؛ فنحن نُؤمن بماذا؟ هل نُؤمن بالسمعة، نُؤمن بالسلطان، نُؤمن بالمال، نُؤمن باللباس، نُؤمن بالطعام؟

هذه التجارة زائلة! أمّا الإيمان بالله: «الْمَرْءُ بِأَصْغَرِيهِ بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ»^(٣)، هذا القلب هو عقيدة وإيمان، إيمان لماذا؟

إذا كان القلب مغروساً فيه إيمان، امتلاً نوراً؛ هذا النور هو الذي يشع يوم القيامة، هذه التجارة التي تبقى، هذا النور يبقى، مهما حاولوا وحاولت البشرية إطفاء هذا النور يبقى.

المحور الآخر الجهاد، اللسان هذا ماذا ينطق؟ هل ينطق خيراً، كلمة طيبة؟

(١) سورة الصف: ١٠.

(٢) سورة الصف: ١١.

(٣) ميزان الحكمة، للريشهري، ج: ١، ص: ٢٢٤، وردت الرواية في بحار الأنوار، (ط. دار الإحياء التراث)، ج: ٥١، ص: ٢٤٢، بلفظ: «المرء بأصغريه ذكاء قلبه ولسان يعبر عنه».

﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ﴾ هذه الكلمة الطيبة تبقى ﴿طَيِّبَةً أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ لأن هذه تدوم ﴿تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾^(١)، في الدنيا والآخرة، الجهاد يُعطي ثمرته في الدنيا والآخرة «جاهدوا تورثوا أبناءكم عزاً»^(٢)، أما الذي يترك الجهاد ماذا؟

«أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثُوبَ الذِّلِّ»^(٣)، كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام، في الدنيا يخسر؛ في الدنيا يُعز هو وعياله، هذا بالجهاد يكون عزيزاً ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾^(٤)، العزة هنا في الدنيا حتى يُجاهد، هذه الكلمة الطيبة؛ أمّا الكلمة الخبيثة: يُنافق، يكذب، يغتاب، هذه كلها كلمات؛ وفارق بين كلمة تُقدم الحياة، وكلمات لا تُقدم شيئاً.

فإذن لابدّ من الاستغفار، وأخذ طريق التجارة مع الله؛ الله سبحانه بين: بعث الرسل، وأنزل الكتب، ومن رحمة الله: أنه حَبَّبَ إلينا الإيمان، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾^(٥)، ما الذي حَبَّبَهُ إلينا؟

الإيمان حَبَّبَهُ لَنَا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، كرهه في قلوبنا في فطرتنا: الأمور السلبية الكفر، والعصيان، وما شابه من هذه الأمور؛ الشيطان يأتي يُزينها، ذاك جانب آخر؛ أمّا الله سبحانه وتعالى حبيبها لهم،

(١) سورة إبراهيم: ٢٤-٢٧.

(٢) الكافي (ط. الإسلامية)، ج: ٥، ص: ٨، ح: ١٢، وردت الرواية عن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ: «اغزوا تورثوا أبناءكم مجدداً».

(٣) نهج البلاغة، ص: ٧٧.

(٤) سورة المنافقون: ٨.

(٥) سورة الحجرات: ٧.

لذلك يسرها: «يَسِّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ» هذه التجارة.

نحن بحاجة إلى أن نتاجر مع الله، نجعل تجارة مع الله، حتى نبلغ درجة المتقين.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

◀ تأملات في خطبة المتقين (١٠)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: «يُحْزَنُونَ بِهِ أَنْفُسُهُمْ»: يُحْزَنُونَ بالقرآن، وقبل ذلك: «أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُّونَهَا تَرْتِيلاً، يُحْزَنُونَ بِهِ أَنْفُسُهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ»^(١).

في هذا المقطع يُبين الأمير عليه السلام كيفية تعامل المتقين مع القرآن، وبتعبير آخر: كيف يستفيدون من قراءتهم للقرآن؟

المتقون حينما يقرءون القرآن، لا يقرءون حروفاً من دون معاني، ولا يُرددون كلمات لا أثر لها على أنفسهم؛ إنما يقرءون القرآن ببصيرة قلوبهم، ويفتحون أسماع وأبصار قلوبهم إلى القراءة؛ لذلك يقرءون القرآن قراءة

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٧٩.

متدبر، متفقه، متعلم.

لذلك الصفة الأولى: «يُحْزِنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ» حينما يقرؤون القرآن، ويرون النعم، ويرون الخيرات ويعرضون أنفسهم على القرآن يُلاحظون الفارق الكبير: بين شخصيتهم الخارجية، وبين الشخصية التي أَرادها القرآن.

لذلك يعيشون الحزن، يحزن على ما فات، على ما ضيَّع؛ طبعاً هذه الشخصية هي شخصية قرآنية كاملة، حينما يقرأ القرآن يقرأ شخصيته من خلال القرآن، فيرى النقص، يرى الضعف، يرى التقصير، يرى الفاصلة الكبيرة.

لذلك طبعي أن يحزن على ما مضى، فمن صفاتهم: «قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ» على ما مضى، وعلى ما تركوا من خيرات؛ حينما يقرؤون القرآن يلتفتون إلى ذلك. الإنسان قد يقرأ القرآن، ويختم القرآن باليوم مرة ومرتين؛ لكن لا أثر للقرآن على سلوكياته، لأنّه يقرأ قراءة تلفظ بلا معاني، قراءة كلمات من دون أثر، من دون أن تبلغ تلك الكلمات قلبه.

أما هؤلاء حينما يقرؤون القرآن، ويرون صفات المتقين، صفات المؤمنين، تكاليف المؤمنين؛ يرون الخطاب الإلهي، هي لمن يسمع الخطاب الإلهي، ويرى نفسه بعيداً عن الخطاب لذلك يحزن قلبه.

الصفة الثانية: يقرأ القرآن لكي يتعلم ويتعلم منه، الإنسان في اليوم يحتاج إلى أن يزداد علماً، ليس عنده علم بكل شيء؛ فبالثاني يقرأ القرآن من أجل استثارة عقله، هذا الجهل مرض، لابد أن يُزيله، يُداويه بالقرآن؛ داء الجهل في مقابل العلم، أو الجهل في مقابل العقل، كلا الجهلين داء يحتاج إلى دواء،

كيف يُداوي جهله؟

بقراءة القرآن؛ جاهل بمعرفة الحياة، من خلال قراءته للقرآن يفقه القرآن،
فُيُداوي جهله، يتدبر في القرآن، فُيُداوي جهله بالحياة، وجهله بالسنن،
وجهله بالتكاليف، وجهله بشخصه، وجهله بكل ما يدور ويحيط به.

هذا الإنسان يعيش الجهل، فكيف يتجاوز هذه الحالات من الجهل،
يصبح عارفاً بالسنن، وعارفاً بنفسه، عارفاً بما يدور حوله، عارفاً بالحياة؛
يعلمها ويعرفها حقيقةً من خلال قراءته للقرآن.

كذلك الإنسان يرتكب الموبقات جهلاً، ارتكاب المعاصي، ارتكاب
الذنوب، الاعتداء على الناس، ظلم الناس، غيبة الناس، استماع المحرمات،
الذهاب إلى أماكن محرمة وما شابه من هذه الموبقات والمعاصي والمحرمات
هذا جهل؛ فكيف يُعالج هذه الجهل؟

من خلال قراءة القرآن، يهيج آيات القرآن حتى يهيج عقله ويستثير، كيف
حال الغبار، حينما يأتي هواء هائج يُهيج الغبار، فيستثيره؟

ثار الغبار بسبب الهيجان، أيضاً هنا يُثير الفكر: الفكر جامد، فيثير العقل،
العقل محدود، يحتاج إلى شيء يُهيجه؛ القرآن يقوم بعملية التهييج، فيثير
هذا العقل، يُثير هذا الضمير، حتى يُداوي تلك الأمراض التي انطبعت في
القلب، وأضعفت الروح وما شابه.

لذلك «يُحْزَنُونَ بِهِ أَنْفُسُهُمْ، وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ» داء، أمراض؛
الجهل أمراض وما شابه، تحتاج إلى دواء، أنت هل تريد دواء؟

بهذا يصير دواء، الآيات تكون دواء لهذه الجهل؛ هذه صفات المتقين،

وكيفية قراءتهم للقرآن:

الخطوة الأولى: يقرؤون القرآن، ويُقارنون شخصيتهم بالشخصية التي أرادها القرآن، ويرون الفارق ويرون ما ضيعوه، وبالتالي يحزنون.

الخطوة الثانية: يبدوون بإعادة صياغة الشخصية من جديد، وفق القرآن عن طريق معالجة الأمراض التي طبعت على القلب؛ فبالتالي يُثيرون عقولهم وضمائرهم لمعالجة تلك الأمراض.

نسأل الله أن نوفق لأن نقرأ القرآن قراءة المتقين، لمعالجة الجهل والجهالة.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

◀ تأملات في خطبة المتقين (١١)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في صفات المتقين: «أَمَّا اللَّيْلَ فَصَافُونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُّونَهَا تَرْتِيلًا»^(١).

من الصفات التي يتخلق بها المتقون: هي الروح العبادية، وعلاقتهم بمصدر التشريع وهو كتاب الله، لأن التقوى تحتاج إلى زاد، وزاد التقوى هو القرآن الكريم، بتدبر وتأمل.

فهم في النهار ينطلقون لكسب معيشتهم، ولأداء ما تتطلبه الحياة منهم؛ أما الليل فيتفرغون لعبادة الله، ومن أهم تلك العبادات هي تلاوة القرآن:

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٧٩.

﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾^(١)، فهؤلاء المتقون عندهم علاقة وثيقة بالقرآن، منه يستلهمون الفكر، ومنه يأخذون العبر والدروس، وبه يتعظون.

وبالتالي ترى هؤلاء: «أَمَّا اللَّيْلُ» في الليل «فَصَافُونَ أَفْدَامَهُمْ» عبادة، تعبير عن الوقوف والنظام «تَالَيْنَ لَأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ» ماذا يفعلون هؤلاء في هذه الليالي؟ هل يجلسون يسهرون: على لا شيء، على كلام فارغ، على غيبة ونميمة، على نكتة؛ أم يسهرون لشيء نافع؟

لهذا يأتي الأمير عليه السلام يُعلمنا، يقول: أين أنت وأين المتقين، أنا إذا كنت أريد أن أكون مُتَقِيًّا فهذا طريقه، إذا أردتَ هذا طريق المتقين، ذاك ليس طريق المتقين؛ جلسة وسهرة ونكتة ليست طريق المتقين، بل طريق المتقين هو هذا ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾^(٢)، فذاك يدعو ربّه، يتلو القرآن؛ والعشي قبل أذان المغرب أيضاً يدعو ربّه، يقرأ القرآن أو ما شابه، ذكر وعمل خير.

«تَالَيْنَ لَأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرْتَلُونَهَا تَرْتِيلاً» الترتيل: هو عبارة عن الوضوح، والتدبر والتأمل، فهؤلاء يقرؤون القرآن بتدبر وتأمل وتأنّي.

الأمير عليه السلام يقول: «إِنْ نُمْتُ اللَّيْلَ ضَيَعْتُ نَفْسِي، وَإِنْ نُمْتُ النَّهَارَ ضَيَعْتُ رَغِيَّتِي» هو في النهار يتحمل مسؤولية المجتمع، وإدارة الدولة؛ وفي الليل مسؤول عن إدارة نفسه، تهذيب نفسه، بناء نفسه؛ المتقي هو هذا يهذب نفسه ويربيها.

(١) سورة الإسراء: ٧٨.

(٢) سورة الكهف: ٢٨.

المتَّقِي هو هذا الذي يتخذ الليل طريقاً لتعميق العلاقة مع الله، عن طريق: العبادة، وتلاوة القرآن؛ نحن لا بدّ أن نكون هكذا، وبإمكان أي شخص منا أن يتخذ هذا المنهج، ما هو المانع؟

لا يوجد شيء يمنع أن أكون رساليّاً، فبالتالي بإمكانني أن أكون أنا من المتّقين، لكن هذا برنامج المتّقين؛ فالأمور لا تحدث من دون مقابل، لو كانت الأمور بالأمني، لكان أي شخص يقول: أتمنى أن أكون من المتّقين ويكون! لكن الأمور بالسعي: ﴿وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾^(١)، نحن إذا أردنا أن نكون من المتّقين بهذا، ونحن الآن في شهر رمضان، دعونا نسأل أنفسنا: نحن في هذه الليالي ماذا نفعل؟

لاحظوا الشيطان يأتي، مسلسل وراء مسلسل وما شابه، هذا طريق! يجلس الإنسان، يأتي الشيطان يُرغبك في الديوانية اجلس للحكايات، أقعد! لا تريد أن تُشاهد مسلسلات، اجلس لأحاديث الناس؛ اغتاب، تحدث عن هذا، بين مساوئ هذا! الشيطان يأتي يقول لك: اجلس في هذه الديوانية، هذا طريق!

تارة ديوانية يتعاهد أفرادها بين بعضهم بعضاً، أن يكون عندنا برنامج إيماني؛ يكون عندنا ندوات، حوارات علمية يستضيفون فيها أهل العلم وأهل التقوى أو ما شابه، مجالس نور؛ تارة مجالس سوء، كل ليلة جالسين، نحن ونحن! في أحاديث لا نتاج منها! أحاديث ليست منتجة، هل هي منتجة؟

(١) سورة النجم: ٣٩.

ليست منتجةً، طبيعي، ماذا ينتج هذا المجتمع الذي يقضي وقته من دون فائدة، عبثاً؟

يأتي يقول لك صفات المتقين، المتقي يُريّ نفسه حتى في النهار يقدر أن يُعطي، وينتج أضعافاً مضاعفة؛ حينما يجلس في الليل يقرأ الكتاب، ويتلوه، ويتدبر فيه؛ ينعكس ذلك على سلوكياته، ينعكس على إرادته وطاقته، تكون عنده إرادة أقوى، وتبرز الطاقات في النهار، ويبرز السلوك الحسن، ويبرز الإنسان المسؤول، هذا القرآن ونتائجه.

فبالتالي حينما يقرأ القرآن يتدبر وتأمل، تتغير شخصيته، كل ليلة يجلس يقرأ القرآن، يتدبر فيه وما شابه: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾^(١)، هذا الوقت الناس نائمة فيه، هاجعة في أيام رمضان، أو في أيام رمضان وأيام الصيف والناس تعبث وتلعب: مهرجانات، وألعاب، وتلاحظ الناس ما شاء الله يدفعون أموالاً عليها؛ لكن أين أنا من القرآن؟

الفعاليات هانحن نراها ونُشارك فيها وما شابه، لكن القرآن أين أنا منه؟ أين أنا من علاقتي مع الله؟ في شهر رمضان المبارك هل عندي علاقة حقيقية مع الله؟

علاقتي مع الله عن طريق العلاقة مع القرآن، علاقتي مع الله أن أستمع إلى خطابه، وأتأمل، وأدرس الخطاب، وأسعى لتطبيقه.

لذلك هذه صفات المتقين: أن يستثمروا أوقاتهم بما فيه نفع، حتى في الليل الذي هو زمن الراحة، زمن للاسترخاء يأخذون قسطاً بسيطاً

(١) سورة الإسراء: ٧٨.

من الاسترخاء، ثم ينهضون لبناء النفس، وبناء الذات: من خلال تلاوة القرآن، بتقوية العلاقة مع الله، علاقة وثيقة مع القرآن ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١)، يوم القيامة هو القرآن.

يوم القيامة نحتاج إلى نور، يوم القيامة يحتاج الإنسان إلى نور؛ يوم القيامة أهل النار يقولون للمؤمنين انتظرونا: ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ أعطونا بعض النور، المؤمنون يقولون لهم: ﴿قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا﴾^(٢)، ارجعوا إلى الدنيا اقتبسوا نوراً، اذهبوا ارجعوا إلى الدنيا واذهبوا اقرؤوا القرآن، تدبروا فيه وطبقوه، هذا هو النور؛ إذا لم يكن عند الإنسان علاقة بالقرآن من أين له النور؟

النور من القرآن، القرآن هو نور النور، إذا لم يرتبط به الإنسان وليس عنده علاقة بالقرآن، أين النور الذي يذهب به إلى الجنة؟

لا يوجد إلا ظلمات، ويذهب إلى النار؛ لهذا نحن بحاجة إلى أن نكون علاقة وثيقة مع هذا النور القرآني، حتى يكون لنا نوراً في يوم القيامة.

نسأل الله أن نكون من المتقين، التاليين لأجزاء هذا النور، المتدبرين فيه، المتأملين فيه، المطبقين له؛ إنه سميع الدعاء.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) سورة التحريم: ٨.

(٢) سورة الحديد: ١٣.

﴿ تأملات في خطبة المتقين (١٢) ﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: «وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ» حول قراءة القرآن «أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَائُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِحَبَاهِهِمْ وَأَكْفَفِهِمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ فِي فَكَاكٍ رِقَابِهِمْ»^(١).

في المقطع السابق بين الأمير عليه السلام كيفية قراءة القرآن للمتقين، كيف يتعاملون مع أهدافه؟

فحينما يمرّون بآية عن الجنة، يتوقفون فيها، ويتدبرون ويتأملون ويتفكرون، ثم يتطلعون إلى بلوغها، يكون هدفاً، الجنة هدف.

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٧٩-٤٨٠.

ثم تبدأ الخطوة الثالثة: بالسعي نحو الجنان، تطبيق عملي؛ أما إذا مرّوا بآية تتحدث عن النار والعذاب، فكيف يتعاملون منها؟

«وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ» تتحدث عن النار، عن العذاب «أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ» الخطوة الأولى: يستمعون إلى تلك الآيات، سماع واعٍ.

لذلك لا يستمعون بالآذان فقط، أو كلمة تدخل من أذن وتخرج من أخرى؛ وإنما فتحوا مسامع القلوب، فالكلام الذي يخترق القلوب لا يخرج «أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ» ثم بعد إصغاء القلوب تحسّسوا صوت النار وحرارتها «وَوَظَّنُوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ» ظنوا أن زفير جهنم: أي صوت النار.

وشهيقها: هو الشديد من الصوت، من الزفير، ليس فقط صوت النار العادي، وإنما أشد أصوات النار.

«فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ»: يعني مثلما إنسان تذكر أمامه نكهة حموضة، وهو لم ير حموضة أصلاً، ولا يأكل شيئاً حامضاً؛ كيف هذا يصير على طرف لسانه كأنه يأكل شيئاً حامضاً؟ ألم تلاحظوا مثل هذه الحالات؟ ألم تحدث لكم؟

هؤلاء بلغوا هذه الدرجة، قضية النار؛ ليست الآن موجودة أمام أعينهم، ولا صوتها في آذانهم، لكن حينما أصغوا لها مسامع القلوب، هنا النار تترنن في الآذان.

«وَوَظَّنُوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ» ليس فقط على الطرف، بل داخل.

«فَهُمْ حَائِنُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ» منحنون: تعبير عن الركوع، تعبير عن

العبادة، والخضوع على هيئة الركوع، الركوع: هو عبارة عن خضوع لله سبحانه وتعالى.

«فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ» أي الانحناء على الوسط، هنا تعبير عن الركوع «مُقْتَرِشُونَ لِحَبَاهِهِمْ» تعبير عن السجود.

«مُقْتَرِشُونَ لِحَبَاهِهِمْ» جبهته على الأرض «وَأَكْفِهِمْ» الكفين على الأرض وركبهم «وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ» المساجد السبعة: الجبهة والكفين والركبتين وأطراف القدمين، هذا تعبير عن غاية الخضوع لله سبحانه وتعالى.

الركوع: هو خضوع، والسجود: هو غاية الخضوع، نهاية الخضوع؛ وهو تعبير عن هؤلاء بعد أن تصوروا النار، وطنت في آذانهم؛ توجهوا إلى العبادة، إلى الخضوع لله خوفاً من ناره، وفكاً لرقابهم من النار.

«يَطْلُبُونَ» شيئاً عملياً، أليس الصوت في الأذان؟

بدؤوا يطبقون شيئاً عملياً حتى يدفعوا النيران عن طريق العبادة، يعبدون الله، لماذا يركعون ويسجدون؟

«يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ فِي فِكَائِ رِقَابِهِمْ» فك الرقاب من النار، وفي شهر رمضان نسأل الله دائماً أن يفك رقابنا من النار ﴿فَمَنْ رُحِزَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾^(١)، هذا هو الهدف الحقيقي: العتق من النار.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) سورة آل عمران: ١٨٥.

﴿ تأملات في خطبة المتقين (١٣) ﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

في وصف المتقين: «إِذَا مَرُّوا بآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وَتَطَلَّعَتْ نَفْسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا، وَظَنُّوا أَنَّهَا نَضَبٌ أَعْيَنَهُمْ، وَإِذَا مَرُّوا بآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ، وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أَصُولِ آذَانِهِمْ، فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِّشُونَ لِحَبَاهِهِمْ وَأَكْفَفُهُمْ، وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ»^(١).

في هذا المقطع يُبين الأمير عليه السلام كيفية تعامل المتقين مع كتاب الله، كيف تنعكس تلك التلاوة إلى تفاعل في النفس، وتجسيد الواقع الخارجي؟

تحدثنا عن كيفية تعاطيهم مع آيات الجنان، وشرحنا كيفية تعاملهم مع

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٧٩-٤٨٠.

آيات النيران.

ثلاث خطوات يتخذونها بالنسبة إلى التعاطي مع آيات النيران:

الأمر الأول: الإصغاء: بالتدبر والتفكير «أَصْغُوا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ».

الأمر الثاني: استحضار النار وتصورها: بحيث يعيشون حدث القيامة في واقعهم الدنيوي، بمعنى آخر: الإحساس والشعور ويقظة الضمير.

الأمر الثالث: التطبيق الفعلي لدفع تلك النار: بعد تحسسها الوقاية من النار من خلال العبادة والخضوع والتسليم لله، هذا هو الهدف.

وجعلوا الوقاية من النار هو هدفهم الأسمى، هذه ثلاث خطوات، كل ذلك من أجل الوقاية من النار، وهذا نتيجة التفكير في الخلق.

وهذا هدف رئيسي في الواقع حتى في خلق السماوات والأرض: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١)، هذه آيات ودلالات وعلامات لمن؟

لأصحاب العقول، وهم المتقون؛ في الواقع أصحاب العقول هم المتقون، لماذا أولي الأبواب؟ لماذا المتقون هم أولوا الأبواب؟

في الواقع هم الذين يستفيدون وتنعكس تلك الآيات على واقعهم ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢).

(١) سورة آل عمران: ١٩٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٩١.

طبعاً هؤلاء أنفسهم قبل هذه الآية ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(١)، العبادة، هؤلاء بعد أن تفكروا عبدوا الله، نفس المورد.

إذا لاحظتم المتّقون حينما قرؤوا آيات القرآن، تفكروا في آيات الله، انعكس على واقعهم العبادي؛ خضعوا أشد الخضوع بين ركوع وسجود لله، وجعلوا الهدف من تلك العبادة ماذا؟

الوقاية من النار ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(٢)، لاحظوا هذه قضية المتّقين، وكيفية تفكيرهم.

تفكير في النار حينما يمرون بالآية، يتأملونها، يتفكرون في آيات النار.

ثم الخطوة الأخرى: يتصورون النار ويتحسسون آلامها، هذا التحسس بآلام النار يمنعهم من ارتكاب ذنب صغير جداً؛ هذه الروح، هذا الضمير الحي، هذا الإحساس المرهف، هذا الشعور الراقي الحساس، هذا يجعل النار أمام بصيرتهم حاضرة.

لا يجرؤون أن يتقدموا قيد أنملة إلى هذه النار، لذلك لا يرتكبون ولا ذنباً صغيراً بهذا المقدار، يأتي أمر آخر ليس فقط ترك، وإنما القيام بفعل، عمل؛ ما هو دوره؟

يقوم بدور العبادة، الخضوع لله تعالى كامل؛ كامل: تعبير عن الخضوع لله، لا للأهواء، لا للشهوات، لا للسمعة، لا للراحة، لا لشيء؛ أنا ممكن أن

(١) سورة آل عمران: ١٩١.

(٢) سورة آل عمران: ١٩١.

أصلي راحةً، أتلذذ، ليس تلذذاً بحلاوة الإيمان.

تارة لذة حلاوة الإيمان هذا مطلوب، تارة تلذذ كي يقول الناس: (نعم العابد، أو يقولون هذا صوته جميل في العزاء، هذا صوته جميل على المنبر، هذا كيف يُعزي! هذا كيف يصلي! وهذا أي إمام جماعة! هذا كيف يقرأ قرآنًا وما شابه!) هذه ليست عبادة حقيقية، أما هؤلاء عندهم عبادة حقيقية، هدفها الوقاية من النار.

لذلك الأمير عليه السلام يُعبر هنا: «يَطْلُبُونَ إِلَى اللَّهِ فِي فِكَائِ رِقَابِهِمْ» هذا هو الهدف من كل هذه الممارسة، ليست سمعة، ولا مصلحة مع القوم، ولا مع الناس؛ جاء الناس أم ذهبوا، عَبْدَ الناس أم كفروا أم جحدوا، لا يفرق عندهم؛ هذه روح المتقين.

عبادة خالصة من أجل فكاك رقابهم من النار ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾^(١)، مَنْ هم الذين يدعون ربهم؟

هؤلاء المتقين ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يطلبون رضا الله، يطلبون إلى الله؛ ليس عندهم غير الله سبحانه وتعالى ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(٢)، هؤلاء المتقون لاحظوا حياتهم، حياة عبادة مكرسة من أجل الله، من أجل فكاك رقابهم من النار، من أجل الوقاية من النار.

(١) سورة الكهف: ٢٨.

(٢) سورة الكهف: ٢٨.

ولذلك مُكرسة الحياة لديهم بالعمل الصالح، لا يضيعون الأوقات بعمل لا يُثابون عليه؛ أي عمل ليس فيه ثواب حتى لو لم يكن مُحَرِّماً، المتَّقون لا يعملونه؛ والمتَّقون في نومهم ثواب، لأنَّ المتَّقِي ينام من أجل أن يأخذ قسطاً من الراحة، حتى يُعاود العبادة والعمل في سبيل الله، فما بالك بالأعمال الأخرى؛ نومه عبادة، نوم العالم أليس عبادة؟

المتَّقون علماء، ليست مسألة أنه يرتدي عمامة أو لا يرتدي؛ العالم ليس له ربط بالعمامة.

العالم مربوط بمعارفه وعلاقته مع الله سبحانه وتعالى، فهؤلاء علماء؛ يخشون الله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١)، لأن هؤلاء من الخوف من الله سبحانه وتعالى فهم حانون على أوساطهم، يفتشون مساجدهم السبعة على الأرض خضوعاً وتذلاً لله، وتركيعاً وتخضيعاً وتذليلاً للأهواء والشهوات والنفس؛ هؤلاء هم المتَّقون، وهذه علاقتهم مع آيات الله كما يُبينها الأمير عليه السلام.

نحن أيضاً لا بد أن نكون من هؤلاء لا نقرأ القرآن قراءة عابرة، هذا فضلاً عما لا يقرأ القرآن ولا يفتحه أصلاً، البعض ليس عنده علاقة مع القرآن أصلاً، قراءة ليس عنده، فضلاً عن التدبر والتأمل.

تارة شخص يقرأ آية ويتدبر فيها، وتارة ولا سطر من القرآن يقرأ! ولا ربع آية يقرأ! لا يقرأ ولا حرف واحد من القرآن! ليس عنده علاقة مع القرآن.

تارة مثل هؤلاء المتَّقين عندهم علاقة مع القرآن ثابتة، يقرؤون القرآن في

(١) سورة فاطر: ٢٨.

وقت ثابت: إمّا صباحاً قبل طلوع الفجر إمّا ليلاً، إمّا بعد صلاة الصبح، إمّا قبل أذان المغرب، إمّا وإمّا في وقت من الأوقات يقرأ شطراً من كتاب الله، يقرأ شطراً في كيفية القراءة أيضاً؛ ليست قراءة من دون تدبر وإنّما قراءة يتدبر فيها ويتفكر ويتأمل في آيات الله، تنعكس تلك القراءة: على سلوكياته، على أفكاره، على أهدافه، على واقعه الخارجي؛ هذه هي القراءة الحقيقية للقرآن، هذه هي طريقة المتقين في قراءة القرآن.

نحن أيضاً نأخذ هذه الروح، ونكون علاقة، ونعكسها على واقعنا وسلوكياتنا وأهدافنا وعملنا، ونتجاوز سلبيات النفس وسلبيات الماضي، ونبدأ حياة مكرسة مُفعمة بالإيمان والتقوى.

نسأل الله أن نوفق لبلوغ درجات المتقين بالعمل والسعي والتطلع والإرادة، لا بالأمان؛ إنه سميع الدعاء.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ صلى الله على محمد وآله الطاهرين.

﴿ تأملات في خطبة المتقين (١٤) ﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: «وَأَمَّا النَّهَارُ فَحَلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ؛ قَدْ بَرَأَهُمُ الْخَوْفُ بَرِي الْقَدَاحِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّازِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرَضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، وَيَقُولُ: قَدْ خَوَّلُوا! وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ!»^(١).

في هذا المقطع يُبين أمير المؤمنين عليه السلام صفة من صفات المتقين، أو بتعبير أدق: يُبين حال المتقين في النهار كما بين حالهم في الليل، فيما مضى من الكلمات بين الأمير عليه السلام كيف يعيش المتقون في الليل: هل بالنوم، أم بالجلسات البطالة، أم بالعبث؟ كيف حالهم في الليل؟

فبين: «أَمَّا اللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ، تَالِينَ لِأَجْزَاءِ الْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهَا تَرْتِيلاً»

(١) نهج البلاغة، للشيخ الشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٠.

يعني علاقة بالعبادة، بالتالي قراءة القرآن، والركوع، والسجود.

«فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِحَبَاهِهِمْ» في هذا المقطع: يُبين حالهم في النهار، كيف هم في النهار؟ هل يسهرون الليل وينامون النهار؟ يقول الأمير عليه السلام: «إِنْ نُمْتُ اللَّيْلَ ضَيَعْتُ نَفْسِي، وَإِنْ نُمْتُ النَّهَارَ ضَيَعْتُ رَعِيَّتِي» الليل يتطلّب، والنهار يتطلّب من الإنسان، يتطلب من كلّ حسب موقعه؛ يتطلب أن يكون عابداً في الليل ومنتجاً في النهار، يتزود في الليل ويعطي في النهار، يأخذ ليلاً ويقدم نهاراً.

فهؤلاء حينما قرؤوا القرآن وتدبروه وتفاعلوا معه، افترشوا الأرض عبادة؛ انعكست تلك البرامج على مستوى تفكيرهم، فمن خلال قراءة القرآن يكونون علماء، ومن خلال قراءة القرآن يكونون حلماء؛ يقتلعون الغضب، فمن خلال العبودية لله والخوف والخشية ينحتون أجسادهم، أو تنحت أجسادهم؛ بسبب العبادة والخوف تجد هذا ضعيف البنية، أو ضعيف الجسد خوفاً وخشية.

هذا انعكاس حينما يتزود به في الليل، ينعكس على واقعه في النهار، وبالتالي ينعكس على علاقاته؛ الإنسان العالم غير الإنسان الجاهل في تعاملاته مع الناس، الإنسان الحليم يختلف عن الإنسان الغضوب في تعاطيه مع الناس، الإنسان الذي يخاف الله يختلف في تعاملاته مع الناس عن الذي لا يخشى الله؛ الإمام يصف هؤلاء.

آتي بتعبير آخر، ليس تعبیر الإمام، بل تعبیر الناس: البعض يرون شخص يصفونه بـ(خبل) أو (بهيم)، هو متدين لا يعتدي على أحد؛ يعرف أن هذا

يعبث ويعتدي عليه، ولكنه لا يرد الاعتداء.

ذاك يتحايل وينافق، هذا لا يتحايل، تراه في السوق: ذاك يكذب وكذا وترى تجارته تنمو، هذا لا يكذب يسير وفق طريق الحق، يقولون هذا «بهيم» ماذا يعرف؟

هذا خوفه من الله يمنعه من أن يكذب أو يُنافق، أو يأكل مليئاً حراماً، لا يأكل إلا من مال طاهر، لكن الناس ماذا تقول عنه؟

تقول عنه: (بهيم) لا يفهم، ترى الناس تقدمت وهو على حاله لم يتغير، ومن هذا القبيل، هذا منطق الناس! ولهذا يُعَبِّرون: خبل ويستصغرونهم، الناس يقولون عنهم: (خبل)، لا يفهمون!

الإمام يقول: «خَالَطَهُمْ» ولكن لم يخالطهم الخبل، بل خالطهم أمر عظيم؛ الخوف من الله.

«وَأَمَّا النَّهَارَ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ» انعكاس على السلوك، لابد أن نلاحظ سلوكنا، وكيف نتعامل مع الناس؟ هل بغضب، ونرفزة وعداء، وكل كلمة والثانية عندي استعداد للضرب، هذا واقع؟

لأن هذا نتاج الجهل الذي نُمارسه، والغضب الذي نُمارسه، نتاج الفراغ الليلي؛ فنحن ليس عندنا علاقة بالقرآن في الليل، وليس عندنا علاقة مع الله، ضيع الإنسان نفسه، طبيعي الإنسان لم يبنِ؛ البنية التحتية للإنسان، ألا يقولون البنية للدولة؟

الإنسان له بنية تحتية أيضاً، البنية التحتية للإنسان هي: القيم التي تنعكس على الروحانيات، وتنعكس على الذهن: علم، وعلى الروح: تقوى وورع

وحلم وما شابه.

هذه البنية التحتية غير موجودة، لأن الليل مُضَيِّع؛ فأين أنا أقدر أن آخذ هذه البنية التحتية؟

من خلال الليل، الإنسان في النهار -نحن لا نأتي نقول لطلبة حوزة الذين يكونون متفرغين للعلم، أتكلم عن عموم الناس- في النهار مشغولين بأعمالهم، لقمة عيشهم، لا تتركوا أعمالكم، اشتغل واستخرج لقمة عيشك؛ ولكن الليل عندك طويل.

فهذا لم يبين له بنية تحتية، لم يكون بنية تحتية في الليل؛ لأنه في الليل عنده ديوانية، مداوم يجلس فيها جلسة بطالة: غيبة، ونميمة، لا نفع فيها؛ هذا ماذا يكون انعكاسه في النهار؟

روحية ضعيفة، بنيتة ضعيفة، بنتية القيمية ضعيفة، لم يكن مقويها؛ فبالتالي سينعكس في سلوكياته: الجهل، والغضب، والانتقام وما شابه؛ هذا الإنسان الذي ضيع.

أما هؤلاء تجد بنيتهم قوية، لا بد أن نبني بنية تحتية من خلال ما بينه الإنسان في الليل؛ حتى نصير علماء، لأنه حينما نتحدث في الموضوع عندنا منطق، عندنا فكر نتحدث فيه، أنا مع الناس أحترمهم.

يمر إنسان على الإمام زين العابدين عليه السلام يسبه ويشتمه، الإمام لا يدير له بالاً، كأنه لم يسمعه، يقول له «إياك أعني؟» يقول: أقصدك أنت! أنت بخصوصك السب والشتم عليك!

والإمام عليه السلام يقول «وعنك أغضي»^(١)، تسبني سب، لكن أنا لا أتزل لأن أكون مثلك، الحلم يحكمني؛ ليس الانفعال، ليس الغضب، فارق كبير بين هذا وذاك، فلا بد أن نكون بهذا النموذج مقتدين: سبني وشتمني، وقالوا كلام، فليكن، لست شخصاً منفعلاً، أنا شخص فاعل، ابني في المجتمع، أصلح، ليس كل كلمة والثانية رديت بانفعال وغضب: (وأين أنت يا مفاتن)، (وأين أنت يا معارك) وتفضل!

ضربة من هنا، وضربة من هناك، واحد من هنا صار تحت التراب، والثاني ينتظر يسبلون دمه ويكون تحت التراب؛ أو الأول فيه عاهة حدثت له، والثاني ينتظر نقمة المجتمع، وكلام الناس عليه كثير، السبب ماذا؟

الانفعال، السبب الرئيسي ما هو؟

فراغ البنية التحتية، في الليل لم نستفد منه؛ لهذا الأمير عليه السلام يقول: هؤلاء في الليل هذه طريقتهم، التي تنعكس عليهم في النهار: «فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتَقِيَاءُ» لا يذهبون خلف فجور وكذب ونفاق في البيع «أَبْرَارٌ» يخافون الله، يتقون النار.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب، ج: ٣، ص: ٢٩٦.

« تأملات في خطبة المتقين (١٥) »

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

«وَأَمَّا النَّهَارُ فَحَلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتَقِيَاءُ؛ قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ بَرِّي الْقَدَاحِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسِبُهُمْ مَرْضَى، وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ، وَيَقُولُ: قَدْ خُولِطُوا! وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ!»^(١).

في هذا المقطع يتحدث الأمير عليه السلام عن حال المتقين في النهار كما تحدث عن حالهم ووضعهم ليلاً: كيف يتعاملون مع الزمن، وكيف يستثمرونه ليلاً ونهاراً؟

كما في النهار، كما تحدثنا بالأمس: الحلم وعدم الانفعال، والعلم والمعرفة بالأمر الغزيرة في الحياة؛ إضافة إلى ذلك في الحالة الطبيعية للبر والتقوى:

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٠.

أي الخير الكثير.

«أَبْرَارٌ»: يعني مَنْ يُؤْمِنُ شره، ويُطلب خيره ليس فقط يُؤْمِنُ شره، ولكن يُرْجى خيره أيضاً، فهو صاحب الخير الدائم، وهؤلاء أصحاب خير وعطاء في جميع المجالات: في مجال المال، في مجال الأخلاق، وإعانة الناس، في مجال الروح وما شابه.

وكذلك التقوى لذاتهم وهم بعيدون عن المعاصي، بعيدون عن الاعتداء على الآخرين، بعيدون عن ذم الآخرين، بعيدون عن ارتكاب المعاصي، بعيدون عن الغفلة عن الله، هذا الجانب الأول.

الجانب الثاني: يُبَيِّنُ حالتهم الجسدية التي انعكست من خلال ما يعتقدون وما يُمارسون من أعمال روحية «قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ بَرِّي الْقِدَاحِ». بَرَّى: يعني نحت.

يَبْرِي القلم: يعني ينحته، قطعه ونحته.

القداح: سهم، يعمل له قمة إذا براه حتى يخرق الشيء، أي قلم حينما يبريه.

الأمير عليه السلام يقول هؤلاء أجسادهم نحيفة، نحتت تلك الأجساد؛ ما هو الذي أنحت تلك الأجساد؟

هو الخوف من الله، الإنسان حينما يعيش حالة هم؛ إنسان تجدد وضعه وجسمه وصحته وما شابه، ويبتلى ببلاء دنيوي، يأتيه همّ وغمّ وما شابه، ترى هذا جسده نحف؛ أما هؤلاء لا، يصير (مثل جماعة أفريقيا) المال بيدهم،

النعم متوفرة، يأكلون من النعم بقدر ما يُحافظ على بنيتهم، لكن الخوف من الله مُهيمن ومحيط بكل كيانهم، لذلك روحه تكون سعيدة.

إذا هذا الإنسان ضعف جسده من حيث الشكل، لكن إنسان قوي الإرادة، وصاحي البدن أيضاً بقدر ما هذا هو الخوف من الله ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١)، هؤلاء علماء.

علماء لا يعني يحملون معلومات، لا يعني على رؤوسهم عمام؛ ما أكثر مَنْ يملكون المعلومات وهم أقلام مأجورة، وأبواق عميلة؛ وما أكثر مَنْ يضعون على رؤوسهم عمام الرسول، وهم أبعد ما يكون عن منهج الرسول! علماء بلاط أو ما شابه! يعبثون باسم الدين، يتخذون الدين مطية؛ هؤلاء ليسوا علماء حقيقةً، صحيح يُسمون علماء لكن ليسوا كذلك؛ هؤلاء يملكون معلومات، أو شكلهم شكل العلماء، ولكن حقيقتهم أنهم أبعد الناس عن العلم والعلماء لأن هؤلاء أبعد الناس عن الخشية.

إنها هؤلاء المتّقون علماء حقيقةً علماء بسبب الخشية، فأَي شخص منا بإمكانه أن يكون من أولئك؛ من دون عَمّة، ومن دون أن يمتلك كما هائلاً من المعلومات، بل من خلال امتلاك معلومات دقيقة في متناول أيدي الجميع، يتفكر في علم الله، يتفكر في العظمة الإلهية، يتصور النار؛ هذه تنعكس عليه حتى يخاف من الله.

وإذا قرأت آيات القرآن تلاحظ هذا كيانه كله يهتز خوفاً وخشية من الله، القرآن لو نزل على جبل، هذا الجبل يتفتت بتعبير الله: ﴿مُتَصَدَّعاً مِنْ خَشْيَةِ

(١) سورة فاطر: ٢٨.

الله^(١)، هؤلاء أيضاً قلوبهم وأرواحهم من الخوف تتصدع، فيُغمى عليه؛ وبعد ذلك ماذا يكون؟

يكون منعكساً على الجسد، الخوف مُهيمن عليهم، كيف أنت إذا تبري وتبري، وتبري القلم؟

هؤلاء الخوف مهيمن «قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ بِرِّي الْقِدَاح» فنحتهم نحتاً، هذه صفات المتقين التي نحن لا بد أن نغرسها ونؤجدها في أنفسنا، انعكاس آيات الله التي يقرؤونها في الليل، وانعكاس العبادة، وانعكاس التفاعل مع آيات النار، وتصورها تصوراً حقيقياً ينعكس على هذا؛ ينعكس على أرواحهم، ينعكس على أجسادهم، ينعكس على سلوكياتهم.

عندنا مثل يقولون (ما يقوله الإنسان في الليل يمحوه النهار) الذي قلته في الليل النهار يلغيه! هؤلاء لا، ما يقرؤونه ليلاً ينعكس على سلوكهم نهاراً؛ يوجد شخص يجلس في المحاضرة ويتفاعل، خرج من باب المسجد لكن! هل تغير؟

كل هذه المحاضرة تبخرت، هذا ليس من النماذج؛ نحن لا بد أن نكون من المتقين، نماذج المتقين الذين كانوا في الليل ما يقرؤونه، ما إن يخرج من الباب، إلى النهار، تلاحظ انعكاسه على سلوكياتهم، سواء في الليل أم بالنهار، في الليل يأخذون ويكتسبون من القيم، وينعكس على سلوكياتهم في النهار.

«عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتَقِيَاءُ؛ قَدْ بَرَّاهُمْ الْخَوْفُ بِرِّي الْقِدَاح» فلا بد أن نعيش هذه الحالة، فلذلك يُصورهم الإمام، يقول: الذي ينظر إلى هؤلاء تراه ضعيفاً،

(١) سورة الحشر: ٢١.

فبعض الأوقات غير قادر أن يمشي جيداً: بسبب الإرهاق، سهرًا في الليل عبادة؛ ليس سهرًا في الليل عبثًا، بل سهر في الليل عبادة، وتلاوة لكتاب الله، صلاة، وقيام، تفكر في أمر الله وما شابه؛ النهار عمل، تجد هذا جسمه كله منهار، تجد هذا الذي لا يعرفه يقول هذا فيه خلل، هذا (خبل) بتعبيرنا!

ولهذا «يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاطِرُ فَيَحْسِبُهُمْ مَرْضَى» يقول: هؤلاء أجسادهم مريضة، أيضاً عقولهم مريضة، منهك؛ المجنون مريض، مُبْتَلَى «وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ» لكن هل هم مرضى؟

هؤلاء أصح الناس قلوباً، وأصح الناس عقولاً، أسلم الناس عقولاً؛ عقول سليمة، وقلوب سليمة، ونظيفة، وطاهرة، وأرواح قوية، صافية؛ لكن الذي يراهم يقول: هؤلاء مرضى!

الأمير عليه السلام يقول: «وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ» يعني ليس فيهم مرض، أجسادهم سليمة وصحيحة وقوية؛ صحيح بنيتهم من حيث الجسد ضعيف، لكن قوي البنية، الإيمان يؤثر حتى على البنية؛ ممكن يكون عنده ضعف، يصير عنده مرض، يصير عنده شيء في الجانب الجسدي، لكن بناءه الجسدي أيضاً قوي.

«وَيَقُولُ: قَدْ خُولُطُوا!» ألا يقولون: هذا فيه خلل، فيه خلط، مهوس، خبل وما شابه؟

الإمام علي عليه السلام يقول: نعم هؤلاء خولطوا، لكن ليس مثلما يتصور هؤلاء: أن هؤلاء فقدوا عقولهم.

«وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ!» هنا كيانهم خوف من الله، نعم خولطوا بهذا؛

أمر عظيم ليس قليلاً الخوف من الله سبحانه وتعالى، هذا ما حُولطوا به.
 هذه بعض أحوال المتقين، ويجب أن نسعى لأن نكون منهم، والأمر في
 متناول أيدينا؛ شخص يقول لا يقدر، قل له بل تقدر، مَنْ يقول لا تقدر؟
 الشيطان يقول لك: لا تقدر، الله سبحانه وتعالى أعطاك المكنة، لكن هل
 تريد؟

اقرأ القرآن ليلاً، تدبر فيه، اعبد الله، بهذا هل تقدر أو لا تقدر؟
 تقول: (زهقان! ليس لي خلق!) انتهى، أما لا تقدر! بل تقدر، تأمل؛ ليس
 قراءة قرآن ألفاظ لا معنى لها، إنما تقرأ كما مرت الآيات السابقة، تقرأ وتتدبر
 وترى الجنة، وتتصورها، وتتأملها، وتسعى إليها؛ تقرأ عن النار، يكون
 عندك تصورها، يصير عندك خوف.

«وَهُم وَالنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ»^(١)، تقدر أن تصل إلى هذه
 الدرجة، حينما تأمل: في آيات النار في القرآن وتتدبر وتقف، هنالك تصل
 إلى هذه الدرجة؛ وبالتالي ينعكس على سلوكياتك، هذا هو العلم؛ الإنسان
 تنعكس عليه هذه المعلومات، فهم القرآن بهذه العقلية؛ وبالتالي ينعكس على
 واقعه، لا يكون إنساناً منفعلاً، لديه ردود أفعال، شخص يكلمك وتنفعل؛
 بل يصير عندك حلم، وبالتالي القرآن ينعكس عليك نوراً، فتكون صاحب
 خير وعطاء في كل المجالات.

فبالنار تتصورها، وتخاف منها، وتتقيها، وتتقي كل معصية؛ أما
 الناس تقول: (هذا بهيم، هذا خبل) هذه الناس! (ذاك ضيع عمره، وبإمكانه

(١) نهج البلاغة، ص: ٤٧٨.

أن يكون، وأن يكون، وأن يكون!) لكن أَسْتَضعف! دع الناس يقولون - ما يقولون، - يقول الناس ما الذي يفهمه؟

لأن الناس تنظر إلى الدنيا، فحينما يلحظون إنساناً توجه إلى الآخرة ولم يترك الدنيا حتى، أخذ من الدنيا ما يكفيه، وترك الفضل منها، وتوجه إلى الآخرة، ماذا يقول عنه الناس؟

يقولون عنه: (لا يفهم، بهيم)؛ دعهم يقولون - ما يقولون، - نرى يوم القيامة مَنْ الذي يفهم؟ مَنْ الذي يفقه؟ نحن أم أولئك؟

هوؤلاء الذين كدسوا الأموال، وتمتعوا بالحياة؛ أم الإنسان الذي تعالى عن الدنيا، وترفع عليها، وتعلق بالآخرة وتشبث بها؛ فارق.

الدنيا لم يتركها، لكن لا يُستعبد بها، لا تكون سيدة عليه، يأخذ منها ما يكفيه «اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا»^(١)، كأنك تعيش، ماذا تحتاج منها إلى الأبد؟

خذ منها ما شئت، فقط، أكثر من هذا لا تأخذ، بالتالي «اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ» لأن عندك مجال تعيش، تستعجل على ماذا؟ هل تستعجل على الدنيا؟

اعمل كأنك تعيش إلى الأبد، لا تستعجل عليها؛ أما الآخرة غداً، هل عندك زائد؟

أما الدنيا يوجد مجال، يعني شخص عليه امتحان بعد شهر، يقول: يوجد مجال أذاكر الكتاب، الامتحان بعد شهر؛ أما إذا كان الامتحان غداً،

(١) بحار الأنوار، (ط. دار الإحياء التراث)، ج: ٤٤، ص: ١٣٩، روضة المتقين، للشيخ: محمد تقى المجلسي، ج: ٦، ص: ٤٠٣.

حينها لا يوجد مجال، لا بد أنك هنا تُكرس جهدك لهذا الكتاب؛ هذه الدنيا وهذه الآخرة، الدنيا يوجد مجال، أما الآخرة غداً ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنْ الدُّنْيَا﴾^(١)، ولكن قبل هذا ماذا؟

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ^(٢) كَلَّ كَيْانِكَ، كُلِّ قَوَاكِ، كُلِّ إِمْكَانَاتِكَ﴾ وَاَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ^(٣) لماذا هذه الإمكانيات؟

﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾^(٣)، هذا هو عمق التقوى، هؤلاء هم المتقون، وهذه نظرة الناس إليهم.

فلنكن نحن من المتقين الذين يبريهم الخوف بري القдах، يعني شجرة الخوف والخشية من الله، نغرسها داخل قلوبنا لا من الناس، دع الناس كلها تقول ما تقول، لا يُغير من واقعنا شيئاً، لماذا نخاف من الناس؟

نخاف من الآباء، نخاف من الفقر، الشيطان يُخوفنا الفقر، نخاف من المدرس، نخاف من المعلمة، نخاف من السلطات الظالمة، ونخاف من أمريكا، نخاف ونخاف! نخاف لا أدري من ماذا؟ وعلى ماذا؟

لاحظوا أمريكا! تحكم الكون، وأمريكا مستتبعة التفت! على ماذا؟ أكثر وأقصى ما يمكن أن تفعل هذه القوة ماذا؟

فصل الروح عن الجسد ليس إلا، الحمد لله راحة من مشاكل الدنيا وبلائها، هذا أقصى ما يمكن؛ لماذا نجعل الخوف من الأمور: نخاف من

(١) سورة القصص: ٧٧.

(٢) سورة القصص: ٧٧.

(٣) سورة القصص: ٧٧.

الفقر، وبعد الفقر ماذا يحدث؟

الإنسان مات، لنفترض لم يأكل شيئاً، بعدها ماذا سيحدث؟

لم يأكل! هل يموت؟

فقط! ماذا يعني الموت؟

هذه روح المتقين حينما كانوا وملكوا الاستعداد «فَهُمْ وَالْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَأَاهَا، فَهُمْ فِيهَا مُنْعَمُونَ»^(١)، بسرعة يذهب يركض لها، عنده شوق إلى الجنة، فلا يخاف من الموت؛ فتصغر الدنيا، ليس لها قيمة، لهذا لا يكون عنده خوف. «عَظَّمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ»^(٢)، لهذا لا بد أن نكون بهذه الروحانية، حتى نبلغ درجة التقوى: نغرس شجرة الخوف في قلوبنا من الله لا من أحد سواه.

نسأل الله أن نوفق لأن نكون من المتقين، الخائفين من الله، العلماء الأبرار الأتقياء؛ إنه سميع الدعاء.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) نهج البلاغة، ص: ٤٧٨.

(٢) نهج البلاغة، ص: ٤٧٨.

﴿ تأملات في خطبة المتقين (١٦) ﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصفه للمتقين: «لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ؛ فَهُمْ لَا أَنْفُسَهُمْ مُتَّهَمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ.

إِذَا زَكَّى أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسِي! اللَّهُمَّ لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ»^(١).

في هذا المقطع يُبين الأمير عليه السلام نظرة المتقين إلى أنفسهم، وكيف لا يفعلون، ولا يغترون بما يُقال لهم، ولا يغترون بأعمالهم؛ فهم لا يُزكون أنفسهم، وإنما دائماً وأبداً لأنفسهم مُتهمون بالتقصير، وعدم أداء العمل على

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٠.

وجه الكمال؛ فهم ينظرون إلى أنفسهم نظرة واقعية، لم يبلغوا العصمة، ولم يؤدّوا شكر الرب مهما أتوا من أعمال.

لذلك دائماً وأبداً لا يستكثرون العمل الذي يؤدونه، ولا يرضون على أداء أعمالهم، وهذا جانب طبيعي؛ لأنهم يرون النعمة الإلهية والعظمة الإلهية، فيرون الأعمال التي قاموا بها لا شيء أمام النعم الإلهية؛ يعني مثل شخص يقوم بعمل ما، فيُعطى مبالغ طائلة، أضعاف مضاعفة في مقابل ذلك العمل. أو تارة يُعطى المال أولاً بأضعاف مضاعفة، ويطلب منه أن يؤدي عملاً لا يُعادل هذا العمل بهذا المبلغ الهائل الطائل الذي أعطيه؛ فبالتالي يرى أن هذا العمل مهما أتقنه قليل في حق مَنْ أعطاه ذلك المال، صاحب المال متفضل عليه، هذا في جانب الدنيا للإنسان العادي.

فما بالك بهؤلاء ونظرتهم إلى الله سبحانه وتعالى، فطبيعي أن تكون هذه النظرة «لَا يَرْضُونَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ» وهذه مسألة مهمة في الواقع في سلامة مسيرة الإنسان في العمل، وعدم غروره، وعدم إلغائه للآخرين.

هذه الصفة: عدم الرضا بالقليل من العمل، ومهما كان العمل كثيراً يستقلّونه، هذه الصفة تمنع الغرور، لأن الإنسان حينها يغتر بعمله، لذلك يُهلك نفسه «إِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ مَهْلَكَةٌ لَهُ»^(١)، وَمَنْ يُعْجِبْ بِنَفْسِهِ، وَيَصِيرَ

(١) وردت الرواية في كتاب بحار الأنوار، (ط. دار الإحياء التراث)، ج: ٦٩، ص: ٣٢٠، ح: ٣٥، عن الإمام الصادق عليه السلام بلفظ: «مَنْ أَعْجَبَ بِنَفْسِهِ هَلَكَ، وَمَنْ أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ هَلَكَ» وردت الرواية في نفس المجلد بصفحة: ٣٢١، رقم الحديث: ٣٧، عن رسول الله صلى الله عليه وآله بلفظ: «ثَلَاثُ مُهْلِكَاتٍ: شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ».

عنده غرور يهلكه؛ وأما هذا لا يرضى عن العمل، حينما يؤدي عملاً قليلاً ومتقناً وما شابه؛ لكن مع ذلك لا يرضى عن نفسه، يعتبر نفسه مقصراً، فليس مُعجباً بنفسه، ولا ينتابه الغرور؛ فبالتالي لا يهلك، فيُضاعف العمل؛ لأنه عمل خفيف، لذلك يُضاعف العمل.

من جانب آخر يبدأ بمضاعفة العمل وينطلق، هل يعتبر هذا العمل كثيراً، فيتوقف إلى هنا؟

لا، «وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ» لأن استكثار الكثير يجعله يتوقف عن العمل، الرضا يجعله دافع الغرور، واستكثار العمل، يقطعه عن مواصلة العمل وتطويره وما شابه.

لذلك «لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ، وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ» نحن نلاحظ في أنفسنا، وفي الآخرين، وفي واقعنا شخص يقوم بدور معين، يقول: أنا عملت وأنا عملت! ماذا عملت؟ كم من وقتك أعطيت؟

مثلاً نأتي نرى إنساناً يلتزم بصلاة الجماعة، صلى الجماعة وذهب، طبعاً هذا عمل وليس كل شيء أداه إلى خالقه، لكن مع ذلك تراه يصير عنده إعجاب بنفسه! كم حق وكم واجب قصرت فيه وضيعته؟ الصلاة صليت، وبقية الأمور؟

هل وصلت رحمك؟ أدت الحقوق التي عليك؟ تعاملت مع الناس هل هو حسن؟ وما شابه من الأعمال المطلوبة منك هل أديتها؟

لهذا حينما يؤدون عملاً صالحاً لا يستكثرونه، ولا يرضون عن عملهم أنا ضمن لجنة دينية قمنا بعمل، عملنا الأصل؛ ذاك لا يريد أن يعمل، لم يؤد

دوراً؛ أنا أديت دوراً، لكن هل أنا أديت كل شيء؟

لا، لهذا الإنسان المتقي يرى أنَّ ما قدمه قليل، ولا يرضى عما قدم؛ ألا يوجد بي الناس مَنْ يرى أنه عمل شيئاً كثيراً، شيء عظيم الآن عمل بهذا الدور والواقع الدور قليل وصغير وما شابه!

هو يتصور الآن ما شاء الله كم هو دور عظيم قام به، أو ذاك قام بعمل كثير أيضاً، وقته كله كرّسه من أجل أداء الرسالة، لكن حتى ذلك وإن كان عملاً قليلاً ليس له قيمة؛ لا، بل أدى، مع ذلك يجب ألا يستكثر؛ لأن هذا العمل أنا أديت كل وقتي من الصبح إلى اليوم الثاني الصبح في سبيل أداء الرسالة، هل أنا أديت حق ما أعطاني إياه الله سبحانه وتعالى؟

لا، لم أؤده مهما كان؛ لأنه لا يؤثر، -لكن إذا كان عملي لله-، عملي يؤثر، عمل لله لا يحصى، لهذا المتقي لا يستكثر العمل مهما كان كثيراً.

لذلك يُحافظ على سلامة المسير، لذلك نحن بحاجة إلى أن نتّصف بهذه الصفات: لا نرضى بأعمالنا، ونقول نحن عملنا، وهو عمل قليل!

وبالتالي أنا أتوقف لا أؤدي دوراً آخر، أكتفي بدور ولا أؤدي دوراً آخر! أديت الدور وانتهى! أما حينما لا أَرْضَى عن نفسي، أتحمل أدواراً أخرى، هذا جانب.

جانب آخر حينما أتحمل أدواراً أخرى ليس معنى ذلك أن أَرْضَى عن نفسي، وأستكثر العمل؛ ممكن أن أقول هذا الذي أقدر عليه والحمد لله، لكن لا بدّ أن يكون عملاً كثيراً؛ أنا كل جهدي أُكرّسه في سبيل الله، أَرْضَى عن نفسي، فليس عندي خيار، كل الذي أقدر عملت؛ لكن هل هذا يعني

أن أستكثر العمل؟

لا، لأن هذا مهما كان لا يُعادل غفران الله لذنوب من الذنوب فضلاً عن الخطايا، لأنه بهذا الذنب يستحق الإنسان النار مهما عمل من أعمال؛ فلا يستكثر الكثير، فبالتالي يصير عندي توقف عن العمل، أو غرور، أو مَنَّة!

يوجد جماعة أتت للرسول، الرسول هو الذي هداهم، صاروا يمتنون على الرسول! بل يمتنون على الله! لهذا الله سبحانه وتعالى في سورة الحجرات يقول لهؤلاء: هل تمنون على الرسول بالإسلام؟

أسلمتم، لكن لم يدخل الإيمان قلوبكم ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾^(١)، فبالتالي نحن بحاجة إلى أن لا نستكثر أعمالنا، ولا نرضى عن أنفسنا، حتى نتمكن من مواصلة الطريق بتواضع وعدم غرور.

وبمعنى آخر: لا بد أن نمارس دوراً، وممارسة الدور لا يعني أن يمنعني عن ممارسة دور آخر (أنت كافي عليك) وأنت تقتنع أنه يكفيك! بالتالي يمنعني من ممارسة دور، بل لو مارست كل وقتي وكرسته في جميع الأدوار، مع ذلك لا بد أن أعلم في داخل نفسي، أن هذا لا يؤدي حقوق الله سبحانه وتعالى، ولا يُعادل نعمة من نعم الله.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) سورة الحجرات: ١٧.

﴿ تَأَمَّلَات فِي خُطْبَةِ الْمُتَّقِينَ (١٧) ﴾

أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.
قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين واصفاً إياهم: «فَهُمْ» أي المتقون: «فَهُمْ لَا أَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ.
إِذَا زُكِّي أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسِي! اللَّهُمَّ لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ»^(١).

في هذا المقطع يُبين الإمام عليه السلام روح الخشية والتواضع وعدم الغرور بين المتقين، بمعنى آخر بتعبير الإمام زين العابدين عليه السلام: «وَلَا تَرْفَعْنِي فِي النَّاسِ دَرَجَةً، إِلَّا حَطَّطَنِي عِنْدَ نَفْسِي مِثْلَهَا»^(٢)، المتقون دائماً أبداً يهتمون أنفسهم بالتقصير، المتقي مهما عمل لا يؤدي حق الله، ولا يمن على الله عمله، وما شابه.

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٠-٤٨١.

(٢) الصحيفة السجادية، دعاء مكارم الأخلاق، رقم الدعاء: ٢٠.

لذلك يَتَّهَم نفسه بأن صلاته قَصُرَ فيها، بأن هذا المال قد يكون أقل مما يستحق أن يُعطى، بأن هذا الجهد أقل مما كان يتطلب منه؛ من حيث الوقت، ومن حيث الزمن، ومن حيث القدرة كان بإمكانه أن يُقدم أكثر، وبالتالي في جميع المجالات الله سبحانه وتعالى أعطاه قدرة بأن يُقدم أكثر مما قدم.

لذلك يرى تلك الحالة، لذلك يَتَّهَم نفسه: «فَهُمْ لِأَنفُسِهِمْ مُتَّهَمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ» يخاف، عنده خوف حقيقي، يخشى التقصير فهم خائفون؛ يعمل العمل لكن يخاف أن يكون في هذا العمل ريبة، ممكن في هذا العمل رياء، يعمل العمل ولا يتراجع، ممكن في هذا العمل كذا، أو إذا عَمِلَ شيئاً فهو يخاف من تقصيره في عمله؛ وبالتالي «وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ» يخاف، لأن العمل هو محور دخول الجنة أو دخول النار، الثواب أو العقاب.

فهو دائماً وأبداً مُشفق من التقصير في عمله، إضافة يأتي يؤكد بطبيعة الحال: المتقي من خلال سلوكياته الحسنة الحميدة، وأعماله الصالحة؛ ينظر له الناس نظرة إعجاب فيثنون عليه، يمدحونه؛ يقولون: (أنت نعم الآدمي، وكذا صار منك) وما شابه، لكن ما هو موقفه؟

الإنسان الطبيعي حينما يمدح يستأنس، شخص مدحه يستأنس؛ المتقين عندهم نظرة أخرى، حالة أخرى: «إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ» يخاف، فمن الممكن هذه الكلمة أن تُغير مسيرة حياته سلباً، ممكن أن تُعطّله عن العمل، ممكن أن تجعل عنده غرور ويتكبر على الآخرين، ممكن أن يستنقص الآخرين، ممكن، وممكن وما شابه؛ وبالتالي هنا يقف، بالتالي «إِذَا زُكِّيَ أَحَدٌ مِنْهُمْ» إذا مُدِح، أُثني عليه، مدحوه، أثنوا عليه؛ ماذا يكون موقفه؟

«فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي» هذا يأخذ الظاهر، لكن الباطن أنا أعلمه؛ ذاك لا يرى خفيات عملي وأسرار عملي، لا يدري ما هي خلفية عملي؛ قد يكون عملي رياء، قد يكون عملي فيه تقصير، قد يكون عملي فيه مصلحة، قد وقد؛ هذا يأخذ بالظاهر، ويأخذ بالسلوكيات الظاهرة، وبالتالي يقول: «أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي» أعلم بأن عملي لله أو فيه شائبة، صالح أو غير صالح، فهو يعلم.

يقول هؤلاء يأخذون بحسن الظاهر، فلا أغتر بكلامهم، هذا المقصود؛ يعني أنا أعلم منه، فهذا يأخذ بالظاهر لكن أنا أعلم ظاهر عملي وباطن عملي، فلا أنخدع بكلام غيري، وأنا في الحال أعلم بنفسي من غيري، هذه الحالة تُؤثر، ليس فقط تخدع الآخرين، بل يُخدع من كلام الآخرين.

لاحظوا هذه المشكلة تحدث عند كثير الناس، الإنسان يبدأ ويقوم بعمل صالح، وقليلًا قليلًا يحدث عنده غرور؛ فالعمل الصالح يُكرسه لذاته، لنفسه يعمل، فيصير العمل لذاته ليس عملاً للدين، ولا للقيم، ولا غير ذلك؛ بل لذاته!

الناس يأتون يمدحونه: «بارك الله فيك، هذا عمل دين وهذا يرضي الله، وهذا كذا» هو أيضاً يُصدّق! لاحظوا كان يُخدع الآخرين، الآن الآخرين صاروا يمدحونه، خُدع بكلام الآخرين مع علمه بنفسه؛ لهذا المتّقون يتنبهون لأنفسهم، لا يتركون كلام الآخرين يؤثّر عليهم سلباً «أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي».

يوجد قصة، يأتون بها كنكته، بعيداً عن صحتها وعدم صحتها؛ لكن هذه تُعبر على ذلك -نُوردها في سياق حديثنا- يروونها على جحا:

جحا أتى للخباز ورآه مزدحمًا، والمشكلة كان الجو بارداً ويوجد مطر وكذا، جاء وقال للمشتريين: يوجد خباز هناك، الرغيف يبيعه بهذه القيمة! نزل الأسعار يقول مثلاً إذا كان يُباع الرغيف بريال، زاده ٢٠ رغيف بريال؛ الناس ذهبت كلها له، قال في نفسه: هل صحيح ذاك الخباز يبيع ٢٠ بريال! فذهب له! كذب الكذبة وصدّق نفسه!

فبعض الناس بهذه الطريقة أيضاً، يكذب الكذبة وبعدها يُصدّق نفسه؛ فيُخدع بكلام غيره، ممكن وارد أن يحدث هذا.

أما المتّقون يلتفتون لأنفسهم، لا يُخدعون بكلام غيرهم: «وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسِي!» يرى عمله كبيراً، صحيح أنا أعلم بنفسي من غيري، لكن الإنسان يجهل نفسه مهما عمل؛ الله سبحانه وتعالى الذي خلقنا يعلم بما تُوسوس لنا أنفسنا، أنا نفسي تُوسوس لي، أنا لا أدري غداً ماذا أعمل، أنا بعد ساعة ماذا سأعمل؟ هل أدري؟

لا أدري، الله سبحانه وتعالى يعلم، أنا ممكن أن أقرر شيئاً؛ لكن هل أدري أن هذا سأتمكن منه؟ أو حتى إذا تمكنت منه هل أواصل طريقي فيه؟

يمكن أن أراجع، الآن أنا عندي نية أريد أن أذهب إلى الدمام، ماذا يذهب بي للمكان قبل أن أذهب للدمام، أنا مُقرر أن أذهب للدمام؛ شخص يسألني أين ستذهب، أقول له سأذهب للدمام؛ لكن حقيقةً هل أنا سأذهب إلى الدمام؟

الله سبحانه وتعالى يعلم أنّي لن أذهب، فضلاً عن صدقي الداخلي وما شابه؛ الله سبحانه وتعالى أقرب إلى الإنسان من نفسه، أقرب إليه من جبل

الوريد؛ فبالتالي الله سبحانه وتعالى أعلم بي «وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسِي!» ليس من غيري، بل بنفسي، ما هي فائدة هذا؟

فائدة هذا على أساس أن الإنسان يرتبط بالله، لا يكون عنده غرور وأنه من نفسه؛ لأنني محتاج إلى الله، وأسأل الله الثبات، وأسأل الله الاستقامة، وأسأل الله الثبات على القيم ومبادئ الرسالة «اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ» إذا هؤلاء أثنوا عليّ ومدحوني مدحاً زائداً، وهذا الشناء ليس فيّ، هذا المدح لا ينطبق عليّ، فيا رب؛ أنا ليس بيدي وبكيفي، فهؤلاء يمدحونني فلا تؤاخذني بقولهم، أنا لا أدعيه؛ وإن كان لا يحق له أن يدعي مكانة لم يصل إليها.

لهذا كان بعض أتباع أهل البيت عليه السلام في التاريخ الماضي حينما مثلاً يأتون يقولون له: أنت من شيعة أهل البيت عليهم السلام، يقول: شرف لا أدعيه. يقول: هذا شرف، أن أكون فعلاً وحقيقةً أنني من أتباع أهل البيت ومحبي أهل البيت عليهم السلام، لكن أنا لا أقدر أن أدعيه؛ لأنه كما يقول الإمام الصادق عليه السلام:

«تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّهُ

هَذَا لَعَمْرُكَ فِي الْفِعَالِ بَدِيعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لَأَطَعْتَهُ

إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعٌ»^(١)

(١) الأمالي، للشيخ الصدوق، ص: ٥٧٨.

إذا كنا من المحيين لأطعنهم وانتهجنا منهجهم، ولهذا حينما يقولون: أنت من محبي أهل البيت عليهم السلام، أقول: هذا شرف لا أدعيه؛ لأن هذا شرف أن يسلك الإنسان خطوات أهل البيت عليهم السلام خطوة خطوة، شرف كبير وعظيم؛ أما هؤلاء لا يدعون.

فلذلك حينما يمدحون ويثنى عليهم بالكلام الحسن، وهذا شرف لهم؛ لكن يخافون أن هذا ليس فيهم، على ماذا تقبل صفة ما ليس فيك وليست في مكانها، فيقول: «اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ» هذا قول، لكن شيئاً فشيئاً؛ قد ترون في بعض الأوقات يأتي شخص يمدح أمامك، لكن في نفسه عليك شيء؛ يوجد أناس من هذا النوع أو ما شابه، لكن مع ذلك يقول: يا رب؛ صحيح لا تؤاخذني بقولهم، لكني أسألك أن تجعلني أفضل مما قالوا.

الإنسان يتطلع، يعني لا يقول أنا لا أقدر، وهذا حدي؛ بل يتطلع إلى أن يكون أفضل حتى مما مدحوه، وأفضل مما يظنون فيه «اجْعَلْنِي مِنْ أَحْسَنَ عِبَادِكَ نَصِيباً عِنْدَكَ»^(١)، في الدعاء نسأل الله أن يجعلنا خير عباده، فالإنسان طبعي أن يسأل الله أن يكون أفضل مما يثنى عليه ويمدحه الآخرون؛ هذا شيء طبعي يطلب من الله أن يرتقي درجات.

«وَاعْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ» ممكن أن يكون عندنا أخطاء، زلات «من تحت لتحت» هذا الجليل معه لا يدري فيها، ولهذا يمدحني يثنى علي؛ فأسأل الله أن يغفر لي هذه الأمور التي لا يدري فيها، يا رب؛ لا تعاقبني عليها، فأنا ضعيف، الشيطان يؤسوس لي، غلبني هواي، فيا رب؛ اغفر لي تلك الأمور

(١) المصباح جنة الأمان الواقية وجنة الإتيان الباقية، للكفعمي، ص: ٥٦٠.

وتلك الزلاّت التي لا يعلمها هؤلاء الناس، فيعتقدون أنّي إنسان صالح وعظيم وما شابه، والحال أنا عندي هذه الزلاّت؛ وهذه الزلّة الصغيرة تُؤدي بي إلى نار جهنم، فيا رب اغفر لي ما لا يعلمون؛ هذه روحية المتّقين.

أذكر فقط رؤية، ونترك بقية الرؤى ليوم غد:

من أخطر الأشياء على الإنسان هو الغرور، وبتعبير الروايات: الإعجاب بالنفس «إعجاب المرء بنفسه مهلكة له»^(١)، حينما يَرْضَى عن نفسه بعمله، يعني ممكن أن يتوقف عن العمل، حينما يُعجب بنفسه يحقر الآخرين ويستصغر الآخرين، حينما يُعجب بنفسه يغفل عن أخطائه، ونواقصه، وقصوره.

هذا تؤثر فيه النقيصة، فيتوقف عن العمل، أخطاء في العمل، إلغاء الآخرين، هذا هل ينتج حقيقة؟

لا ينتج، هذه نتيجة إعجاب المرء بنفسه، لهذا «إعجاب المرء بنفسه مهلكة له»^(٢)، لهذا المتّقى ونحن أيضاً بحاجة أن نكون دائماً وأبداً نلتفت إلى أنفسنا؛ لا أقول أنا أصلي في المسجد، وغيري لا يُصلي؛ أنا أصلي جماعة وأقرأ القرآن، وذاك لا يقرأ قرآنًا، وما شابه؛ فبالتالي أنا أفضل منه، فيصير عنده مدح وثناء لنفسه، فبالتالي ماذا يحدث حينما يمدح لنفسه؟

(١) وردت الرواية في كتاب بحار الأنوار، (ط. دار الإحياء التراث)، ج: ٦٩، ص: ٣٢٠، ح: ٣٥، عن الإمام الصادق عليه السلام بلفظ: «مَنْ أَعْجَبَ بِنَفْسِهِ هَلَكَ، وَمَنْ أَعْجَبَ بِرَأْيِهِ هَلَكَ» وردت الرواية في نفس المجلد بصفحة: ٣٢١، رقم الحديث: ٣٧، عن رسول الله صلى الله عليه وآله بلفظ: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ وَهَوًى مُتَّبَعٌ وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ».

(٢) نفس المصدر.

يقول: أنا أولى بالقيادة من غيري، وهكذا في كل مورد؛ دعونا نأتي على مستوى العلماء، وحتى على مستوى الناس، لكن سأتي على مستوى العلماء: أنا حينما أمدح نفسي، وأرى نفسي أفضل من هذا وأفضل من ذاك! فإذا لا بدّ أن أكون مرجعهم دون سواي، فأنا ماذا أفعل هنا؟

أجبر الدين وأجعله مطية كي أصعد، كأن الدين يتوقف على زعامتي! هذه النتيجة، فإذا لم يلتفت الإنسان لنفسه تصل النتيجة لهذه الدرجة؛ أما إذا كان مُتهماً لنفسه، يقول: ذاك قد يكون عنده عمل سيء ظاهراً أنا أراه، وأنا عندي أعمال سيئة لا يراها الآخرون؛ وأنا عندي عمل صالح هذا يراه، وذاك عنده أعمال صالحة لا يراها الآخرون.

يوجد قصة تُنقل، بعيداً عن صحتها أو لا، ولكن تُنقل في مورد العلماء؛ لكن تُعبر عن شيء، بالتالي حتى لو لم تكن صحيحة، روح القصة صحيحة: أحد مراجعنا الكبار، كان يذهب يتنقل ويزور أماكن، بين كل فترة يذهب إلى إحدى القرى، ويدعو الناس ويُصلح الناس وما شابه؛ كان مرجعاً أعلى، ذهب إلى منطقة، جاءه أمرٌ من الإمام المهدي عليه السلام: أن اسكن في بيت فلان من الناس، قال: إن شاء الله أمتثل.

بعض المراجع عندهم لقاء مع الإمام، وقلت هذه القصة تُنقل ومكتوبة ممكن أن تكون صحيحة، قال: حاضر أذهب، بالتالي ذهب للقرية، استقبلوه تجاراً، وجهاءً، وعموم الناس، كل الناس، هو المرجع الأعلى للأمة، مرجع كلهم يُقلدونه، الكل يقول له: الضيافة عندنا، وإنّ هذا عز وفخر أن يكون هذا المرجع الأعلى في بيته، قال لهم: لا، أنا أريد أن أسكن في بيت فلان، كان إنساناً عادياً؛ لماذا في بيت فلان؟

قال: لا أريد غير بيت فلان! ذهب بيت فلان، وجلس مع فلان يُراقب حركاته، ماذا عنده؟ وهل عنده صلاة ليل؟ هل عنده كذا عمل؟

لكنه رأى أنّه متدين عادي، يُصلي، يخرج إلى عمله، يأخذ لقمته، ويأتي يأكل، وأموره بهدوء وعمل عادي جداً؛ ليس عنده محرمات، يُؤدي عملاً عادياً بشكل طبيعي؛ فسأله، قال له: تعال أريد أسألك ماذا عندك من عمل صالح؟

قال: أعمال عادية، قال له: «لا يكون!» أنا مأمور من قبل الإمام الحجة عليه السلام أن أسكن عندك، أكون في ضيافتك؛ لا بدّ أن عندك عمل صالح، عندك شيء!

قال له: ليس لدي شيء.

قال له: لا بدّ أن يكون شيء!

قال له: في الواقع أنا عندي عمل واحد، أنا ليلة زواجي اكتشفت أن زوجتي ليست ب بكر، هي طلبت مني السر، وأن أستر عليها، إن لم أستر عليها أهلها سيقتلوننا وما شابه، فقط فقط؛ هذا فقط! ليس عندي غير هذا.

قال له: الآن اتضح الأمور، هذا العمل الواحد لاحظ أين جعل مكانته، إذ كان المرجع الأعلى في ضيافته دون هؤلاء الناس كلهم؛ بالتالي لا بدّ أن نلتفت، لا نعتد بأنفسنا، ولا بدّ أن نتهم أنفسنا في أعمالنا؛ لأنّه قد يكون عند الآخر عمل وبالفعل هذا العمل يجعله عند الله درجات أرقى مني.

الإمام علي عليه السلام تصدق بخاتم واحد، نزل فيه قرآن: أن هو القيادة وتأكيده لقيادته ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ حصر الولاية والسلطة: الله، والرسول، والأمير عليهما وأهلها السلام ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(١)، هذا خاتم واحد، وشخص آخر تصدق بخواتيم كثيرة وما شاء الله، لكي تنزل فيه آية، ولم تنزل فيه آية، وذلك ما شاء الله الناس يرونه! لهذا قد يكون عند هذا الإنسان عمل، أنا لا أراه، أنا عندي سيئات ذاك لا يراها، عندي زلات لكن لا يراها.

نحن ضروري أن نعيش حالة تواضع، واتهام النفس، وعدم الغرور، وعدم التكبر، ولا نزدري الآخرين، لا نستصغر الآخرين؛ حتى نحافظ على ديمومة العمل، واستمرارية العمل، والعطاء، وتصحيح الأخطاء.

نحن إذا لم ننتهم أنفسنا سيكون هناك الأخطاء، أما حينما أنا أتهم نفسي - فأنا أكون رقيباً على أعمالي فسأرى أخطائي وسأصححها، فبالتالي سيتطور العمل وما شابه.

هذه بعض الرؤى، إن شاء الله ببقية الرؤى في الأيام القادمة.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

﴿ تَأَمَّلَات فِي خُطْبَةِ الْمُتَّقِينَ (١٨) ﴾

أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.
قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتّقين: «فَهُمْ لَأَنْفُسِهِمْ مُتَّهَمُونَ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ».

إِذَا زَكَّي أَحَدٌ مِنْهُمْ خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ، فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي، وَرَبِّي أَعْلَمُ مِنِّي بِنَفْسِي! اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ»^(١).

تحدثنا عن الشرح العام لهذه الفقرات، تحدثنا عن رؤية من الرؤى؛ واليوم نتحدث عن بعض من تلك الرؤى:

الرؤية الأولى: الإنسان لابد أن يتهم نفسه بالتقصير في العمل، أو بتعبير أدق: لابد أن يضع احتمالاً أنه قصّر في العمل، لماذا؟

الإنسان قد يعمل عملاً ما، ولا يرى نتيجة، فيضع اللوم على جهات

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٠-٤٨١.

خارجية، وقد يكون الخلل في ذات العمل، كان مقصراً في عمله؛ لو وضع احتمال أنه كان مقصراً، لو أعاد النظر وأعاد الدرس، وبحث عن طريق جديد، وأسلوب جديد لتطوير عمله ولتحقيق هدفه.

فإذن لابدّ للإنسان أن يضع احتمال التقصير، بل لابدّ أن يجعل بينه وبين ربه أنه قد يكون مقصراً؛ أنا صليت، هنا لابدّ أن أضع وأخاف أنني قصرت في صلاتي، فقد لا تُقبل؛ حتى لا يصير عندي غرور، حتى لا يصير عندي كذا؛ أسير على نفس النمط، لا أطور عملي.

لابدّ أن ألتفت: قد أكون أنا مقصراً، قد كانت عندي غفلة، قد صليت رياء، قد أكون صليتها من دون اهتمام وحضور قلب وما شابه، هذا احتمال التقصير؛ فبالتالي سأركز في صلاتي، سأبعد الرياء عني، سأحضر القلب في صلاتي، سيكون هناك الخشوع وما شابه؛ وهكذا في بقية الأعمال الاجتماعية والثقافية، أي عمل ما.

حينما يضع الإنسان احتمال أنه قد يكون مقصراً، يخاف التقصير وخوفه من التقصير يكون دافعاً لتطوير العمل، دافعاً لإزالة النواقص من العمل.

لذلك من الضروري أن نكون دائماً وأبداً في حالة خوف من التقصير: قد لا أؤدي حق هذا الرجل، قد لا أؤدي حق هذا العمل، قد لا أؤدي حق هؤلاء الأصدقاء أو هذا الجمع، قد لا أؤدي حق العائلة، الأهل، الآباء، الأولاد.

الإنسان حينما يقول: قد أكون مقصراً في تربيتي لأولادي، يختلف في طريقة تربيته، هذا يهتم؛ أما حينما يقول أنا ربيتهم، أنا كدّيت عليهم، أنا وأنا

وكل شيء عملت، لم أقصر ولم أقصر، ولم أترك كذا؛ هذا يُضيع أولاده، بل يقول أنا أخطأت في تربيتي لأولادي، لأنه يتصور المال هو كافي، وما يحصل عليه الأولاد كافي، ويقول أنا عملت وأنا عملت وأنا كذا!

قد يُقصر إنسان، ونتيجة التقصير في التربية يخرج الولد بهذه السلوكيات، وهذه الأخلاقيات، وهكذا بالنسبة إلى الأبناء لابد أن يُلاحظوا أنهم قد يكونون قصروا في علاقتهم مع آبائهم، آبائهم لهم فضل عليهم، هل أنا أدت حق الآباء؟

بعض الأبناء يقولون: أبوي أنا أحترمهم، وأقدرهم، وأسمع لهم؛ بالخصوص إذا كان الابن يغدق أيضاً أغدق على والديه، أو يعطيهم، أو هو أغنى أباه، أو أخرج أباه من الفقر هذا أيضاً لا يُفكر، بل كأن له فضل على أبيه، لا ينسى والحال لا، بل اتهم نفسك: قد تكون مقصراً، قد تكون رفعت صوتك، قد تكون أهنت والدك، أو ما شابه.

فلهذا لابد أن نتهم أعمالنا، أو نخاف أن نكون مقصرين في علاقتنا: مع آبائنا، مع قياداتنا، مع فكرنا، مع عقيدتنا، مع أعمالنا؛ هذا لابد أن نضعه في ذهننا خوف التقصير، وهذا هو الذي يجعلنا نُتقن العمل، ونُصحح الأخطاء.

الرؤية الثانية: لا ننخدع بمدح مَنْ هو في الخارج، حتى ولو كان مدحه صحيحاً؛ شخص يمدح ويثني: أنت كذا، وأنت كذا، وأنت كذا، جيد المدح يكون لكن أنا لا أنخدع وأتوقف عن العمل، بعد ما قال كذا توقفت!

المدح قد يُوقف الإنسان عن العمل، تزكية الخارج لك قد يُوقفك عن العمل، قد يكون جيداً ودافعاً لعملك، لكن حينما يتتابك الغرور قد يكون

دافعاً لإيقافك عن العمل.

فحينما يمدحك الإنسان من الخارج ويُزكّيك، احذر أن تنخدع وتُصدق،
والحال أنت أعرف، مسألة مهمة: إنسان يأتون له يمدحونه ويشنون عليه،
فينخدع.

المتّقون ليست هذه صفاتهم، نحن لا بدّ أن لا تكون هذه صفاتنا، لا
ننخدع بمدح وثناء الآخرين؛ يمكن أن يكون المدح يكون واقعاً، لكن أنا
دعني أنظر لنفسي، هذا الذي يمدح نَظَرَ نَظرةً إيجابية في مجال ما، وهناك أمور
سلبية لا يعرفها.

يوجد أخطاء عندي لا يعرفها، يوجد عندي قصور لا يعرفه، يوجد
نواقص عندي لا يعرفها، هذا لا يعرف، هذا يلاحظ الجهة الإيجابية؛ مثلاً
رأني أعمل بنشاط وحيوية، وأتى ومدح، يمكن هذا العمل رياء، وذاك
لا يعرفه رياء، لكن أنا في داخل نفسي رياء، وأتى مدح، وهذا يمدح، فلا
أنخدع.

أنا ممكن أن أعمل ويأتي هذا يمدحني، والحال ممكن أن يكون قصدي
من العمل: الزعامة، سلطة على الآخرين؛ وذاك لا يعلم أنني أقصد الزعامة،
أقصد السلطة، هو يرى ظاهر العمل، يرى عملاً يعني منتج ومفيد ظاهره،
والحال غير ذلك، وهكذا.

فإذن لا ننخدع بمدح الآخرين، لأن الآخرين نظروا إلى جنبه واحدة، ولم
يُطلّعوا على حقيقة الشيء، أنا المطلع عليه فلا أنخدع وأغفل عن القصور
والنواقص؛ أنا قد يكون للزعامة، وبعدها بمدح الآخرين أصدق أن هذا

دين، أنا هذا للرياء، وهؤلاء يمدحوني أصدق أنه دين، ويكون في عملي أهواء، وهو دين به شوب؛ ولهذا لا ننخدع بمدح الآخرين، وإنما لابد أن نُقيّم أنفسنا بأنفسنا.

الرؤية الثالثة: ضرورة فهم أن الله سبحانه وتعالى يعلم، كلام الناس لا يُغير شيئاً؛ الحقيقة لا تتبدل، الأقوال لا تُغير الحقائق؛ إذا كان في يدك جوهرة، وقالوا لك هذه جوزهة، هذه الجوهرة هل تتحول إلى جوزهة؟

لا تتحول، وإذا كانت جوزهة، وقال لك الناس جوهرة، هل تصير جوهرة؟

لا تتحول إلى جوهرة، إذا كان مرجعك مرجعاً عظيماً، الآخرون لم يعترفوا باجتهاده مثلاً، هل هذا يلغي اجتهاد مرجعك؟

كما كان في السابق، يأتي لك شخص يقول: السيد الشيرازي ليس بمجتهد! هذا القول هل يُغير شيئاً؟

لا يُغير، لأن الله سبحانه وتعالى هو يعلم، كذلك بالنسبة إلى نفسك، أقوال الآخرين لا تُغير من واقعك وحقيقتك، سواء مدحوك أم ذموك؛ أنت لك واقع وحقيقة، من خلال مجموعة سلوكياتك ومعتقداتك وأفكارك؛ أنت لك واقعك، لك مستوى معين، لك حقيقة معينة سلباً أو إيجاباً أو بينهما، بالتالي هؤلاء حينما يأتون يمدحونك، أو في المقابل يذمونك، لا يُغير.

الله سبحانه وتعالى يعلم حقيقتك، أنت إذا فعلت فعلاً قريباً إلى الله سبحانه وتعالى صادقاً، الآخرون قالوا رياء؛ عند الله لا يصير رياء، الله سبحانه وتعالى يُعطيك ثواباً، قال الآخرون رياء، الناس لم يقبلوا، الناس قالوا كذا؛ ووقفوا

ضدك، شو هوا سمعتك، أنت هذا العمل هل عندك يصير رياء؟

لا يكون رياء، عمل حق صادق، كذلك لو كان العكس؛ أنت عملك كان عملاً رياء، والآخرين قالوا: هذا عمل جيد وعظيم! هل يكون عظيماً؟ يأتي يُلقى بيت شعر، بيت ليس فيه منفعة، يقول: عظيم! تجد الآخرين يقولون عظيم، هل يُغير من الرياء؟ وهل هذا البيت يصير عظيماً؟

لا يكون عظيماً هذا بيت الشعر، دعه يقول ليلاً نهاراً؛ حقيقة هي، الله سبحانه وتعالى عنده شيء، لا يُغير، هذا لا بد أن نلتفت له، إذن هذا الفعل الذي أفعله أنا عند الله ماذا؟

الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم بحقيقتي، لا أقوال الناس، والحقيقة لا تتبدل: كان الشيء عظيماً أو حقيراً، إن كان عظيماً عند الله سيبقى عظيماً عند الله ولو كان حقيراً عند جميع الناس، وما كان حقيراً عند الله سيبقى حقيراً عند الله، ولو كان عظيماً عند جميع الناس؛ لهذا أنا ليس لي شغل برأي الناس، أنا لا بد أن ألاحظ ما قيمة هذا عند الله؟ هل هو عظيم أم حقير؟ بالنسبة لي أنا ماذا عند الله؟

الله سبحانه وتعالى هو الأعلم، هو أعلم بالإنسان وبما تُوسوس له نفسه؛ لاحظوا الإنسان: أنا، وأنت، كلنا، ما تُوسوس لنا به نفوسنا، وهو أقرب إلينا من حبل الوريد، أنا نفسي تُوسوس أنا لا ألتفت إلى وسوستها، خفي.

الله سبحانه وتعالى يعلم، الله سبحانه وتعالى هو أعلم؛ فلا ننخدع بأقوال الناس، وأقوال الناس لا تُغير الحقائق.

الرؤية الرابعة: ضرورة رفض والتبرؤ من المدح الذي لا واقع له، أن تُمدح

بما ليس فيك؛ استغفر ربك من هذا، ارفض مثل هذا؛ لا ترضى عنه، وتبرأ منه، لا يُحملني مسؤولية، قل: هذا شرف لا أدّعيه، وهذه نقطة مركزية تغلق الباب، لهذا «اَحْثُوا فِي وُجُوهِ الْمَدَّاحِينَ التُّرَابَ»^(١)، طبعاً الذي يمدح مدحاً مُبالغاً فيه، وليس المدح الطبيعي.

وفارق بين هذا والذي يمدح واقعاً، الواقع مقبول، وهذا جزاءه الله خيراً الذي مدح فلان، وأظهر حقيقة؛ لكن يأتي ويقول بما ليس فيه، مثلما هو موجود عندنا، مع احترامنا لكل شخص يأتي بالكلام، وهو أعلم العلماء، هذا مدح بما ليس فيه، لأن هذا ادّعى أن هذا أعلم من كل أولئك، وذاك ادّعى أن مرجعه أعلم من كل أولئك، وذاك ادّعى، الثالث والرابع والخامس والعاشر.

كل شخص يقول هذا أعلم من الباقي، لمصلحة ما من هؤلاء؛ هذا المدح لابد أن نُثير في وجهه، نرفضه ونرده على وجهه، يمدحه بقصيدة مثلاً: كالغزير في العلم مثلاً، إذا كان غزيراً في العلم وينفع أتباعه، هذا مطلوب.

لهذا لابد من التبرؤ والاستغفار من قول المداحين إذا مدحونا بما ليس فينا، ليس فقط لابد أن لا نُصدقهم؛ بل نتبرأ من قولهم، ونستغفر الله، يكون عندنا خوف.

لاحظوا المدح يسبب الطغيان، وشخص يقول كيف طغيان الطغاة؟

بسبب هذه النقطة: الطاعني يستأنس بكتابات عن مدح وما شابه من هذه الأمور، والكل يأتي يكتب ويمدح ويشني؛ الطاعني لا يرى سلبياته، يُصدق

(١) من لا يحضره الفقيه، ج: ٤، ص: ١١.

نفسه وهو طاغي من جانب يُذَبِّح ويُقَتِّل! يُصدّق نفسه أنّه يعمل من أجل العدالة، ومن أجل الخير لهذه البلد! والسبب هؤلاء الكتاب الذين مدحوه وأثنوا عليه، لو تبرؤوا منهم، ولم يجعل أحد منهم يتجراً، لم يُغرر بهم زيادة، هو يحمي الطاغي، لكن هذا يزيد الطغيان طغياناً أيضاً، هذا واقع واضح!

مات حاكم، وأتى حاكم، فهذا الحاكم الذي أتى عنده أحد أولاده يأتي من بعده؛ بعده هذا الحاكم صغير الولي أو النائب، سمه ما شئت!

جاء شخص من الكتاب لا يعرف ذلك النائب، ولم يره ولم يقرأ عنه، قام وكتب كيلاً من المدح لهذا الولي؛ لا يعرفه، لم يره، وكلّيات مسطرة يكتبها في هذا!

لهذا نقول أفضل حتى مما يقول، شخص يقول فلان ما شاء الله عليه لديه حركة ونشاط؛ أنا أترأ من هذا، حينما أنا أكون نشيطاً وأدبت الدور كاملاً؛ لكن أسعى أن أكون أكثر نشاطاً، أكثر مما هو يتصور ومما قال؛ أيضاً هذا مطلوب، ليس فقط أقول هذا، بعدها ماذا يحدث؟

أنا بريء وبعدها يتعطل العمل! يقولون: هذا نشيط، يقول لا، أنا لست نشيطاً، وحتى أثبت أنّني لست نشيطاً لا أعمل، نأتي لكم من باب المثال:

بعض الأوقات الإنسان لا يُصلي صلاة الليل، لكي لا يقولون عنه أنّه يُصلي صلاة الليل، مَنْ يقول لكم أنّي أصلي صلاة الليل، في ذهنه؛ الآن أنا لا أصلي أمام الناس، حتى يقولونه: إنّ هذا يصلي صلاة الليل، دعه يصلي؛ بل، هذا الذي يأتي يمدح على أساس أن هذا يُصلي صلاة الليل، وما شاء الله! أنا أقول له أنت لا تدري، ليست لكم هذه الأشياء، لكن أنا في ذات الوقت

أخذ التربة وأصلي صلاة الليل حتى لو رآني الناس كلهم، لا أترك صلاة الليل، لا أحد يتركها.

ولهذا المجتمع أيضاً يسعى، مثلاً يقول هذا رجل نشيط وكذا، ولكي لا يقولون أن هذا نشيط أتوقف عن العمل! بل أنا أعمل، ومن الداخل أقول: «وَأَجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ».

فإذن نحن نرفض المدح المبالغ فيه، ونتبرأ منه؛ لكن نسعى لأن نكون أفضل مما نحن فيه أيضاً، أن نسعى أن نكون أفضل مما مُدَحِّنا؛ لأنه ما دام بالعمل الإيجابي، يجب أن أستفيد من الإيجابي، ولا بد أن نسعى؛ مثل تعبير أحد أصحاب أهل البيت عليهم السلام: «شرف لا ندعيه» لكن هذا شرف لا بد أن نسعى إليه، ما دام هو شرف لا بد أن نسعى إليه.

هذه مجموعة من الرؤى لا بد أن نتصف بها، نسأل الله أن نُوفق لكي نتحلّى بهذه الروح: روح التقوى، حتى نتمكن من التربية لأنفسنا والآخرين، ونكون من المتّقين.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

« تأملات في خطبة المتقين (١٩) »

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم،
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين
أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم
أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: «فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ: أَنَّكَ
تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ»^(١).

في هذا المقطع يُبين الأمير عليه السلام مجموعة من الصفات للمتقين، والعلامات
التي تدل على أن هذا متقي؛ يعني يوجد صفات يتصف بها الإنسان قد تكون
خفية، لكن هناك علامات تتمكن من خلالها من معرفة أن هذا متقي؛ حينما
تُعاشره تعلم هذا من خلال سلوكياته، من خلال مواقفه، من خلال أفكاره؛
تعلم أن هذا من المتقين:

العلامة الأولى التي يذكرها الأمير عليه السلام: هي القوة في الدين، كما في

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨١.

حديث: «المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمنِ الضَّعيفِ»^(١)، المؤمن القوي ليس المقصود قوي الجسد، وإنما قوي الإيمان.

من علامة المتقين: لا تأخذهم في الله لومة لائم، يقول الحق ويصدع به، هذه القوة؛ يعني قوي لكن قوة ليست بطشاً على الآخرين، ليس على أساس تدمير الآخرين، القوة هنا قوة في دين.

تارة الإنسان يستنجد بالضعيف، يُهزم أمام الآخرين، يخاف الناس، يخاف من التيار العام، يخاف ما شابه؛ هذه ليست دلالة على تقوى، بل هذه دلالة عدم تقوى.

وتارة ترى هذا الإنسان: لا يخاف أصحاب المال، لا يهاب التيار العام، لا يخاف السلطان، لا يخاف الآباء، لا يخشى أحداً في الله ﴿الَّذِينَ يُلَاقُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٢)، هؤلاء هم المتقون، يُلَاقُونَ رسالة الله، ولا يخشون أحداً.

فمن علامة الإنسان المتقي، العلامة التي تظهر: هي القوة في تبليغ الرسالة، بل قوة التمسك بالدين، لا يضعف ولا ينهار؛ إنسان لا ينظر للساحة أين تتقلب ينقلب معها! ينظر إلى الحق، أين ما كان الحق يلتزم به، هذه قوة الدين، ليس على حسب الناس، إنما على حسب القيم؛ إذا رأى أن هذا الحق، أن هذا خير التزم به، ولو كان ضده.

لهذا الأمير عليه السلام يقول «ما ترك لي الحق من صديق» أبو ذر قالها «ما ترك

(١) حكم النبي الأعظم، لمحمد الريشهري، ج: ٣، ص: ٣٩٥، ح: ٤١٦٠.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٩.

الحق لي صديقاً^(١)، سلوكيات أبي ذر، مواقفه، كلماته، شعارته؛ كانت تُدلل على شخصيته في الدين، لذلك نلاحظ لم يتحمله إلا التراب، ولهذا نبذوه، رفضوه، هجروه، لماذا؟

لأنه كان يصدع بالحق، يقول كلمة الحق؛ لذلك أمير المؤمنين عليه السلام في آخر لحظات وجوده في المدينة، حينما أُخرج منها -أبا ذر-، قال له «يَا أَبَا ذَرٍّ؛ إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلَّهِ، فَارْجُ مِنْ غَضَبَتِ لَهُ»^(٢)، في سبيل الله، ليس لإرضاء نفسه، ليس لإرضاء أهوائه، ولا شهواته، ولا لإرضاء أحد؛ وإنما غضب دفاعاً عن الحق، لا الباطل، رفض الذل، كان قوياً في دينه، هذا هو، فارق ما بين ما تدعوه القيم، وما بين قوة ضاغطة؛ هل يلتزم بالقيم أو لا؟

الإمام الحسين عليه السلام يعبر عن عكس هؤلاء: «النَّاسَ عَمِيدُ الدُّنْيَا، وَالدِّينُ لَعَقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ» هذا الدين اللعق على الألسنة لا ينفع، ليس دليلاً على تدين حقيقي، ليس دليلاً على القوة؛ لهذا الإمام يقول: «وَالدِّينُ لَعَقٌ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ» فقط الكلام، ليس واقعاً «فَإِذَا حُصِّصُوا بِالْبَلَاءِ قَلَّ الدِّيَّانُونَ»^(٣)، ظرف سياسي متقلب، لاحظ كم شخص يبقى متديناً؟ ظرف اقتصادي متقلب، لاحظ كم شخص يبقى متديناً؟ ظروف متقلبة اجتماعية أو ما شابه، هزات؛ لاحظ كم شخص عنده استعداد أن يثبت في تلك التقلبات؟

(١) بحار الأنوار، (ط. دار الإحياء التراث)، ج: ٣١، ص: ١٨٠.

(٢) بحار الأنوار، (ط. دار الإحياء التراث)، ج: ٢٢، ص: ٤١١، ح: ٣٠، غرر الحكم ودرر الكلم، ص: ٨٠٦، ح: ٩.

(٣) تحف العقول: ص: ٢٤٥ + ميزان الحكمة: ج: ٣، ص: ١٢١٩، ح: ٥٩٢٥.

«فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ الرِّجَالِ»^(١)، المتّقون الذين يثبتون على تقلب الأحوال، يثبتون على الحق، بعيداً عن إرضاء أي إنسان، ولا يخافون أي إنسان؛ هذا هو المتّق.

ولذلك علامة ظاهرة، انظروا لهذا الإنسان الرسالي الذي يدّعي الرسالة؛ لاحظ هل تريد أن تعرف أن هذا متّق أم لا؟ لاحظ هل لديه قوة في الدين أم يتضعّض، ينظر إلى الأجواء، يرى المصالح؛ أينما يوجد مصلحة له، حيثما يوجد مال، حيثما يوجد رضا الناس، هو وراءها؟

لاحظوا هذا المعمم الذي يلبس العمامة نفس الشيء، لاحظ هذا عالم يُمثل الدين ظاهراً، لاحظ هذا هل تريد أن تعرف أنه متّق أم لا؟ انظر إلى مواقفه منبعثة من التدين من القيم، أم من الأجواء، أم من المطامع، ابحث وهكذا بقية -الفئات- ذاك الإنسان التاجر يدّعي التدين والإيمان، الحطّ تدينه، هذا يلتزم في تجارته بقيم السماء أم ينهب هذا، ويسرق ذاك!

وهكذا بقية الفئات: عالم، تاجر، موظف، مهندس، بقال وما شابه؛ لاحظ هذا عنده قوة، وعنده جرأة، يثبت في دينه، أو مع القوم، أو على حسب الأجواء؟

لنأتي من باب المثال على واقعنا:

١. تثبيت الهلال، لاحظ على أي أساس، يأخذ -تثبيت- الهلال: على أساس قيم، أو على أساس الناس، مع الناس، أو ليس له شغل، أجواء، هو رأى الهلال بنفسه وبعينه، ولا يشك ذرة لكن لأنهم لم يُثبتوه، يخاف أن

(١) نهج البلاغة، ص: ٨٢٥، ح: ٢٠٧.

يقول الهلال ثابت بالنسبة إليّ! لأنه خائف، هذه دلالة ضعف! على الرغم أن الحكم الشرعي: (حتى لو لم يقبل الحاكم شهادته، يجب عليه أن يعمل برؤيته؛ هذا يُبين تقواه أو قلة تقواه)!

إذن من علامة المتّقّي: هي القوة في الدين، وهي تعبير عن التزام الحق دون الخضوع لأي ضغط خارجي ولا داخلي، لا الأهواء والشهوات، ولا المجتمع، ولا السلطان، ولا أصحاب النفوذ، ولا أصحاب الجاه، ولا أصحاب في العائلة، ولا العشيرة، ولا مَنْ حولي.

٢. أنا كعالم، أقول أنا إذا عملتُ كذا، لا أجد من المصلين مَنْ يُصلي خلفي، (عمره لا أحد صلى خلفي) دلالة عدم تقوى، لأنّي لا أصلي لله؛ أنا أصلي لأجل أن يُصليّ معي خمسة أنفار، عشرة أنفار، مائة نفر، أقل أكثر؛ فلا بد أن نلتفت.

٣. أنا أخطب حتى أرضي الناس، إذا أنا قلت الحق الناس يزعلون، بالتالي الناس يكونون ضدي لهذا أنا أساير الناس، ما يريد الناس أقوله، لا أُغيّر ولا أصلح! دلالة عدم تقوى: من الخطيب، من العالم، وهكذا من الإنسان العادي وما شابه.

هذه صفة أرجو أن نلتزم بها، ونتحلّى بها، أن نلزم الحق لأنه حق؛ لا لأن فلان قال به، أو لأن الأجواء، أو لأن المصالح، أو ما شابه؛ بل لو خالف الحق جميع مَنْ في الخارج، أنا ألزمه ولو خسرتُ كل شيء، في هذا الوجود التزامي بالحق هو الأهم.

فمن علامة المتّقّي:

هي قوة التدين قوة في الله، مَنْ يرتبط بالله لا تأخذه لومة لائم، أو بتعبير الآية القرآنية: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(١)، هذا بالنسبة إلى العلامة الأولى.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) سورة الأحزاب: ٣٩.

◀ تأملات في خطبة المتقين (٢٠)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ: أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ»^(١).

✽ علامات المتقين:

العلامة الأولى: هي القوة، والحزم وعدم التردد، ويعني اللين: عدم الصلابة.

فهؤلاء المتقون تلاحظ من سلوكياتهم حالة الجدية في حياتهم، تلاحظ في حياته الحركة والجد والصبر، وتلاحظ لين العريكة في تعامله مع الآخرين.

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨١.

العلامة الثانية: «وَحَزْمًا فِي لَيْنٍ» هذه من الصفات المهمة جداً من صفات النفس، قد تجد الجبابة والطَّغاة حازمين في أمورهم، لكن هل حزم في لين؟ لا، أو أناس تجدهم لَيِّنِينَ، لكن ليس عندهم حزم، تجد عنده ميوعة؛ لَيِّن العريكة، لكن ليس جدياً في حياته، استهتار، أو عبث، أو لا مبالاة، أو ما شابه.

حزم في لين، عدم التردد والإقدام لكن ذلك كله ممزوج في لين العريكة، والتواضع، وعدم إخافة الآخرين وما شابه.

العلامة الثالثة: «وَيَأْمَانًا فِي يَقِينٍ» من العلامات الأخرى أيضاً: هذا الإيمان عن دليل وبرهان، عن علم، ما يسلكه متيقنٌ به.

تارة شخص إذا صار الناس مؤمنين، صار مؤمناً؛ الأجواء العامة تتحكم فيه، أشخاص يُؤثرون عليه، التغيرات والظروف تُؤثر عليه أو ما شابه؛ تارة إيمانه بالقيم، إيمانه بالله، إيمانه بمنهجه، عن علم وبرهان إلى درجة اليقين، لا تردد فيه، لا شك فيه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(١)، يقين الإنسان أبلغ من العلم، يقين راسخ لا شائبة ولا شك فيه، هذا اليقين.

فإيمان هذا بمنهجه، بقيمه، بمبادئه، ليس لأن الناس آمنوا بها، ليس لأن الأشخاص المقربين منه، أصدقاءه آمنوا بها، بل عن يقين، ومعرفة، واختيار، وعن دليل وبرهان ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾^(٢).

(١) سورة السجدة: ٢٤.

(٢) سورة البقرة: ١١١.

استقلالية في شخصيته، يُفكر ويتأمل؛ لا تبعية لهذه الشخصية، لا للظروف، لا للأهواء، لا للشهوات، لا للأشخاص، لا للأجواء، لا للأكثرية وما شابه؛ وإنما للعلم، وللبرهان، والدليل الساطع الناصع، وهذه علامة أخرى؛ حينها تأخذ وتعطي معه تجد إيمانه قائم على دليل وبرهان، هذه الصفة.

ويوجد بعض الصفات إن شاء الله نذكرها في الأيام القادمة، هاتان الصفتان بالإضافة إلى الصفة الثالثة التي ذُكرت بالأمس، تُكوّن شخصية قوية للإنسان المتّقي:

أ. حينها عمّق الدين، قوي وليس ضعيفاً.

ب. الجدلية في الحياة، وعدم التردد مع لين العريكة.

ج. البساطة وحب الآخرين.

د. الحركة وفق الدليل والبرهان، إيمان راسخ، شخصية قوية، تلتزم، وشخصية قوية في ذات الوقت شخصية مستقلة، فإيمان ناشئ من قوة الشخصية لا يتزعزع، فهذا الذي لا بدّ أن نسعى إليه: أن نُرسخ إيماننا، ويكون إيماناً قوياً، ليس إيماناً ضعيفاً ويتزعزع بل ثابت لا يتبدل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾^(١)، ثبات، هذا ناشئ من أين؟ قوة الإيمان ناشئة من أين؟

الكلمة الطيبة، القرآن الكريم هو المنهج الذي يعتمد عليه؛ البارحة نحن

(١) سورة إبراهيم: ٢٧.

ذكرنا هذه ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾^(١)، إذا كان اعتماد الإنسان: في أفكاره، ومنهجه، ومواقفه، ورؤى القرآن، وقيم السماء؛ سيثبت، ولا يتزعزع؛ هذا إيمان ثابت، هذه شخصية قوة الإيمان، ليس إيماناً ضعيفاً يتزعزع من هنا وهنا.

ذاك من الشجرة الحبيثة، مأخوذ من قيم جاهلية، فهذا بالدليل والبرهان في شخصيته، هذا الذي يُثَبَّت الشخصية، وهذا الذي يُعَمِّق الإيمان؛ قوة الشخصية، ليست ضعيفة، ومتردة، وخائفة، وخائرة؛ إنما شخصية حازمة، ومقدامة، وقوية.

لهذا نحن بحاجة إلى أن نتصف بصفات المتقين، ونظهر هذه العلامات:

١. أن نكون أقوياء في ذاتنا، ما نعتقد به من قيم سماوية لا نتردد في طرح هذه الأمور، لا نخشى أحداً: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٢)، لكن مع ذلك نكون لئيلي العريكة: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٣).

٢. وفي ذات الوقت بالدليل والبرهان.

٣. اليقين ﴿لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(٤)، لكي نصل إلى هذا المستوى، لابد أن نرتبط بالقرآن هو الذي يُجَدِّر إيماننا، ويُقَوِّي إيماننا، والقرآن هو الذي يبني شخصية مقدامة، وشجاعة، وغير مترددة؛ وهو

(١) سورة إبراهيم: ٢٤.

(٢) سورة الأحزاب: ٣٩.

(٣) سورة فصلت: ٣٤.

(٤) سورة السجدة: ٢٤.

الذي يبني شخصية ليّنة، تعفو وتصفح وما شابه؛ والقرآن هو الذي يُعطينا
الدليل القوي، الدليل الناصع، يُرَسِّخ الإيمان إلى درجة اليقين.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطاهرين.

◀ تأملات في خطبة المتقين (٢١)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم،
الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين
أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم
أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

«فَمِنْ عِلَامَةِ أَحَدِهِمْ:

أَنْكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ، وَحَزْمًا فِي لِينٍ، وَإِيمَانًا فِي يَقِينٍ، وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ،
وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ، وَقَصْدًا فِي غِنًى، وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ»^(١).

المداخون إذا مدحونا بما ليس فينا، ليس فقط لا نُصدقهم؛ وإنما نتبرأ من
هؤلاء، ونستغفر الله، يكون عندنا خوف.

لاحظوا لو يأتي بالجاء، بالسلطان، بكل هذه الأمور يتقوى بها؛ هذه
كلها لا يمكن أن تغفر ذنباً واحداً، أصغر ذنب لا تتمكن هذه الأشياء من
أن تُزيله، لا يُزيله إلا الله «فَوَعِزَّتْكَ مَا أَجِدُ لِدُنُوبِي سِوَاكَ غَافِرًا، وَلَا أَرَى

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨١.

لِكَسْرِي غَيْرِكَ جَابِرًا^(١)، لاحظ الكسر في الزجاجة، كيف تُصلحها؟
صعب أن تنجبر، يبقى فيها أثر بالتالي هذا الكسر ما الذي يجبره؟
بل الأعظم من هذا قد يُجبر، لكن النفس إذا خُدشت ماذا يجبرها؟
والأعظم من ذلك حينما يرتكب الإنسان ذنباً، هناك ينكسر نور في داخل القلب، ما هو الذي يجبره؟

هذه الشخصية ينتابها ضعف حقيقي وكسر، بكل ذنب يرتكبه الإنسان يحدث كسرة، يعني هبوط، نسعى للعلم، والاهتمام البالغ بالعلم.

الميزة الثانية: وجود العلم، لكن هذا العلم غير مجرد عن روح الحلم والسعة «وَقَصْدًا فِي غِنَى» ترى تصرفاته المالية، تصرفاته المعاشية، ترى هذا مبذر، مسرف؛ ليست فيه صفات المتقين: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾^(٢)، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾^(٣).

فبالتالي المتقي ليس من أولئك الذين عبثوا، وليس لديه إسراف: في الطعام، في السكن، في المأكّل، في المشرب؛ وإنما يقتصد، ليس معنى الاقتصاد لا يوجد عنده، حتى إن كان عنده؛ وعندما تفقد المال، وليس ببخل، إنما الاقتصاد.

مسؤولية ترشيد للصرف، يضع المال في موضعه «لَا تَزُولُ قَدَمٌ عَبْدٍ يَوْمَ

(١) بحار الأنوار، (ط. دار الإحياء التراث)، ج: ٩١، ص: ١٤٢، مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي، ص: ١٧٨.

(٢) سورة الإسراء: ٢٧.

(٣) سورة الأعراف: ٣١.

الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيْمَا أَنْفَقَهُ^(١)، في ماذا أنفق هذا المال؟ في ماذا وضع هذا المال؟ هل وضع المال في موضعه الطبيعي؟

هنا هذا المتقي هو الذي يصرف المال في مصرفه، من دون إسراف ولا تبذير، ليس للتباهي، ليس للتفاخر، ليس لمجاراة الناس، ليس لمسيرة الناس يصرف المال، لا للتفاخر: لأن هذا بنى بيتاً بمليونين أنا أبني بيت بمليونين! لأنه أشتري سيارة بذاك الحساب أنا أشتريها بذاك الحساب؛ لا، بل يصرف لأنه يحتاج إلى هذا الصرف، يصرف فيما يحتاج إليه

فبالتالي من علامات هؤلاء المتقين: الرشد الاقتصادي «وَقَصْدًا فِي غِنَى» ليست مسألة أنه ليس عنده مال، وبالتالي غصباً عنه لا يشتري هذا الشيء، بل عنده ولا يشتري، لأنه لا داعي لشراء هذا الشيء، أو صرف المال على هذا الشيء.

الميزة الثالثة: «وَحُشُوعًا فِي عِبَادَةِ» أيضاً هذا المتقي يُلحظ عليه الخشوع، ليس فقط خشوع بكلمة اللسان أو بالمظهر، وإنما الخشوع الذي ينعكس على عبودية لله؛ خشوع ليس شكلياً، ليس شكله ظاهر عليه الخشوع بل في داخل أعماقه خضوع، عبودية لله.

يعني هنا لا يتظاهر أنه أمام الناس خاشع وهو عند الله ليس عنده نوع من الخشوع والتسليم والخضوع، بل هذا الخشوع وهذا المظهر والشكل الذي

(١) وردت الرواية في كتاب: بحار الأنوار، ج: ٢٧، ص: ٣١١، بلفظ: «لَا تَزُولُ قَدَمُ عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعَةٍ: عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيْمَا أَنْفَقَهُ، وَعَنْ حُبِّ أَهْلِ الْبَيْتِ».

تُلاحظه عليه، لكن في نفس الوقت هذا الخشوع في عبادة أي خضوع لله.

ليس خشوعاً من أي شيء، ليس خوفاً من أي شيء، هذا الخشوع ليس خوفاً من السلطان، ليس خشوعاً خوفاً من الناس، ليس خشوعاً خوفاً من المصلين الذين يصلون خلفه، أو يصلون معه أو ما شابه، إنما خشوع خوفاً من الله، هذا خشوع في عبادة؛ يعني عبودية خشوعاً لله وإقراراً لله، هذه نتيجة العبودية لله، هذه تُوجد العلامات الأخرى.

هذه مجموعة من العلامات التي يذكرها الأمير عليه السلام في هذا المقطع:

العلامة الأولى: الاهتمام البالغ في العلم.

العلامة الثانية: امتلاك العلم مع سعة الصدر.

العلامة الثالثة: الرشد في الصرف.

العلامة الرابعة: الخشوع الناتج عن الخضوع والعبودية لله، لا خوف وخشية من الناس.

هذه يجب أن نتحلّى بها حتى نكون من المتّقين: أن نهتم بالعلم، وأن نُعطي العلم أهمية وليس على الهامش؛ نهتم بالقرآن والتدبر به، ومن خلال القرآن يكون عنده رسوخ وعلم بالله.

ومن جانب ثاني: السعة، ونُوسع صدورنا؛ وحينما نملك علماً لا نتكبر على الآخرين، ونلغي الآخرين؛ حينما صار عنده قليل من العلم يتكبر! بل لابدّ من أن يتحمل هذا الآخر.

وأيضاً جانب ثالث: وضع الصرف في محله، لا نصرف إلا عند الحاجة

لنبلغ الرشد، ونُعوِّد أنفسنا على الترشيء أكثر، ليس من باب البخل وإنما من باب أن المال يُوضع في موضعه.

الكلمة الأخيرة: لابد أن نغرس روح الخشية الناتجة عن العبودية، نوع الخشية التي هي عبارة عن خضوع لله، وليس خشيةً لأجل كلام الناس؛ وإنما نخشى الله حقيقةً، خوفاً: من عذابه، من ناره، من غضبه؛ هذه الأمور لابد أن نغرسها في أنفسنا، لا بل في أعماق أنفسنا.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

﴿تأملات في خطبة المتقين (٢٢)﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين: «وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطًا فِي هُدًى، وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ»^(١)، في هذا المقطع القسم الأخير من الخطبة، يُبين الأمير عليه السلام علامات التقوى:

العلامة الأولى: «وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ» يعني السعي والحركة، لكن السعي وطلب الرزق ليس كيف ما كان، وإنما بالطريق المشروع «لَا تَزُولُ قَدَمُ عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ» من ضمن الأسئلة «مَالَهُ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ»^(٢)، عنده مال، لكن طريق الاكتساب هل طريق مشروع؟ هل طريق محلل، أم طريق محرم: عن طريق الربا، عن طريق الظلم، عن طريق النهب، عن طريق

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨١.

(٢) بحار الأنوار، ج: ٢٧، ص: ٣١١.

الخداع؟

وهنا يُبين الأمير عليه السلام أنَّ المتقي الذي يسعى، أولاً: عنده سعي، ليس جالساً، وفي ذات الوقت يسعى بالطريق المشروع لكسب الرزق الحلال.

العلامة الثانية: «وَطَلَباً فِي حَلَالٍ، وَنَشَاطاً فِي هُدًى» عنده حركة ونشاط وسعي دائم أيضاً للعمل الصالح، للعمل لكن العمل الصالح، تارة الجماعة يكونون في حركات هدامة، حركة شيوعية، عنده نشاط تراه دؤوباً، لكن في ماذا؟

في ضلال، إنسان تراه يعمل عملاً اجتماعياً لكن رياءً، من أجل المنصب؛ عنده نشاط وحركة ما شاء الله لكنه يُناقض ويكذب وما شابه؛ تارة النشاط في هدى، لاحظوا الفارق.

العلامة الثالثة: «وَتَحَرُّجاً عَنِ طَمَعٍ» إضافة ومن ضمن الصفات الرئيسية: الحرج، يعني التباعده عن الطمع، ليس عنده جشع، ليس عنده ذاتية على حساب الآخرين، لا يريد، ليس عبداً للمال، ليس عبداً للسلطان، ليس عبداً للسلطة، ليس عبداً للجاه.

* تفصيلاً لعلامات المتقين في هذا المقطع:

هذه ثلاثة من علامات المتقي:

العلامة الأولى: السعي الدؤوب للرزق، لكن بطريق حلال، فماله حلال لا يأكل الحرام، هذه ميزة.

الإنسان المتقي ليس كلاً على غيره، لا يعتمد على غيره إنما الاعتماد على

الذات، يعتمد على نفسه، يتحرك لديه نشاط من أجل كسب الرزق الحلال،
ليس جالساً ويقول: لا يوجد عمل، جالس يقول لا يوجد رزق، كذا!

لا، المتقي يسعى ويطلب؛ وأيضاً مهما كانت من صعوبات في الطلب،
يتقيد بطلب الحلال، لا يقبل كل عمل ليس المهم أن يدخل مبلغاً من المال
سواء كان العمل حلالاً أم ليس حلالاً، لا يفرق! بل يفرق عند المتقين، لا بدّ
أن يكون العمل مشروعاً مرضياً عند الله حتى يقبله.

إذن من العلامات بالنسبة إلى المتقين ليس كلاً على غيره، وإنما هو معتمد
على نفسه، ومن ثم فهو في سعي وطلب حثيث للرزق الحلال دون سواه.

العلامة الثانية: النشاط والعمل الدؤوب: خدمة الناس، خدمة نفسه،
لكن في هدى؛ رجل نشط متحرك متصدي، عنده حركة دائمة، ليس
متوقعاً، ليس منزوياً، ليس معتزلاً؛ وإنما له وجود، له دور يُمارس، لكن
في ذات الوقت، هذا كله أيضاً «في هدى» من أجل الله، من أجل رضا الله.

ليس لأجل أن يقولوا: (تعالوا انظروا يفعل، تعالوا انظروا فلان صار
زعيماً) وما شابه، حتى يتسلط على رقاب الناس، أو يُرائي، أو يفسد، أو ما
شابه، وإلا يوجد شباب ينتمون إلى حركات هدامة ونشاط، لكن في ضلال
مع الأسف، ويوجد جماعة يعملون عمل اجتماعي لكن من أجل الرياء،
أو من أجل السمعة، أو من أجل مكاسب دنيوية، بل يوجد أناس حتى في
المساجد لكن ليس من أجل الله، يتبع -العالم- دون سواه، ويتبع باعتباره
شخص، ليس باعتباره قيم وهكذا.

فبالتالي هؤلاء في ضلال، عنده نشاط وعنده عمل دؤوب وعنده حركة

وديمومة لكن هذا لا فائدة منه لأنه في ضلال، أما المتقي يعمل دائماً ليلاً نهاراً، ولديه حركة ولديه نشاط وبالإضافة إلى ذلك يتحرك للإصلاح لأجل رضا الله، يعمل على الدعوة إلى القيم، والدعوة إلى الخير ليس إلى الضلال، أهم شيء أن يكون العمل في سبيل الله، مُتَقِنٌ سواء هو أذاه أم غيره، ليس المهم إن قام به هو أو غيره ما دام عمل في سبيل الله، الأهم بقاء العمل واستمراريته، فعنده نشاط في هدى.

العلامة الثالثة: «وَتَحَرَّجًا عَنْ طَمَعٍ» ليس عنده طمع في الدنيا بل تباعد عن الدنيا، ليس عنده طمع في الشهوات بل تباعد عن الشهوات وعن الزلات؛ لا الملابس تُغريه، لا المغريات تُغريه؛ الدنيا فيها ما شاء الله، والإنسان تُغريه هذه الأمور يسيل لعبه، سيارة جديدة، بيوت فخمة، ملابس أنيقة وأشكال وألوان، وأطعمة على حسب الطلب يسيل اللعب منها وما شابه.

هذه عند المتقي لا قيمة لها في ذهنه: «عَظَّمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ» لهذا يتباعد عنها، ليس عنده طمع فيها لأن هذه الأمور صغيرة في ذهنه، هذه ميزة التقوى، وهذه التي تُشجعه على الأعمال، وبهذه تكون العلماء.

فإذن لا تستعبده الأشياء، لا تغره الأشياء، لا تجذبه الأشياء إنما يجذبه رضا الرب، والعمل الصالح؛ هذه ثلاث ميزات:

١- طلب الرزق الحلال.

٢- العمل الصالح الدؤوب في سبيل الله.

٣- التباعد عن كل مغريات الدنيا.

هذه من علامات المتقين، يجب أن نتحلى بها، نسعى لأن نتصف بها حتى نبلغ درجة التقوى.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

﴿تأملات في خطبة المتقين (٢٣)﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
قال أمير المؤمنين عليه السلام في صفات المتقين، يصفهم فيقول: «يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ
الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمْسِي وَهْمُهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهْمُهُ الذِّكْرُ؛ يَبِيتُ
حَذَرًا، وَيُصْبِحُ فَرَحًا»^(١).

في هذا المقطع يُبين الأمير عليه السلام حال المتقين وعلامة المتقي:

الميزة الأولى: العمل الصالح الممزوج بالخوف والوجل، تارة الإنسان
يعمل، ولكن عمله غير صالح؛ وتارة يعمل الصالحات، لكن يؤدي إلى
غرور أو ما شابه.

أما الإنسان المتقي مع عمله الصالح الذي يعملُه هو على وجل من الله،
خوف من الله؛ قد يكون هناك شائبة رياء، يكون هناك تقصير، أن لا يُقبل
هذا العمل، أن يُرد هذا العمل أو ما شابه؛ فبالتالي دائماً وأبداً هؤلاء يُحيطهم
الخوف من الله سبحانه وتعالى، لهذا يدفعهم إلى مضاعفة العمل، وإخلاص

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨١.

العمل، ومراقبة العمل.

يعني هذا الخوف يجعله يُراقب عمله، هذا الخوف يجعله يُغير عمله، ويُصحح عمله؛ هذا الخوف يجعله يُخلص النية، ويُعمق الإخلاص في النية وما شابه.

لذلك «يَعْمَلُ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ» على خوف «يُمْسِي وَهُمْهُ الشُّكْرُ» حينما يريد أن يأوي إلى الفراش، أو بعد غروب الشمس، وبعد صلاة العشاءين، حينما تسكن الحياة هذا يشكر الله على ما وفّقه من عمل صالح، ويشكر الله على ما أنعم عليه من نعم في هذا اليوم.

أيضاً يشكر، لا يقول أذهب وأنام وانتهى العمل، بل همه أن يشكر الله حق شكره: بالعبادة، بقول اللسان، بقيام الليل، بأي طريقة يُعبر عن شكر الله.

فإذن لم ينتهِ العمل، لم يتوقف العمل، وإنما لابد أن يُجمع كل الأعمال النهارية، بعمل ليلي، يُعبر عن شكر الله، وعن الحمد لله على توفيقه وعلى نعمه وما شابه «وَيُصْبِحُ وَهُمْهُ الذِّكْرُ» أول ما يطلع الصبح هل همه المال؟

قبل أن يفتح عينه لهذه الدنيا من الصباح بعد أن نام في سبات في الليل، ما هو همّه؟ إلى ماذا يتطلع برنامجه، أهدافه، همه ماذا؟

الذكر، ذكر الله؛ فبالتالي ينام شاكراً لله، ويُصبح ذاكراً لله، وما بينهما العمل الصالح الذي يمتزج بالوجل؛ هذه شخصية الإنسان المتّقي، التي يحتاج أن نتخلّق بها، بهذه الروح.

لاحظوا عمل دائم، عمل صالح، صعود، ليس تضييعاً للوقت، الوقت

والزمن لا يذهب هباءً منثوراً، وليس أي عمل يعمل، وإنما العمل الصالح. طبعاً حتى السعي للقمة العيش، من أجل لقمة الحلال وكف الحرام، هذا عمل صالح، كل ما يُرضي الله هو عمل صالح، لكن بشرط بحدوده، ليس على أساس أن يُكَدَس المال على المال، يبني القصور تلو القصور، إنما العمل بقدره هذا عمل صالح فيه ثواب، فهذا الإنسان مُحاط بالأعمال الصالحة، وهذا الإنسان أيضاً يعيش الخوف والوجل.

فالميزة الأولى إذن للمتقي: هو العمل، هذا الإنسان ليس كسولاً بل إنسان نشيط، والعمل أيضاً عمل صالح ليس أي عمل كان، ملتفت إلى نفسه؛ ليس أي عمل، هذا العمل هل هو من عمل الصالحات، أو من أي نوع آخر؟

يعني العمل الصالح لابد أن يكون فيه إخلاص النية، لابد أن يكون من أجل بناء هذه الأمة وهذا المجتمع، وطرح هذه الأمة وطرح هذا المجتمع في سبيل الله وما شابه: من صلاة، إلى جهاد، إلى علاقة مع الإخوان المؤمنين، إلى قراءة قرآن، إلى تفكير في كيفية العمل، كل هذه أعمال صالحة: من تربية الأبناء، من إصلاح الأصدقاء، من نصح الأصدقاء، من الأمر بالمعروف، من النهي عن المنكر، من التواصي بالحق، من التواصي بالصبر، من التواصي بالمرحمة، وبالأرحام وما شابه هذه كلها أعمال صالحة، يكون في نشاط وفي صلاح، ومضاعفة العمل، إتقان العمل، إخلاص العمل، تطوير العمل، هذا الإنسان المتقي.

وفي إطار هذا أيضاً خوف من التقصير، لا يقول هذا العمل وكفى، هذا العمل معصوم! يمكن فيه نواقص، فيه قصور، لابد أن نقبل -الملاحظات-؛

أخطاء تبدر منا، العمل ليس كاملاً، لهذا لا بدّ أن نقبل.

لا بدّ أن نعيش هذه الحالة في أنفسنا، أمّا إذا جاء شخص وقدم لنا الملاحظات والانتقادات، نستاء منه ونمتعض: لا، ممكن الملاحظات أراها صحيحة فأقبلها، ويمكن لا أراها صحيحة فأرفضها وأتفكر فيها.

فلا يعني أن أتخذ موقفاً من هذا الإنسان لأنه أتى ونصحني، هذا ناصح، لا بدّ أن نُقيّم أعمالنا، لهذا الخوف أن هذا العمل خاطئ، أو ناقص، أو فيه رياء، أو فيه شيء آخر وما شابه.

الميزة الثانية: الإنسان حينما يُخيم الظلام، لا بدّ أن يكون له هدف أيضاً، ليس معناه انتهى الهدف، أو توقف العمل.

المتّق لا يتوقف عمله، لهذا نومه عبادة، يكون طبيعياً؛ لأنه ينام من أجل الذكر، فبالتالي ينام من أجل أن يُضاعف العمل؛ لهذا حينما يأتي الليل ينام «وَهُمُّ الشُّكْرِ» قبل أن ينام همه الشكر، يشكر الله على ما وفّقه من أعمال صالحة، على ما وفّقه من إخلاص العمل، على ما وفّقه من إتقان العمل بهذا المقدار الذي وفّقه الله سبحانه وتعالى، بهذا القدر من التوفيق لهذا العمل، بهذا المقدار الذي وفّقه الله أن يكون له هدف أن يشكر الله.

إذن الإنسان المتّق لا ينتهي عمله بدخول الليل:

أ- إنسان في شركة، حين يخرج يتوقف العمل وانتهى.

ب- تارة شخص هو صاحب الشركة، أغلق المحل، لكن حينما يأتي للبيت هل انتهى العمل؟

لم ينته، بل يُعيد حساباته: كيف باع اليوم؟ ما الذي حدث؟ كيف يتجاوز هذه الأخطاء، وهذه الأمور؟ جالس يُفكر، لم ينته عمله، يرى عمله.

ج- ذاك الموظف، انتهى من العمل، ليس له شغل بالعمل أصلاً.

د- المتقي هو صاحب العمل، موظف، هو صاحب الشأن، لهذا حينما يُمسي الليل أيضاً يُفكر، لم ينته، لم يتوقف العمل، العمل لا ينتهي، لهذا يأتي يتفكر؛ يتفكر عنده هدف: كيف يُلملم أعمال النهار؟ كيف يجعل الأعمال منتجة؟ كيف يُحافظ على مسيرة العمل؟

بالشكر، لهذا ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١)، لهذا يُفكر كيف أن هذه الأعمال تستمر؟ عطاؤه كيف يستمر؟ إخلاصه كيف يستمر؟

هذا يأتي في الليل يُفكر، عنده عمله لا ينتهي، هذه رؤية أخرى: لا بد أن تكون هذه الروح عندنا: نُطوّر ونُفكر كيف نُطور عملنا؟

نُحافظ على عملنا، كيف نستمر بديمومة العمل؟

ديمومة، وكيف نواجه الضغوط التي تُواجهنا؟

نُفكر فيها، حتى نكون أقوى في اليوم الثاني.

الميزة الثالثة: أول ما يبدأ الصباح هدفه ليس ذاتياً، لا يكون هدفي كيف أصير زعيماً؟ ليس هدفي كيف تكون لي شهرة؟ ليس هدفي كيف أجمع المال؟ هدفه كيف يُجذّر الإيمان في قلبه، وفي قلب غيره، هدفه كيف يُحقق رضا الله، هدفه يتمحور حول رضا الله.

(١) سورة إبراهيم: ٧.

هذا الهدف، لهذا لا بدّ أن يكون الهدف بهذا المستوى؛ أما إذا كان هدفه: سمعة، شهرة باسم الدين، جعل الدين مطية هذا جانب آخر، ليس هدفه التقوى.

التقوى هي هذه، التقوى أن يكون هدفه في كل خطوة يخطوها رضا الله: في الكلمة، في الحركة، كل موقف، في الرؤية؛ رضا الله لا رضا الناس، لا رضا الأشخاص، لا رضا فلان وعلان، لا رضا الذي أصلي خلفه، ولا رضا عموم الناس؛ هذا لا بدّ أن يكون هدفنا وأماننا، هذا هو الذكر.

فإذن لا بدّ أن يكون العمل حتى لو كان عملاً صالحاً لا بدّ أن تُخلص النية فيه ولا بدّ أن يكون هدفه رضا الله في هذا العمل، فبالتالي أيضاً عندنا هدف، هنا الهدف هو أن نوحّد الله، وهدفنا أن ننشر قيم السماء، هذا همّنا، كيف يكون الذكر لله لا للشياطين؟

هذه المحطات الفضائية، هذه الإعلاميات، وهذه التي تلعلع باسم الشيطان، نُفكر كيف نخمد تلك الأصوات؟ ونُفكر في مقابلها كيف نشيع الذكر لله؟

محاضرات دينية، كتابات دينية، أشرطة، مجلات، نشرات دينية؛ هذه التي يجب أن تكون وتنتشر في الأوساط، وفي الآفاق؛ هذا معناه الذكر، هذا همّ لا بدّ أن نحمله: كيف أجعل هذا الشريط الذي فيه ذكر الله ينتشر؟ كيف هذا بدل أن يستمع أغاني، يستمع محاضرات؛ بدل أن يقرأ مجلة إباحية، يقرأ مجلة إسلامية؛ بدل أن يقرأ كتابي إباحي وكتاب إلحادي، يقرأ كتاب ديني؛ هذا همّنا، هذا همّ، هذا الإنسان المتّقي.

إِذْنَ «وَيُصْبِحُ وَهْمُهُ الذِّكْرُ» يُصْبِحُ وَيَبْدَأُ يَنْطَلِقُ بِنَشْرِ قِيمِ السَّمَاءِ، وَهَذِهِ
بَعْضُ صِفَاتٍ وَعَلَامَاتِ الْمُتَّقِينَ؛ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ نَكُونَ مِنْ أَوْلَئِكَ.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ.

﴿تأملات في خطبة المتقين (٢٤)﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين واصفاً إياهم: «يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ، يُمْسِي وَهْمُهُ الشُّكْرُ، وَيُصْبِحُ وَهْمُهُ الذِّكْرُ؛ يَبِيتُ حَذِراً، وَيُصْبِحُ فَرِحاً؛ حَذِراً لَمَّا حُذِرَ مِنَ الْغَفْلَةِ، وَفَرِحاً بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ»^(١).

المتقي دائماً وأبداً يُراقب أعماله، يرى الأشياء، يرى الزيادة والنقصان؛ وبالتالي يفرح ويستأنس ويطمئن بزيادة الخير، ويخاف ويحذر من التقصير أو الغفلة عن أداء الواجبات والتكاليف.

لذلك حينما يأوي إلى فراشه يكون على حذر بما قصّر في هذا النهار الذي

(١) نهج البلاغة، للشيخ الشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨١.

مضى، وقد تُقبض روحه بعد أن كان في حالة غفلة من أداء التكليف، ولكن في نفس الوقت عنده حالة من التوازن فيعيش الفرح؛ حينما يُصبح الصباح ويستيقظ يكون فرحاً مسروراً بما أعطاه الله من: الفضل، والرحمة، والديمومة في هذه الحياة.

البيتوتة والإصباح: لا تعني ليلاً وصباحاً فقط، وإنما تُعبّر عن سائر الأوقات، ولكن بخصوص تلك الأوقات.

«يَبَيْتُ حَذِراً»: يعني هنا عنده حالة الحذر حتى حينما يريد أن يأوي إلى فراشه، وانتهى من العمل؛ هنالك يستحضر حالة الحذر والخوف من الله سبحانه وتعالى، لعله قَصّر، لعله لم يؤدّ التكليف، لعله ولعله.

«وَيُصْبِحُ فَرِحاً» دائماً وأبداً في حالة سرور بسبب أداء الأعمال الصالحة، بسبب فضل الله وتوفيقه للعمل الصالح، بسبب رحمة الله التي نزلت عليه، بسبب السكينة، بسبب التوفيق؛ وبالخصوص حينما يصبح الصباح، يجد في نفسه القوة، هذا فضل رحمة من الله أن يُعطيه ويُبقّيه ويُعطيه القوة والقدرة لأداء التكليف.

«يَبَيْتُ حَذِراً، وَيُصْبِحُ فَرِحاً» حالة توازن: لا غفلة ولا غرور، وإعجاب بالنفس إنما «حَذِراً لَمَّا حُذِرَ مِنَ الْغَفْلَةِ» لا يعيش الغفلة، وإنما يُحاسب ويُراقب نفسه حتى لا يقع في الغفلة، وبالتالي هو في رقابة دائمة «حَذِراً لَمَّا حُذِرَ مِنَ الْغَفْلَةِ» حذر أن لا يعيش في غفلة عن ذكر الله ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ * مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن

رَبِّهِمْ يُحَدِّثُ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ * لَأَهِيَّةٌ قُلُوبُهُمْ ﴿١﴾، حذر وتحذير،
الله سبحانه وتعالى يقول: احذر الغفلة، فالموت يأتيك في أي لحظة، قيامتك
تقوم في أي لحظة، حسابك قريب.

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ﴾ فيحذر من أن تقع عليه الواقعة وهو غافل عن ذكر
الله، وهو في حالة حذر من أن يكون كذلك، تنطبق عليه تلك الآية ﴿اقْتَرَبَ
لِلنَّاسِ﴾ فهو «حَذَرًا لَمَّا حُذِرَ مِنَ الْغَفْلَةِ» وفي نفس الوقت «وَفَرَحًا بِمَا أَصَابَ
مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ».

الله سبحانه وتعالى وفقه لأداء الخيرات، أعطاه تمديدًا في العمر، أعطاه
الرحمة، أعطاه القدرة، أعطاه السمعة الحسنة، أعطاه ما أعطاه، وفقه للإيمان
الصادق، هذا يدخل على قلبه السرور.

والفرح لا يصل إلى البطر، فرح بمقداره، فهو عنده حالة توازن بين الحذر
والفرح هذا بالنسبة إلى المتقين؛ فإذا المتقون يعيشون حالتين:

الحالة الأولى: حالة التوازن: لا إفراط ولا تفريط، لا خوف من دون
رجاء، ولا رجاء من دون خوف وإنما يعيش حالة الرجاء والخوف يعيش
بينهما، كما يعيش الخوف من العذاب والنار أيضاً يعيش حالة الرجاء للجنان
كذلك تطلعه إلى الجنان، ورجاؤه للجنان يمزجه بحالة الخوف من النيران.

فهو في حركة دائمة للفعل والعطاء الإيجابي، وأيضاً في المقابل يعيش حالة
التوقف، بل القرار بعدم الإقدام إلى أي عمل سلبي، كما يفعل الصالحات
يرتدع عن الموبقات والمعاصي، هذه حالة المتقي: توازن.

(١) سورة الأنبياء: ١-٣.

الحالة الثانية: حالة الرقابة: ليست غفلة، بل يُراقب نفسه، ويُلاحظ نفسه، ويقرأ نفسه؛ كما يُلاحظ ما حوله، كما يقرأ الآخرين ينظر إلى نفسه، ويُقيم نفسه، ويلتفت إلى نفسه، ويُحاسب نفسه.

فإذن هو مُطَّلِع على نفسه، عارفٌ بها، مُراقب لها، مُحاسب لما تفعله، هذه النقطة مهمة للمتقي؛ فبالتالي لا يعيش حالة غفلة لا يدري ماذا يفعل وماذا لا يفعل، لا يدري ما الذي ينتج وما الذي لا نتاج فيه؛ وإنما يلحظ الفضل فيشكر، يرى النعم، لأنه يُراقب نفسه، ويلحظ الفضل والرحمة تترى عليه.

يعني من أسوأ السيئات التي يعيشها كثير من البشرية، ليس فقط حالة الغفلة، لا يجدون الرحمة والفضل الإلهي على أنفسهم، مجرد وجود الحياة والاستمرار هذا فضل ورحمة في كل لحظة، وجود الصحة واستقرارها هذا فضل ورحمة.

وهكذا النعم التي تُغدق على هذا الإنسان لكنه لا يلحظها، لا يلحظ تلك النعم؛ المال والثراء يأتيه من الله لا يلحظ هذه النعم من عند الله، غفلة من جانب عن نفسه، وليس ملتفتاً إلى نعم الله أيضاً.

هؤلاء المتقون ملتفتون إلى النعم والفضل، فبالتالي أيضاً يعيشون حالة المعرفة بالنفس، والذات وما شابه.

خلاصة: لا يعيشون الغفلة، وفي نفس الوقت يلحظون النفس وما فيها، وما عليها، وما يجري لها؛ نحن لا بدّ أيضاً أن نكون بمستوى أولئك: نراقب أنفسنا، نحذر من الغفلة، لا نسترسل في هذه الحياة وملذاتها، لا نسترسل مع كلام الناس، لا نغتر بكلام هذا وذاك لمصلحة شخصية، يُغرر فيّ حتى

لو كان عليه عمامة، فضلاً عن أمور أخرى، لا نسترسل مع متطلبات الحياة المادية الكمالية على حساب قيمنا، لا نسترسل في متطلبات يوميات الحياة وانشغالات الحياة.

في المقابل أيضاً لا بدّ أن نلاحظ نعم الله علينا: وجودنا في المسجد هذه نعمة وفضل كبير، قراءتنا للقرآن، استماعنا للموعظة، صلاتنا الجماعة، صلتنا لأرحامنا، المال الموجود عندنا، هذه الروحية الموجودة عندنا وما شابه من تلك النعم ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾^(١)، هذه رحمة.

نحن أيضاً لا بدّ أن نلتفت لهذا حتى نشكر، هذه الأمور نشكرها ونُداوم عليها، حتى لا نُحرم منها، ونكون في شكر دائم لله: بالشكر، بمضاعفة العمل، وبالعمل الصالح، نُداوم عليه؛ نسأل الله أن يُوفّقنا أن نكون كذلك. ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين.

(١) سورة الجمعة: ٤.

﴿تأملات في خطبة المتقين (٢٥)﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين، يصف فيهم المتقين: «فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ» من علاماتهم، قال: «إِنْ اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيهَا تَكْرَرُهُ، لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيهَا تُحِبُّ»^(١).

في هذا المقطع يُبين الأمير عليه السلام كيف يتعامل المتقي مع نفسه.
هذه النفس الأتارة بالسوء «إِنْ اسْتَضَعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ» أي لم تطاوعه،
يوجد للنفس إدبار عن بعض الأشياء، تكره بعض الأشياء ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(٢)، وهذه النفس تكره ما هو خير لها.
«إِنْ اسْتَضَعَبَتْ»: يعني لم تطاوعه، لم تستجب له لأنها تكره هذا الشيء،
فلم تستجب؟ كيف يتعامل معها؟ هل يستجيب لها؟

في مقابل عدم استجابتها لعقله إجابتها بإرادته، لم تستجب تلك النفس،

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨١.

(٢) سورة البقرة: ٢١٦.

فهل يستجيب لها؟

أمير المؤمنين عليه السلام يقول: هؤلاء المتقون إذا استعصت أو استصعبت، أو تمردت تلك النفس، ولم تستجب له؛ في المقابل أيضاً لم يُعطيها ما تُريد بما تطمح.

لاحظوا ما دام هي صعبة من جهة، أيضاً لا يُعطيها سؤالها من جهة «إِنْ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ» شيء في المقابل ماذا يفعل؟

«لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ»: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(١)، هذه العلاقة مع النفس بهذه الطريقة هي التي تُروض النفس «إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرَوْضُهَا بِالتَّقْوَى»^(٢)، لأن النفس ماذا؟

النفس تكره أشياء، وتحب أشياء؛ إذا كانت تكره، ولم تُقبل، وتمردت، أو تكاسلت، أو تناقلت في المقابل المتقي عليه أن لا يترك زمام الأمور لها، لا يجعل نفسه تقوده وإنما عقله هو قائده، من خلال هذا الكلام نأتي ونلاحظ النفس: النفس تكره تحمّل الشدائد، تكره تحمّل الصعاب، تكره الالتزام؛ تكره مثلاً من نفس لنفس أيضاً تختلف: تكره أن تقرأ كتاباً، تكره أن تستيقظ باكراً، تكره أن تتحمل مسؤولية، وهكذا تكره أن تواجه الناس بما يחדشها، تكره أن تأمر بالمعروف، تكره أن تنهى عن المنكر، هذه الأمور كلها فيها صعوبات، فيها تبعات، فيها ما شابه.

هذه النفس تكره أن تستيقظ باكراً، تقول له اقرأ قرآناً تكره النفس، تجلس

(١) نفس المصدر.

(٢) بحار الأنوار، (ط: دار الإحياء التراث) ج: ٣٣، ص: ٤٧٤، ميزان الحكمة، ج: ٢، ص: ١١٣٦.

تقرأ قرآنًا كل يوم شطر معين من القرآن، هذه النفس ليس عندها إقبال، إذا النفس كرهت هذه الأشياء فهل تُعطي سُؤلها؟ هل تتركها للدعة؟ هل يستجيب الشخص لها وينام ١٦ ساعة ١٢ ساعة؟ هل يستجيب لها ولا يتحمل مسؤوليته؟ هل يستجيب لها ويذهب ويُعطيها لذاتها؟

يستجيب لها ويُعطيها ما تشتهي: تأكل، وتشرب، وتتطعم، وتغتاب وما شابه في هذه الأمور، هل يستجيب لها المتقي؟

لا، بل يُراقبها لا يستجيب لها، ليس معناها إن لم تستجب هي له وتطأوه لم يستجب لها، بل منعها سُؤلها، عندها حاجات، تريد لذات، عندها شهوات.

الشهوات واللذات كل هذه منبعثة من النفس، لا يستجيب لها الإنسان المتقي، وهذا ترويض لها؛ الإمام عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حينما يُعلمنا ويقول: «إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى»^(١)، يعني لم يستجب لها، إلى سُؤلها، والقرآن حينما يقول: ﴿وَمَا أَبْرَأُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٢)، هنا النفس تأمر بالسوء، فهل تستجيب؟

النفس تأمرك بالسوء، تأمرك بالفحشاء، تأمر بالاعتداء، تأمر بالذل، تأمر بالنهب، تأمر بالدعة، تأمر بإتباع الشهوات، هذه النفس، فهل الإنسان يستجيب لتلك الأوامر؟

النفس لم تستجب لأوامر العقل، لم ترد أن تخضع فهل يستجيب لها الإنسان؟

(١) نفس المصدر.

(٢) سورة يوسف: ٥٣.

يقول: لا، المتقين ليس كذلك «إِنْ اسْتَصْعَبَتْ» يعني استصعبت «عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ» النفس تكره هذه الأشياء، فتستصعبها ولا تستجيب، ماذا يفعل في مقابلها؟

«لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ» سُؤْلَهَا لا يعطيها، في دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام في المناجاة، يقول: «مَيْلَةً إِلَى اللَّعِبِ وَاللَّهْوِ»^(١)، يقول: هذه النفس تميل إلى اللعب، تميل إلى اللهو، تحب اللعب، تحب اللهو، فهل يستجيب لها؟

يقول: الإنسان المتقي لا يستجيب، وهذه في الواقع ونقطة مركزية في التربية: الإنسان إمّا يقوده عقله وإمّا تقوده نفسه، والروح بينهما؛ الروح عندها الإرادة، عندها الاستعداد والصبر أو ما شابه، العقل يُصدر أوامر والنفس تُصدر أوامر، حينما العقل يُصدر أوامر النفس تعترض على تلك الأوامر، النفس تُصدر أوامر العقل يعترض على تلك الأوامر، هنا مَنْ الذي يكون أقوى؟

إذا كان العقل أقوى استجابت الروح لأوامر العقل، وأعطته الإرادة، وأعطته الصبر لتحمل تلك المسؤولية؛ إذا النفس تغلبت، الروح أيضاً استجابت لتلك النفس، وأعطتها إرادة وأعطتها صبر، لكن على الباطل مثلاً؛ فبالتالي نحن لا بدّ أن نلتفت، لا نخضع ولا نستجيب للنفس.

النفس عندها: أمر بالسوء، تحايل على الإنسان، تُبرر للإنسان، لأن النفس يشرّكها الشيطان، وتزين للإنسان الحياة، تزين للإنسان الطريق باسم الدين! حتى باسم الدين تُزين له الطريق، تطلب منك أشياء باسم الدين.

(١) مفاتيح الجنان، للشيخ عباس القمي، ص: ١٧٩.

فالإنسان لابد أن يكون حذراً من تلك النفس ولا يؤتھا سؤلھا حتى يتمكن من السير في المسار الصحيح، بل لابد أن يستجيب لأوامر عقله، ويحكم عقله في كل شيء، ولا تختلط عليه الأمور.

فالنفس تُشوش على العقل أيضاً، لأن النفس تأتي تدخل على الخط وتخلط الأمور على الإنسان؛ لهذا نحن بحاجة إلى أن نتعقل، ولا نستجيب إلا إلى عقولنا، ولا نستجيب إلى النفس.

وهذا يتطلب منا أن نتحمل مسؤولية، نتحمل مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نقرأ كتاب الله ونتدبر فيه، نلزم العلماء الصالحين المتقين الربانيين، نلزم بيوت الله: المساجد والحسينيات وما شابه من مراكز النور، ويكون عندنا برنامج فيها، نقرأ الكتب الدينية، نبتعد عن الغيبة عن النميمة وما شابه، نجلس عند الصباح مبكراً ولا نعتدي على أحد: لا على أب، ولا على ابن، ولا على أخ، ولا على أخت، ولا على أم، ولا على صديق، ولا على جار، ولا على زميل في الدراسة أو في العمل، أو ما شابه، لا نعتدي على أحد، أناس يقولون: عنا جناء! دعهم يقولون ما يقولونه.

نحن لابد أن نهذب أنفسنا، نُزكيها، وبالتالي نُطهرها من تلك الأدناس، ونستجيب إلى عقولنا، ولا نترك زمام الأمور إلى أنفسنا؛ فالنفس تريد النوم، تريد الدعة، تريد النكتة، تريد أن تضحك، تريد أن تلعب، تريد أن تعبث، تريد أن تلهو، تريد أن تعيش الغفلة، تريد أن تعتيدي على الآخرين بنكتة، أو بسخرية، أو ما شابه؛ هذا هو ما تريده النفس، فلنحذر ولا نستجيب لها ونسترسل معها؛ وبالتالي نغفل عن أنفسنا، ونُغيب العقل، فهذا أمر جداً خطير، هذه مشكلة مجتمعاتنا: أنهم يستجيبون للنفس ويسترسلون، ليس

عليك من الآخرين إذا استجاب لنفسه.

أنت كن عاقلاً، لو كان المجتمع البشري كله أجمع استجاب إلى نفسه، لا تُسائر الناس، النفس تقول لك: (تلك كل الناس)، العقل لابد أن يقول: ليس لك شغل بالناس، أنت بمفردك كن تقيّاً، كن ورعاً، كن صالحاً، كن مؤمناً، كن صادقاً، كن نشطاً، كن مجاهداً، كن جدياً في حياتك، كن ملتزماً، وما شابه.

فنحن لابد أن نلتفت إلى النفس، فإذا النفس استصعبت هذه الأمور، استصعبت الاستجابة لها: استصعبت قراءة القرآن، قراءة كتاب، تدبر في القرآن، استصعبت المجيء إلى مسجد، استصعبت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا استصعبت ولم تستجب فلا تُطعها، أنت تقول: لن أفعل، فلا تستجيب لها: لا تنام زيادة، لا تغتاب، لا تذهب إلى الدعة، لا تغفل، النفس لم تستجب، أنت لا تستجيب لها.

فنحن بحاجة إلى أن نجعل العقل قائداً، ونروض أنفسنا، بحاجة إذن إلى قيادة العقل، وترويض النفس؛ ونسأل الله أن نُوفّق إلى ذلك.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

﴿تأملات في خطبة المتقين (٢٦)﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين، واصفاً المتقين بذكر علاماتهم:
«قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ، وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى»^(١).

الإنسان المتقي هو الذي يستأنس بالأشياء التي تبقى وتدوم، وهي ما أمر بها الله، فما عند الله باقي ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٢)، أي كل يؤدي إلى الجنة، الآخرة هي التي تبقى.

«قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ» العمل الصالح يبقى ولا يزول: الصدق، الطاعات، العبادات، يستكثر من الصلاة والعطاء وما إلى ذلك.

«قُرَّةُ عَيْنِهِ» أي الشيء الذي يؤنسه ويسعده، قرة العين: تعبير عن سكون العين، وعدم الرغب، حينما تزوغ العين وتتحرك: تعبير عن الاضطراب.

الإنسان حينما يكون عنده خوف شديد، ممكن عينه تراها تتحرك حركات

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨١.

(٢) سورة النحل: ٩٦.

من هنا وهناك، والإنسان حينها يعيش الأمان حيث الهدوء، يكون مطمئناً
 قرير العين، ينام وهو مطمئن لا يحسب حساب شيء.

«قُرَّةُ عَيْنِهِ» أي سكونها، وهو تعبير عن الاطمئنان والارتياح، وما هو
 يُؤنس هؤلاء؟ وما هو الذي يُطمئن هؤلاء؟ وما هو الذي يُسكن روع
 هؤلاء؟

هي الأشياء التي لا تزول في الآخرة.

«وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى» هنا يوجد أشياء يبتعد عنها، زاهد فيها، الأشياء
 التي لا تبقى: الزعامة والرئاسة والسلطة، أن يصير الإنسان زعيماً من سنة
 إلى سنتين، مائة سنة، مائتين سنة، لكن بالتالي تنتهي زعامته! المال كم يبقى
 معه؟

إلى نهاية عمره بالكثير، حتى في القبر لا يدخله معه، ولا يبقى، ولذلك
 في التعبير القرآني: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾^(١)، هذه الدنيا وهذه مصالح
 الحياة لا تبقى فعلى الإنسان ألا يسعى إليها، وإنما يسعى إلى ﴿وَالْبَاقِيَاتُ
 الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾^(٢)، هذه الأشياء الإنسان لابد أن يسعى لها،
 فهو زاهد في هذه الدنيا: في زعامتها، في مالها، في سمعتها، في شهرتها، في
 قصورها، وفي، كل هذه الأمور التي نراها، كل هذه الأمور تنتهي مهما
 كان: بيت، قصر عنده، يموت انفصل عنه!

يعني لا يبقى له، تنتقل ملكيته إلى غيره: أموال تنتقل ملكيتها إلى غيره،

(١) سورة مريم: ٧٦.

(٢) سورة الكهف: ٤٦.

شهرة وسمعة تنتقل بعد وفاته إلى مَنْ كان في حياته، إلى شيء آخر؛ ويبقى هو الإنسان مُحاسب على عمله، فهذا الإنسان المتقي يزهد في هذه الأمور الزائلة، ولا يتطلّع إليها، هذه صفات المتقين.

إذن من علامات المتقين علامتان رئيسيتان:

العلامة الأولى: التطلّع والعمل والسعي من أجل ما ينتج ثمرة في الآخرة: يعني هذا العمل الذي يحصل من خلاله الثواب والجزاء الإلهي الباقي، يعني ما يحصل من خلاله على الجنة، يعني العمل الذي يؤدي به إلى الجنة هذا هو الذي يتطلّع إليه، وليس أي عمل؛ وإنما الأعمال التي يتطلع إليها، ويهدف لها، ويسعى إليها، ويشغل ذهنه ويشغل تفكيره تلك الأعمال التي تؤدي به إلى الجنة، هذه التي تُقر العين، هذه التي تطمئن القلب.

العلامة الثانية: كل عمل لا يبقى منه أثر في الجنان لا يتطلع إليه، زاهد فيه، أمور مباحة أيضاً، ليس فقط أمور محرمة، بل أمر مباح لكن هذا لا ينفعه في الآخرة، لا ينفعه، وحتى لو نفعه في الدنيا، فيه منفعة في الدنيا ومنفعة مشروعة لكن ما دام ينتهي بانتهاء الدنيا، يزول بزوال دنياه هو، بانتهاء دنياه هو، هذا يزهد فيه، يعني بالتالي هذه الأمور التي لا تبقى يبذل جهداً ويتعب عليها، على أي أساس؟

إنسان عاقل، بالنسبة عاقل، هذه كم ستبقى معه: خمسين، مائة سنة، لكنها تزول؛ فالعاقل هو الذي يبحث عما يبقى.

أما ذات العمل حتى لو لم يجد له أثراً في هذه الدنيا، بعد الدنيا سيبقى أبداً الأبدين، ليس يوماً، ليس يومين، ليس مائة سنة، ليس ألف سنة، ليس

مليون سنة، ليس مليار سنة، طول الحياة الآخرة التي لا تفنى ولا تزول، فالعاقل هل يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟

هذا الذي هو أدنى، دنيا وما فيها من: المال، السمعة، الشهرة (خرايط ومرابط) مقابل الآخرة: الصدق، الإخلاص، التقوى، الورع؛ هذه الأمور الباقية، والإنسان المتقي هو الذي يتطلع إلى هذه الأمور، ونحن إذا أردنا أن نبلغ التقوى لابد أن نغرس في ذهننا هذه الروح، وتطلعنا إلى الأشياء التي تبقى، ونفكر في هذا العمل.

هذا العمل فيه منفعة دنيوية لا تغري، أنا ألاحظ هل فيه منفعة أخروية تبقى؛ يعني هل يوجد هذا العمل شجرة في الجنة؟ هل يوجد قصر في الجنة؟ هل يوجد حور في الجنة؟ هل يوجد ثمرة في الجنة؟ هل يوجد شيء يُعطيني من خلال هذا العمل الجنة؟ هل فيه رضا لله؟ بالتالي هل يوجد ثواب؟

إذا كان نعم فأنا لابد أن أنس به: قراءة القرآن، قراءة روايات أهل البيت عليهم السلام، استماع إلى موعظة، تعاون على البر والتقوى قرباً إلى الله تعالى، مساعده الفقراء، الإنفاق في سبيل الله، الإخلاص، الإصلاح بين ذات البين، الإصلاح بين الناس، كلها قربة إلى الله تعالى، ليس لشيء، ليس لسمعة، هذه كلها ممزوجة بالقربة إلى الله.

لهذا نحن لابد أن تكون عندنا حالات طبيعية، وأنس بها وما شابه، في مقابل ذلك كل عمل يزول نحن لابد أن نزهد فيه، يعني زواله وعدم بقاءه حتى ولو في ذهابي عنه.

قد يبقى الآخر عندي، لكنه يذهب ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

وَالْبَاقِيَّاتُ الصَّالِحَاتُ^(١)، عضد الإنسان الذي يتقوى به: ماله وأبناؤه، يتقوى بأولاده؛ الإنسان يكبر يضعف، يتقوى بأولاده؛ الإنسان يضعف يتقوى بالمال، يحافظ على شخصيته بالمال.

يقول: لكن هذا كله لا شيء أمام الباقيات الصالحات، لهذا المال يزول، الأبناء تنقطع العلاقة معهم إلا إذا كانت العلاقة إيمانية، ونحن بحاجة إلى أن نزهد في المال والبنين فضلاً عن الأشياء الأخرى، ولا نتطلع إلى أمور دنیا نزول بزوالنا من الدنيا، وتنتهي وننتهي.

وإنما نحن بحاجة إلى أن نبقى صادقين مُخلصين في العمل في سبيل الله، قد يكون العمل مُزِيناً من الشيطان؛ أنا أصلي صلاة رياء حتى يقول الناس يُصلي، هذا للدنيا؛ قالوا إنسان صادق، قالوا إنسان مُخلص، قالوا لا أعلم ماذا، هذا عند الله ماذا؟

(هـج) لأجل هذا أنت تعمل، وأنا أعمل من أجل هذا، ما أعمله حصلت عليه في الدنيا انتهيت من الدنيا انتهى، قالوا صادق لكن عند الله شيء آخر، هذا ليس به فائدة؛ لهذا لابد أن نخلص العمل حقيقةً، ونزهد في هذه الدنيا وما فيها.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) سورة الكهف: ٤٦.

﴿تأملات في خطبة المتقين (٢٧)﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
قال أمير المؤمنين عليه السلام في صفة المتقين: من علاماتهم «يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ» من علامة المتقي «وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ»^(١)، هنا يذكر الأمير عليه السلام علامتين:

العلامة الأولى: مزج الحلم والعلم.

العلامة الثانية: مزج القول والعمل.

الإنسان قد يكسب علماً، ولكن تسوء أخلاقه، أو يغتر بعلمه ويضيق صدره؛ هذا نلاحظه عند بعض العلماء، الإمام يُعبر عن المتقي: أنه كلما ازداد علماً ازداد حلماً، ازداد سعة في الصدر؛ كلما ارتقى في العلم كلما تمكن من استيعاب الناس، استيعاب الآخرين، حتى الأعداء يسع صدره لهم ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾^(٢)، الرسول ﷺ كان حليماً، كان لين العريكة،

(١) نهج البلاغة، للشریف الرضی، تحقیق: الحسون، ص: ٤٨١.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

بهذا الحلم وبهذا اللين الواسع كسب الناس وشجعهم على قبول الشريعة، والإقبال إلى الإسلام.

العالم لا يكفي علمه لتبليغ الرسالة، لابدّ من مزج ذلك العلم بالحلم، لينعكس على سلوكياته، على سعة صدره، على أخلاقياته، هذا هو العلم؛ بينما علم من دون أخلاق، علم من دون سعة صدر، علم من دون لين، هذا العلم لا ينفع.

العلم النافع الذي يمتزج بالحلم، بالأخلاق العالية، وسعة الصدر، ولين العريكة، هذا هو؛ ولهذا يقول: ليس المتقي مَنْ إذا صار عنده علم يغتر ويزدري الناس، ويغضب على الناس، ولا يترك شخصاً يتنفس من الناس! لا، وإثماً عنده علم ويمكن أي شخص يُناقشه يُجادله، ويرفض طلبه ويرفض رأيه، ويطلب منه الدليل، وهو بسعة صدر يُجيب، ويُناقش ويُجاور، هذا عالم من أهل البيت عليهم السلام؛ أما إذا شخص تأتي تقول له حتى لو كان يوجد إشكال حقيقي لا يسع صدره لك، هذا ليس من المتقين، عنده علم، ولكن ليس علم المتقين.

العلم الذي يحمله المتقون هو العلم الذي يسع الناس، ويُجيب على الناس، ويُجاور الناس، ويقبل من الناس، ويأخذ ويتعاطى مع الناس، بمختلف طبقاتهم، ودرجاتهم، وفئاتهم، وفهمهم؛ حتى ولو كانت طريقتهم لجلجة في طرح السؤال، أو في فهم الإجابة أو ما شابه، حتى لو كانت طريقتهم قاصرة، حتى لو كانت طريقتهم سيئة؛ فهذا العالم المتقي هو الذي يملك الحلم ومعه العلم، هذه الميزة الأولى: حلم ممزوج بعلم.

العلامة الثانية: القول ممزوج بالعمل: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١)، المتقون هم الذين تنطبق أقوالهم على أفعالهم، وأعمالهم على أقوالهم، لا يوجد فرق، لا يقول بما لا يعمل، وإنما يقول بما يعمل، ما يتحدث به: على المنبر، على الكرسي، على المنصة، في المجالس ينعكس على سلوكياته ويطبقه، لا يوجد فرق بين النظري والتطبيقي عنده، لا يأتي يقول قولاً للآخرين وهو لا يلتزم به.

لا ينهى الناس عن شيء وهو لا ينتهي عنه، ولا يأمر الناس بشيء ولا يأتمر به؛ وإنما يأتمر بما يأمر، وينتهي عما ينهى، ملتزم بواقعه الخارجي بما يقول، هذه صفة المتقي.

هذه نقطة رئيسية: ممكن شخص يقول، يصعد منبراً، يرى عنده علم واسع، ويتفلسف لك، وعنده ما شاء الله، ولكن لا يطبق ما يقول، هذا لا ينفع، لو تكلم قليلاً، وطبق ما قال لكان هذا هو الأفضل.

أيضاً لابد أن نلتفت إلى التطبيق العملي للعلم، نحن تعلمنا، أشياء كثيرة نحن نتعلم: كل يوم نسمع شرح نهج البلاغة، أو شرح لدعاء، أو شرح لقرآن أو ما شابه، نسمع تفسير آية، نسمع مسألة شرعية، نسمع ونسمع وما شابه؛ هنا صار عندنا علم، الفائل عنده علم، والمستمع عنده علم؛ المسألة هذا العلم هل نطبقه في واقعنا الخارجي أم لا؟

والمسألة الشرعية نلتزم بها، والمسألة الفكرية نسير وفقها، الموعظة تنعكس على سلوكياتنا، تلين قلوبنا، تأثر علينا؛ علم عندنا، صارت عندنا معلومة؛

(١) سورة الصف: ٣.

لكن هل نتهج تلك المعلومة؟ هل المعلومة نطبقها في سلوكياتنا أم لا؟
 عندنا معلومة، عندنا علم: إنَّ العلم جيد لكن نحن لا نسلِّك طريقاً نحو العلم، صلاة الجماعة جيدة وفيها ثواب كبير لكن أنا أنفر من صلاة الجماعة، قراءة القرآن ضرورة لكن أنا ليس عندي علاقة مع القرآن، هذه العلوم كلها واقع، ما هي الفائدة منها؟

لابدَّ إذن أن نُطبِّق على أنفسنا ما نعلم، هذه صفة المتِّقين؛ إذن من علامتهم أن ينعكس العلم على تصرُّفاتهم وتُلاحظ على واقعهم الخارجي، العلامة شيء واقع خارجي، هل تريد أن تعرف أن هذا متِّقي أم لا؟

هذه علامات، لاحظوا الآن هذا عنده سعة صدر، هذا عالم سواء عليه عمامة، أو إنسان من المجتمع وليس المقصود فقط الذي عليه عمامة، الذي يُرافق العلماء ويستمع للعلماء هذا يكون عالماً، مَنْ يملك قسطاً من المعلومات هذا يصير عالماً؛ إنسان عنده معلومات عن قضايا الدين وما شابه، هذا الإنسان هل نلاحظ سعة الصدر، ونلاحظ الحلم في سلوكياته؟ نحن هل يسع صدرنا للآخرين مَنْ يُخالفنا؟ هل يسع صدرنا لِمَنْ يسألنا، لِمَنْ يحاورنا؟

عندنا حلم أم رفض مطلق، نقصم الظهر، ونقطع بسيف بتار وما شابه؛ إذا كان هذا، يوجد خلل في تقوانا إذا يكن عندنا سعة صدر، وإذا لم يكن عندنا لين العريكة وما شابه، هذا جانب.

الجانب الآخر: لابدَّ أن نُقارن الشيء الذي تعلمناه هل نُطبقه أو فقط معلومات؟

لأن جانب هذا العلم لابدّ أن يكون مع الحلم، العلم تعلمناه، ونقول للناس، ونقول المسألة وهذا جيد: الغيبة حرام، لكن أنا أعتاب، أقول للناس الغيبة حرام، لكن أنا أعتاب! أقول للناس: المجاهد يُفضل على غير المجاهد، وأنا لا أجاهد! أقول: العالم أفضل من غير العالم، لكن أن لا أذهب أتعلم، ولا أسعى إلى العلم، هنا يوجد خلل.

لهذا نحن لابدّ أن نعمل بما نقول، لابدّ أن نطبّق، يعني لابدّ أن ينعكس علمنا ليس فقط على لساننا، بل على عملنا أيضاً في واقعنا، يعني لا ندعها تكون نظرية مثاليّة ليس لها واقع في الخارج، بل أنا ما أدعو إليه له واقع، والدليل على ذلك أنا أمارسه، أنا أمارس هذا الذي أطرحه.

أما شخص يأتي يتكلم ويتكلم، ولكن الواقع ليس له، هو أول شخص لا يمكن العمل به، فلماذا تنطق به وتتكلّم به، أو لا يمكن تطبيقه لكن لا يريد؟

يثقل ويتثقل، إذا يوجد خير في الذي تقوله، لماذا أنت لا تسعى إليه؟
فأنا أولى بالخير: «وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَنَّ وَاللَّهِ كَذَلِكَ»^(١)، أنا أولى، ما دام هذا الفعل من الخيرات، فلا بادر لفعله.
هذا إذن من علامات المتّقين:

العلامة الأولى: لابدّ أن نسعى لأن تكون جزء من سلوكياتنا: وهي سعة الصدر، والحلم مع العلم.

والعلامة الثانية: التطبيق العملي للأقوال، وعدم الفصل بين أقوالنا وأفعالنا، ما نقوله نعمله ونطبقه.

(١) نهج البلاغة، ص: ٨٨٢، ح: ٤١٢.

نسأل الله أن نُوفق لحلم ممزوج بالعلم، وعمل ممزوج بالقول؛ إنه سميع الدعاء.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

تأملات في خطبة المتقين (٢٨)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين مبيّناً علاماتهم: «فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ ... تَرَاهُ قَرِيْباً أَمَلُهُ، قَلِيْلاً زَلُّهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانَعَةً نَفْسُهُ، مَنُزَوْرًا أَكْلُهُ، سَهْلاً أَمْرُهُ، حَرِيْزاً دِيْنَهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غِيْظُهُ»^(١).

في هذا المقطع يُبيّن الأمير عليه السلام علامات المتقي، نشرح بعضها، وندع الباقي ليوم غد:

«تَرَاهُ قَرِيْباً أَمَلُهُ» يعني يعتقد أنه في أي لحظة من اللحظات يقع عليه الموت، ليس بطويل الأمل: يعيش مائة سنة، مائتين سنة، ألف سنة؛ لا، بل إنّ هذا ممكن يُلاحظ ويقع عليه.

«قَرِيْباً أَمَلُهُ» يعمل عملاً لآخرته كأنه يموت غداً، فبالتالي ليس عنده طول أمل يجعله يُسوّف بالتوبة، ويجعله يرتكب المعاصي وما شابه؛ إنما «قَرِيْباً أَمَلُهُ» في أي لحظة يقع عليه الموت «قَلِيْلاً زَلُّهُ» أخطاؤه، تجاوزاته

(١) نهج البلاغة، للشيخ الشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٢.

قليلة، لأن منهجه سليم؛ وبالتالي لا تزل قدمه عن الصراط المستقيم، عن الحق، عن الصواب، حتى الخطأ منه قليل، لأن الجو الذي يعيشه الداخلي الإيمانى هذا ينظم حركته: في أفكاره، في أقواله، في سلوكياته، في تعاملاته؛ وبالتالي يكون قليل الأخطاء، لا تكون منه الأخطاء إلا قليلة جداً.

«خَاشِعاً قَلْبُهُ» القلب هذا ليس قاسياً، قلب المتقي تلاحظ عليه اللين، الخشوع، الخوف، الخشية، التواضع، ليس عنده حالة قسوة القلب، والصلافة في التعامل وما شابه.

«قَانِعَةً نَفْسُهُ» ليس عنده طمع، ليس عنده جشع، يقنع بما يأتيه الله؛ يعني ليس عنده ذاك الطمع والجشع: أفضل بيت، أفضل سيارة، ويُناظر الآخرين وما شابه.

هذه اللقمة وهذه كسرة الخبز تكفيه ويقتنع بها، وهذا كأس الماء يكفيه ويقتنع به، فماء سيد الشراب، والخبز سيد الطعام، يكفيه هذان الطعامان: فضلاً عن بقية الأمور يعتبرها من الكماليات، إن وجدت وجدت، وإن لم تُوجد اقتنع بما هو فيه لا يذهب يُكرس جهده ووقته على حساب دينه وقيمه.

«مَنْزُوراً أَكَلَهُ» قليلاً أكله، نزر: يعني قليل، ليس عنده ويريد كيفما كان يأكل بل يأكل من أجل صحة بدنه، ليس استجابةً لشهواته وأهوائه، بل يأكل من أجل حفظ صحة بدنه، فيأكل ما يكفيه، فهو قليل الأكل، لا يأكل للتخمة، ليس ليلاً ونهاراً أكل، ليس تفكيره في الطعام.

هذه مجموعة صفات، دعونا نلاحظها حتى نطبقها على أنفسنا؛ فالإنسان المتقي يتحلّى بتلك الصفات:

الصفة الأولى: الآخرة حاضرة أمامه دائماً وأبداً: فهو يرى دائماً كأن الموت واقع عليه، فتراه مثابراً لعمل الصالحات، مثابراً للتوبة والاستغفار، لا يتردد، ولا يؤخر، ولا يُسوِّف التوبة؛ العمل يُبادر إليه.

«قَرِيباً أَمَلُهُ» يعني هذه المبادرة لعمل الصالحات، مبادرة للتوبة، مسارعة للخيرات وللاستغفار وما شابه، لأداء الحقوق التي عليه ماديةً ومعنويةً، بالتبرؤ من كل عمل سيء، ويُعطي الناس حقوقهم: هذا اغتابه، هذا ظلمه، هذا كذا؛ يُبادر ويطلب العفو والصفح من هؤلاء وما شابه.

في المقابل أيضاً لا يجرؤ على ارتكاب المعصية، ولعل في ارتكاب المعصية يقع عليه الموت.

«قَرِيباً أَمَلُهُ» لا يقول: (أرتكب بعدها أتوب، ويوجد مجال، ولا زلت شباباً؛ وحينما يصير عمري ٦٠ سنة، يوجد أناس عاشوا ١٠٠ سنة)، لا، هذا يلحظ أن ملك الموت يأتيه في أي لحظة، فيخاف أن يأتيه ملك الموت، يقبض روحه وهو على معصية يعصي فيها الله لهذا لا يتجرأ على ذنب، لماذا؟

لأن الموت حاضر أمام عينيه، النار حاضرة أمام عينيه هذه العلامة والصفة الأولى، هذه تلاحظها في حركته: فيبادر، يُسارع، لا يتوانى.

الصفة الثانية: «قَلِيلًا زَلَّهُ» الإنسان المتَّقِي هو الذي يُراقب نفسه، يُحاسب نفسه، مُلتزم خط المتّقين: طريق القرآن، طريق أهل البيت، طريق النبوة.

فبالتالي طبعي الإنسان بقدر ما يقترب من قيم السماء بقدر ما يكون مساره صحيحاً بعيداً عن تأثيرات الشيطان، وساوس الجن والأنس، وبعيداً عن سيطرة الأهواء والشهوات التي تزل بالإنسان، بعيداً عن الضغوطات،

الضغوط لا تؤثر داخلية أو خارجية، إيمانه وتقواه يجعله قريباً من قيم السماء، عقله يقوده، والقيم تأمره ويمثل لها.

هذا بطبيعة الحال أخطاؤه قليلة، لا يغتاب حتى يُخطئ؛ التقوى تمنعه من الخطأ، فإذا لم يُخطئ على الآخرين، تقواه يمنعه أن يعتدي على الآخرين، فلا يظلم أحداً، ولا يأكل أموال أحد بالباطل، ولا هذه الأشياء كلها، لماذا؟

التقوى مانع وحاجز بينه وبين الأخطاء وما شابه، وعنده رقابة وحساب دائم، فلماذا تقل أخطاؤه؟ فمن يريد قلة الخطأ فعليه بالتقوى، الإنسان يقول: لماذا عندي أخطاء؟ لماذا الطريق ليس واضحاً لي؟

لبعده عن التقوى، إذا كان الإنسان قريباً من التقوى لا يُخطئ، قليلة أخطاؤه؛ إذا التزم الإنسان منهج القرآن، والتزم منهج أهل البيت عليهم السلام، والتزم به، هذا ليس عنده أهواء وشهوات والجو العام وإرضاء لفلان، قيم تحكمه، ولذلك تقل أخطاؤه، وتقل زلاته.

الصفة الثالثة: التقوى تنعكس على القلب قبل أن تنعكس على الواقع الخارجي، التقوى هي أمور داخلية، تنعكس على هذا القلب، هذه القسوة، هذه الصلافة، هذه الخشونة، هذه الوحشة، كلها تذوب، ويكون ذا قلب خاشع، لين، عطوف، حنون، يخاف الله، يحن على الناس، يتسرّب، تلاحظ هذا عنده هيبة الوقار وليس هيبة السلطان، السبب ماذا؟

التقوى، لهذا حينما تجعل التقوى النار أمام عينه فلماذا يخاف، هذه التقوى تجعل القلب ليناً، يوجد نار، يوجد عقوبة، يوجد حساب، فلماذا يتكبر؟ فلماذا يقسو؟ فلماذا يتجبر، فيمنعه؟

فإذن نلاحظ الانكسار والخشوع على قلب الإنسان، فينعكس على واقعة، هذا جانب.

الجانب الآخر: ليس عنده طمع، ما هي الدنيا عند الإنسان المتقي؟

لهذا ليس عنده طمع ليكون عنده: ذاك القصر، وتلك السيارة الفخمة، ذاك لباس الفخفخة، وتلك الشهرة الكبيرة؛ لا، ليس مهماً، سمعوه لم يسمعوه، عرفوه أو لم يعرفوه، ليس عنده، بل قانع بما هو فيه، مُلتزم بالقيم وإن لم يحصل على شيء، ليس مهماً.

رحمة الله عليه السيد أحمد الخونساري كان إذا مر في سوق التجار، يقوم له التجار إجلالاً، هذا لم يكن يُغريه كان ساكناً في بيت أحد التجار، ليس بيته، أحد التجار قال له: اسكن سيدنا عندنا، نتبرك بك تسكن في البيت.

بعد انتصار إيران، وتقلب الأحوال دارت الأيام، ودارت الدائرة، وخرج كلام سلمي ما أنزل الله به من سلطان على السيد، التجار تغيروا بعد أن كان إذا مر يقفون له إجلالاً، صار إذا مرّ تكون الوجوه مكفهرة عابسة، مع ذلك الإنسان لم يكن يتغير عليه الواقع: لا قيامهم إجلالاً، ولا عبوسهم، لا يُغير عليه شيئاً، يمشي ليس مهماً عنده لا سمعة ولا شهرة.

التاجر أراد أن يُخرجه من البيت، يتحجج عليه، قال: أريد أن أزوّج ابني، ويريد أن يسكن في البيت!

قال له: حاضر، أمهلني ٢٤ ساعة، فقط أمهلني متى ألمم أغراضي وأسلمك البيت، وبالفعل في أقل من ٢٤ ساعة لملم عفشه، وانتقل إلى بيت ولده، في غرفة صغيرة طولها ٣ متر في مترين، وأمضى بقية حياته في هذه

الغرفة قانعاً ولم يتغير عليه شيء، ولم تغرّه الدنيا، ولا ما شابه؛ هذا السيد أحمد الخونساري.

السيد الشيرازي رحمة الله عليه عاش ومات ولم يخرج من الدنيا بشيء من المال، ولا من هذه الدنيا، بل خرج بالأعمال الكبيرة الصالحة، بيت ليس عنده، ولا شيء من هذه الأمور كلها.

البيت الذي كان ساكناً فيه، نحن دخلنا له، أنا دخلت له في شدة مرضه؛ نحن عاودناه وزرناه في شدة مرضه، في الغرفة التي هو فيها السليم يمرض، غرفة عادية جداً، أقل من بيوت داخل الديرة لدينا، هذه بيوتنا في داخل الديرة، هذه البيوت التي هي آيلة للسقوط، هي أقل.

والذي ذهب قم ورأى المكان الذي كان يُصلي فيه السيد، هذا المكان الذي يُصلي فيه السيد عادي، البيت بالداخل أقل منه بكثير جداً، هذا المكان مَنْ دخل هذا المكان ورآه، رأوا فيه موكيت، على أساس التراب لا يهترئ للمسند، لا يتسخ به الناس؛ الناس وضعوا موكيت، بيت لا يفيد معه لا ترميم ولا شيء، وضعوا موكيت! داخل منه أقل منه بكثير، فهذا هو.

ذهب من الدنيا، بقي عظيماً من دون هذه الدنيا، قناعة في الواقع؛ لا يذهب وراء الدنيا: مال، سمعة، شهرة، سلطة، زعامة، ماديات، أطعمة، أشربة، ألبة، فخفة، أبداً، كان متواضعاً، كان زاهداً، وكان قانعاً «قَانَعَةً نَفْسُهُ» هي النفس «إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرَوْضَهَا بِالتَّقْوَى»^(١)، مالك النفس هذه.

(١) بحار الأنوار، (ط: دار الإحياء التراث) ج: ٣٣، ص: ٤٧٤، ميزان الحكمة، ج: ٢، ص: ١١٣٦.

الصفة الرابعة: النفس زهيدة «مَنْزُوراً أَكُلُهُ» ليلاً نهاراً يأكل، أكل تلو أكل: شاي، حليب، قهوة، كافي، كابتشينو، عصير برتقال، عصير تفاح، عصير مانجا، عصير كوكتيل، لا أدري ماذا!

تطحن هذه المعدة، تارك لها الزمام، أكل وشرب؛ أربع ساعات في الطريق يذهب إلى هناك من أجل رغبته في كوكتيل يشربه، عجيب! أيضاً إذا كان في الكويت متى يصل، ذاك قديم جداً!

الآن يقطعون مشاوير، ويوجد أكالات أخرى، كل ذلك لأن نفسه في هذه الأكالات والمشروبات وما شابه؛ والناس يقطعون مشاوير حتى في داخل الكويت، ذاك المكان: مطعم الديك، أو مطعم لا أدري ماذا! ويقطع له مشواراً ساعة لساعتين لكي يذهب يشرب عصيراً، ما هذا؟

وإن كان جيداً أن يأكل، لكن ليس عبداً للأكل والطعام، لهذا قليلاً أكله، يأكل ليحافظ على صحة جسده؛ لا يعني ألا يأكل الإنسان، لا بد أن يأكل، حتى يُقَوِّي بدنه؛ لكن يأكل من أجل صحة بدنه، من أجل قوّة بدنه حتى يكون صاحي الجسم، قويّ العبادة.

حينما يكون قويّ الجسم، يكون قويّ العبادة هذا الهدف؛ أما أكل وشرب، وشهوة ولذة، ولا أدري ماذا؟

وبعدها «كَمْ مِنْ أَكَلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلَاتٍ!»^(١)، يُريد أن يتلذذ بهذه الأكلة ويموت! وما شابه.

لهذا نحن بحاجة إلى أن نلتفت، ولا نذهب وراء الأكل؛ لأن «المعدة بيتُ

(١) نهج البلاغة، ص: ٨١٦، ح: ١٦١.

الْأَذْوَاءِ، وَالْحَمِيَّةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ»^(١)، ولا بد أن نلتفت لها.

أكثر الأمراض بسبب الأكل، أكثر الأمراض التي يبتلي بها الناس بسبب سوء الأكل، ليس بقلة الأكل بل سوء الأكل، يعني نظام الأكل (مخربط) وأكل كثير وما شابه، دهون وسكريات.

ولاحظوا أغلب الناس الأمراض عندها: دهون وسكري؛ مشكلات في العين بسبب السكري، المعدة بسبب السكري، يموت بسبب السكري، الدهون، انسداد الشرايين وما شابه؛ تجد عنده أمراض، ممنوع أن يأكل لبعد فترة: ممنوع أن يأكل ملح، ممنوع أن يأكل فلفل، ممنوع أن يأكل سكر، ممنوع أن يأكل كذا، قائمة من الممنوعات لا بد أن لا يأكلها، السبب ماذا؟

كان مهملاً لنفسه «هَمْهًا عَلْفَهَا»^(٢)، ما هذا؟

الإنسان المتقي غير ذلك، يرى الطعام أمام عينه وهو يتعالى بنفسه عنه؛ لهذا نحن لا بد أن لا نكون عبيداً للبطن، فقط للطعام والشراب، ونأكل ونشرب، ولكن نعوّد أنفسنا على قلة الأكل، يعني نأكل ما يكفينا لصحة وقوام بدننا نعوّدها، لا يصير عندنا شراهة في الأكل وما شابه.

هذه مجموعة من علامات المتقين، نسأل الله أن نوفق لها.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) بحار الأنوار، (ط. دار الإحياء التراث)، ج: ٥٩، ص: ٢٦٨، ح: ٥٢.

(٢) نهج البلاغة، ص: ٦٧٩.

﴿تأملات في خطبة المتقين (٢٩)﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين مُبَيَّنًا علامات أحدهم، قال:
«يَمُزُّجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ.
تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ، قَلِيلًا زَلُّهُ، خَاشِعًا قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنُزُورًا أَكْلُهُ، سَهْلًا
أَمْرُهُ»^(١).

في هذا المقطع يُبَيِّنُ الأمير عليه السلام مجموعة من العلامات التي لا بد أن
تنعكس على سلوكيات الإنسان المتقي، من تلك العلامات -والصفات-:
الصفة الأولى: الخشوع القلبي: ليس تسربل -بالخشوع- ظاهراً، إنما
أن يكون ذلك القلب خاشعاً لله، متصدعاً، إذا تليت الآيات هذه القلوب
تُوجَل، إذا أراد الإنسان أن يعرف نفسه، هل هو بلغ درجة عالية من التقوى
أما لا؟

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٢.

بإمكانه أن يلحظ قلبه، هل حينما تُتلى آيات القرآن، حينما تمر عليه آية النار أو ما شابه؟ هل هناك يقشعر قلبه ويخشع قلبه ويتصدع أم لا؟

«خَاشِعًا قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ» هل يعيش الطمع أو يقتنع بما في هذه الدنيا؟ هل يسيل لعابه بمجرد أن يرى الأشياء؟

هذا الإنسان المتقي هو الذي لا تحركه الأشياء، لا تُغيّر الأشياء، بل عنده قناعة، لا يلهث وراء هذه القضايا المادية، قانعاً بما هو فيه، يكتفي بالإيمان والقيم عن كل ما في هذه الدنيا.

«مَنْزُورًا أَكَلَهُ» قليلاً، الإنسان تارة يلهث وراء الطعام، ووراء الشراب، وتارة لا، «قوت مَنْ لا يموت» أو ما يقوم بدنه ليس وراء الطعام، ووراء لذة وشهوة، ويكثر من أكل الطعام، ليلاً ونهاراً يأكل بوفية مفتوح عنده طول الوقت.

فالإنسان المتقي لا يتّصف بهذه الصفة، وإنّما عنده فترات بهذه السلوكيات بقدر ما يبني جسده، ويحافظ على صحته «مَنْزُورًا» أي قليلاً أكله.

«سَهْلًا أَمْرُهُ» تعاملاته مع الناس تعاملات بسيطة، ليس معقّداً؛ لا يتعامل مع الناس بكبرياء، وبزهو، ويُعقّد الأمور، وهذا لماذا ما يحصل وكذا، وطرق ملتوية؟

أنت بعض الأوقات تريد أن تتعامل مع شخص، تحسب له ألف حساب: كيف تدخل إلى هذا الإنسان بسبب سوء تعامله، أو تعجرفه أو ما شابه؟

أما الإنسان المتقي التعامل معه سهل، تتعامل معه مثلما تذهبون وترون مراجعنا، شخص يسمع عن مرجع، يُفكر ما الذي يُوصله له؟

لأنه يفهم على هذا الشكل، لا؛ الطريق سهل للدخول إلى هذا المرجع، والتعاطي معه، وهذه دلالة التقوى «سَهلاً أَمْرُهُ».

هذه مجموعة من الصفات، أو من العلامات التي تنعكس على المتقين: الخشوع، القناعة، قلة الطعام، وسهولة المعاملة؛ هذه أربع أمور يتصف بها، أو التي تنعكس على سلوكيات المتقي.

دعونا نأتي نلاحظ هذه الأمور ونعكسها على واقعنا، الصفة الأولى والنقطة المركزية: هي هذا القلب بصورة عامة، بتعبير القرآن إذا تليت الآيات، ماذا يحدث لهذا القلب؟

وجل، هذه القلوب توجل ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(١)، خشية «رَأْسُ الْحِكْمَةِ خَافَةُ اللَّهِ»^(٢)، يعني هذه كلها أين؟

ليس في الشكل الظاهري، بل في الشكل الداخلي: خشوع يعني تعبير عن درجة عالية من الخشية والخوف، هذا معنى الخشوع.

الخشوع ليس بالظاهر، ترى هذا فقط بسبحته وشفثيه تتحرك، وتلاحظ في حركته مُنكسر جسدياً وظاهرياً، لكن داخل قلبه يعيش الاستكبار، يعيش الغرور، يعيش ما يعيش، هذا ليس متّقياً!

المتّقى هو الشيء الداخلي الحقيقي، بالداخل هل عنده خوف من الله حقيقة أم لا؟

يمكن ظاهراً ترى ذلك، وتلاحظون منذ أن تحدث حروب الأبطال،

(١) سورة فاطر: ٢٨.

(٢) ميزان الحكمة: ج: ١، ص: ٦٧٣.

أبطال الإسلام رياء، لكن هؤلاء داخل قلوبهم خشوع، في الظاهر تراه رجلاً قوياً، لا يمشي منكسراً نعم يمشي بوقار، يمشي بسكينة، لكن يمشي بقوة، بشخصية يهابها الآخرون، بسبب إيمانها وقوتها وقدرتها؛ لكن داخل قلبه هذا الذي تراه، هذه العظمة، داخل القلب وداخل النفس، يوجد خوف وخشية من الله؛ هذا في الواقع الذي نسعى إليه: لا نتظاهر أمام الناس بالخشية، لا نريد الناس لأنهم لا ينفعوننا، نريد بيننا وبين الله، نجلس نتفكر بيننا وبين الله حتى نغرس الخشية داخل قلوبنا، أما لو مشينا مُنكسرين، مشينا ظاهراً متسرلين بالخشوع والخوف والخشية، هذا لا ينفع.

المتقي هو الذي يخشع قلبه، لذلك لا بد أن نُكرّس خشية القلب؛ ليس الخشية الظاهرية، بل الخشية الحقيقية من الله، هذه الصفة الأولى: الخشوع.

الصفة الثانية: القناعة: «القَنَاعَةُ كَنْزٌ لَا يَفْنَى»^(١)، من طبائع الإنسان السلبية: الطمع والشجب، يُريد كل شيء وهذه مشكلة البشر: زميله بنى بيتاً، يريد بيتاً مثله، ذاك عنده سيارة يريد سيارة مثله، بل أحسن منه، وأحسن من سيارته، الألعاب دائماً يسيل، يرى طعاماً، يريد أن يأكل، يرى كذا يريد، وهكذا!

هذه دلالة ضعف، هذه استجابة ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾^(٢)، هذه دلالة ضعف، فنحن هل نستجيب لهذا الضعف، ويصير عندنا طمع، وكل شيء نريد من هذه الدنيا أم لا؟

لاحظوا الذي ينعكس «عَظَمَ الْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ، فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي

(١) حكم النبي الأعظم، لمحمد الريشهري، ج: ٣، ص: ٤٤٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٤.

أَعْيَنَهُمْ»^(١)، البيت ما هي قيمتها؟ والسيارة ما هي قيمتها؟ والشهرة ما هي قيمتها؟ هذه السلطة والزعامة ما هي قيمتها؟

كل هذه لا تبقى، لأنه لا يتطلع لأن يكون الزعيم الأوحد، الزعيم الأول؛ صحيح يسعى أن يكون إماماً للمتقين باعتبار الدرجة العالية، ليس باعتبار الزعامة والسلطة وما شابه.

بل يوجد فارق بين أن يتطلع أن يكون إماماً للمتقين، لا بد أن يكون أكثر تقوى منهم «وَأَجْعَلُنِي» يعني هنا خير العباد في الواقع يكون «مِنْ أَحْسَنَ عِبَادِكَ نَصِيحاً عِنْدَكَ»^(٢)، فهذا خير العباد يكون.

فبالتالي فارق ما بين أن تحركه الأشياء، صار هذا قال هذا! هذا يمشي مع الريح، تارة هذه الأمور كلها لا قيمة لها، الله سبحانه وتعالى هو كل شيء في حياته.

لهذا لم يحصل على مال، ليس زائداً، لهذا لم يحصل على بيت، ليس زائداً، لهذا لم يحصل على هذه الأمور، ليس زائداً؛ يسعى بالطريقة الطبيعية، ليس معناه لا يريد المال، يسعى لكسب المال الحلال.

«اعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَداً»^(٣)، يسعى لدينه، لكن الدنيا بطريق مشروع بما لا تراحم آخرته، بما لا تكون على حساب دينه وقيمه، فبالتالي عنده قناعة، وهذه هي التي تُقوي شخصية الإنسان، الإنسان لماذا يكون

(١) نهج البلاغة، ص: ٤٧٨.

(٢) المصباح جنة الأمان الواقية وجنة الإتيان الباقية، للكفعمي، ص: ٥٦٠.

(٣) بحار الأنوار، (ط. دار الإحياء التراث)، ج: ٤٤، ص: ١٣٩، روضة المتقين، للشيخ: محمد تقي المجلسي، ج: ٦، ص: ٤٠٣.

ضعيفاً؟

بسبب الطمع، دعه تكون عنده قناعة، تصير شخصيّة قوية، لا يخضع لضغوط، لماذا الإنسان يخضع لضغوط الخارج؟

بسبب هذه الحالة النفسيّة: الطمع والخوف أن يفقد شيئاً، أما حينها يكون عنده قناعة، أي قوة لا تقدر أن تضغط عليه، أي قوة! ماذا يسلبونه؟

مثلاً وصل لمرتبة لديه بعض من الزعامة، يسلبوها منه! سلبوها ليسلبوها، قانع ويقنع بما يكون، وبما سيحصل له، يقنع وعنده قناعة «إن كان هذا يرضيك فخذ حتى ترضى»^(١)، هذه قناعة بالواقع، ورضا بالواقع «قَانِعَةٌ نَفْسُهُ» هذه الصفة التي تُقوي شخصيته.

الصفة الثالثة: نأتي لمسألة رئيسيّة، لأن مشكلة الإنسان أين؟

الطعام والشراب، يلهث دائماً وأبداً: جنس، وطعام، وشراب!

هنا الأمير عليه السلام يُبيّن هذه القضية: عبودية الإنسان للطعام أم لا؟

يقول: المتقي لا يعبد الطعام، لاحظوا تذهبون لأماكن كلها مطاعم، كلها أماكن حلويات، كلها أماكن أكل، سوق، ما هو معنى السوق؟

سوق معناها كلها أكل وأطعمة، يعني تارة بما يكفي البلد، تارة فيضان! أنت تذهب لسوبر ماركت ترى ٣٠ نوع من البسكويت، لا تأكل هذا تأكل ذاك! وتشتري عدة أنواع أيضاً! وهكذا، فبالتالي تعبير الإمام عليه السلام يقول:

(١) الوثائق الرسميّة لثورة الإمام الحسين، للسيد عبد الكريم الحسيني القزويني، ص: ٢٣٦.

«هَمُّهَا عَافُهَا»^(١)، لا أقبل لنفسي، المتّقي لا يقبل لنفسه أن تكون نفسه هَمُّها عافُها: طعام يأكل بما يحتاج إليه جسده، يُحافظ على صحته؛ ليس المعنى الإنسان لا يأكل بعدها يمرض، ويكون عنده سوء تغذية، بل يأكل، لكن لا يأكل على ضوء اللذة، إنما يأكل على حسب الحاجة، ويُقوِّم البدن، لا يكون ضعيفاً أمام الطعام وشرهاً وما شابه، لا.

فبالتالي من الميزات الرئيسيّة لهذا الإنسان: أكله قليل، وهذا يُساعد على صحة الجسد، وإيقاد الذهن؛ فكثرة الطعام تُعطل القدرة على التفكير، كما أن كثرة الطعام تُسبب الأمراض «المُعْدَةُ بَيْتُ الْأَدْوَاءِ، وَالْحَمِيَّةُ رَأْسُ الدَّوَاءِ»^(٢)، كما في الحديث، ليأكل الإنسان بقدر حاجته فقط، يقولون: أمراض سكري، لا يوجد شخص إلا عنده سكري، ما هو مرض السكري؟

يعني أكل ليلاً ونهاراً، دعه يعمل حمية عن الأكل بقدر ما، يرى مرض بالسكري، لينزل السكر لا يحتاج حتى إلى العلاج، لو عمل حمية، أما لو أخذ وأكل بشرة، سيصاب بأمراض وبكثرة.

هذا الإنسان المتّقي يتجنب ذلك، ليس عنده عبودية للطعام «إنما شيعة جعفر من عفّ بطنه وفرجه»^(٣)، هنا لماذا الناس ترتكب الباطل؟

كله بسبب هذا البطن ﴿وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾^(٤)، يريد تجميع المال لماذا؟

(١) نهج البلاغة، ص: ٦٧٩.

(٢) بحار الأنوار، (ط. دار الإحياء التراث)، ج: ٥٩، ص: ٢٦٨، ح: ٥٢.

(٣) وسائل الشيعة ج: ١٥، ص: ٢٥١.

(٤) سورة النساء: ١٦١.

حتى يأكل بالملذات بالحرام: ينهب هذا، ويأكل مال الفقير، ومال اليتيم، كله لأجل ماذا؟

لكي يأكل! إذا رتب هذه الأمور: صار لا يرتكب المحرمات، لا يأكل أموال الناس، لا يعتدي على الناس، لا ينهب الناس؛ لاحظوا ترون كل كذب ونفاق: في التجارة، في الأعمال، كله لأجل المال، لأجل ماذا؟

حتى يحصل مالا لأكل وبطن، حتى يكسب مالا أكثر، حتى يوسع على نفسه في الطعام وبقية الأشياء، حينما يكون هذا أكله قليل، معناه ماذا؟ هذا التفكير يذهب، فيكون سلامة في مسيره.

الصفة الرابعة: «سَهْلًا أَمْرُهُ» هذا الإنسان «إنما الدين المعاملة» كيف يتعامل الإنسان مع الناس: هل بعقد، لا يصلون إليه، أم لا يترك الناس يتعاملون معه؟

تلاحظون من باب المثال: مُدرس، علاقة حلوة، وتقدر أن تسأله، تتجاوب معه، تأخذ وتُعطي معه وبسهولة، أساساً مفتوح الباب، ويوجد مُدرس يتساءل متى يخرج من هذه الحصة، لا يجعلك تسأل، ولا يتعامل معك بتعامل حسن، ويتكبر، ويتعجرف، ويسب، ويشتم، ويهين، ومن هذا القبيل؛ فأنت لو أردت أن تراجع في الورقة على أساس امتحان، أنت تحسب ألف مليون حساب تتوقف ولا تراجع، كلها تعقيد في تعقيد، يُعقّد الأمور؛ أما المتقين لا، الأمور سهلة معهم.

* مواقف أهل البيت عليهم السلام في سهولة التعامل معهم:

١. أمير المؤمنين عليه السلام حينما استلم الحكم، الزبير وطلحة وعبد الله بن

عمر أعطاهم ٣ دينار مثلهم مثل بقية الناس، الأمير عليه السلام قال إلى عمار: وزّع على كل الأفراد ثلاثة دنانير، بيت المال هذا وزع منه ٣ دينار لكل شخص؛ فوزع ٣ دينار على الجميع: غني، فقير، كبير، صغير، بما فيهم الأمير ٣ دينار، والبقية كلهم ٣ دينار، هؤلاء أعطوهم ٣ دينار! من قبل كان لنا عطية خاصة، ما هذا «تغير الحاكم، لكن الأمير عليه السلام هنا وتورطنا فيه نحن»؟

فقالوا لعمار: خذ لنا موعداً، نريد أن ندخل على الأمير، خذ لنا طريقاً.

قال لهم: الأمير عليه السلام موجود ولا يحتاج الدخول له استئذان، وليست هذه الأمور المعقدة، تفضلوا اذهبوا، ممكن الدخول له، ليس مثل ما تتصورون تفضلوا بسهولة تدخلون عليه.

فالمُتقي تعامله مع الناس تعامل عادي، حسن؛ لا يُرهب الناس، لا يُخيف الناس، لا يُعلّق على الناس، لا يُهين الناس، لا يتعالى على الناس، بل المُتقي يتواضع، يستقبل الناس، حينما يخطئون عليه يعفو عنهم، يقبل منهم.

٢. يأتي شخص يتمدد على بطنه، ويحرك رجله من خلف، أجنبي يا محمد!

المسلمون يفعلون، الرسول يُهدّئهم؛ أعرابي مسكين لا يفهم، يقول: دعوه، طريقته غير حسنة لكن يقول: اتركوه، حتى يتكلم ويسأل بحرية، لا يخاف.

٣. شخص يأتي للرسول ﷺ وسلم يقول: أعطني، هذا ليس من مالك، أعطني!

يقول: إن شاء الله تفضل.

دعه يتكلم، يُعبّر عما في خلجات نفسه، تفضل قل، لا يوجد بهذا مشكلة. شخصية الرسول، وشخصية الأمير عليهما وآلهما السلام، وشخصية المتقين؛ هذه السهولة في التعامل: لا تعقيدات، ولا هذه الأمور وما شابه، أي إنسان يقدر أن يتعاطى معه بسهولة صغيراً وكبيراً.

٤. شخص يأتي إلى الرسول يتخوف، يقول: أنا ابن امرأة مثلي مثلك، أنا ابن امرأة، مثلما أنت ابن رجل وامرأة، أنا ابن رجل وامرأة، تكلم وخذ حريتك، انطلق، عبّر.

لهذا لم يكن المسلمون يجدون حواجز في سؤالهم، في أخذهم وعطائهم مع الرسول، لهذا يعترضوه؛ على الرغم من أنه نبي معصوم، يعترضوه، لا يوجد أحد يمنعهم، ولا يترك أحداً يمنعهم، على الرغم من أن هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم، لكن حينما يعترضه معترض يتركه، يقول تفضل اعترض ويُجيبه، سهولة التعاطي مع الآخرين، لا تعجرف، لا تكبر، لا تعالي، لا إرهاب.

ولو يقولوا هذا إنسان بهيم، دعهم يقولون؛ يعني حينما نتعامل بتعامل بسيط يقولون عنه بهيم، دعهم يقولون بهيماً، يقومون يسبونا، دعهم يسبونا أحسن من التعجرف، ويوجد أناس يتعجرفون ولا فهم لهم!

هذه من صفات المتقي: التعامل السهل مع الآخرين، بساطة التعامل مع الآخرين؛ وفي الحياة بصورة عامة، لا يُعقد الحياة: السيارة موجودة ركبها، غير موجودة يمشي؛ لا يوجد مطر يخرج، يوجد مطر يخرج ويؤدي دوره وعمله، لا يجلس.

هذا أيضاً «سهلاً أمره» لا يُعقد الأمور، لا يمشي بهذه الطريقة!

لا، كيفما ما كانت هذه الأمور، هو أكبر من هذه الأمور:

أ- تلاحظون لا يوجد عندي سيارة، ما الذي يُوصلني الآن؟ امشي، الله أعطاك رجلين.

ب- كيف المرأة تركب أماماً، وأنا أركب خلفاً؟

عيب! كيف عيب؟ هل أنت أحسن من المرأة؟

المرأة تركب أمام وأنت بالخلف! هذا ليس عنده تعقيدات في هذه الأمور.

ج- عيب أنا -كشيخ- أخرج من دون عباءة!

د- عيب الشيخ يمشي! كيف الشيخ يمشي ولا يركب سيارة؟ كيف وكيف! كيف هذه الأمور؟

هذه كلها تعقيدات ما أنزل الله بها من سلطان! الأمور ببساطة التعامل مع الحياة، ومع الناس الأمور أسهل مما يُعقدها الآخرون.

هذه مجموعة من الصفات: بساطة الحياة، قلة الطعام، والقناعة بصورة عامة، والخشوع القلبي.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

﴿ تأملات في خطبة المتقين (٣٠) ﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين، مبيّناً علامة المتقي: «يَمُزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ، وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ.
تَرَاهُ قَرِيباً أَمَلُهُ، قَلِيلاً زَلُّهُ، خَاشِعاً قَلْبُهُ، قَانِعَةً نَفْسُهُ، مَنْزُوراً أَكْلُهُ، سَهْلاً أَمْرُهُ، حَرِيزاً دِينَهُ، مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ، مَكْظُوماً غَيْظُهُ»^(١).

تحدثنا عن المفردات الأولى من هذا المقطع، بقي ثلاث مفردات:

١- الحرز.

٢- انعدام الشهوة.

٣- كظم الغيظ.

من علامة هذا الإنسان: «حَرِيزاً دِينَهُ» أي يُحَافِظُ على دينه، الحرز: هو المكان الذي يُحَفِظُ به الأشياء، فهو يُرَاعِي، لا يستخف بالقيم، لا يستسهل

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨١-٤٨٢.

القيم، وإنما يعتني عناية فائقة بقيم السماء، بالدين.

«حَرِيزاً» أي حصناً، الحرز: يعني الحصن، يعني المكان الذي تُحفظ فيه الأشياء يسمى حرزاً.

الحرز: يعني هو الشيء تحفظ فيه الأشياء، فدينه محفوظ، ليس على الهامش، ليس على وقت الفراغ.

«حَرِيزاً دِينَهُ» الدين: هو الطريق، فبالتالي دين المتقين هو طريق الإسلام، شريعة السماء، شريعة الإسلام.

«مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ» الشهوة عند هذا الإنسان المتقي محكومة، وليست حاکمة؛ بالتالي هذه الشهوة وصلت إلى درجة الموت، وعدم الحركة للضغط السلبي، فعقله هو الذي يحكمه، العقل هو الذي يأمره بما يحتاج إليه من طعام أو شراب أو ما شابه من شهوات أخرى، حاجات حقيقية، العقل يأمر بتبليتها وما شابه، أما هي بمفردها لا قرار لها.

«مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ» الشهوة: هي الحب والميل، فهذه الأمور الميول السلبية الحب السلبي منعدم.

«مَكْظُوماً غِيْظُهُ» الكظم: كأن الإنسان قبض على شيء، مثل الإنسان حينما يريد أن يأكل شيئاً، يقول كظم هذا الشيء، يعني كأنه ضرب السن على السن بكل قوة، الغيظ يريد أن يخرج، يريد أن ينطلق، فيقبض، كيف الإنسان بأسنانه يضم الأشياء؟

هنا بأسنانه يكظم ما في قلبه فلا يخرج، فهنا يقبضه، يقبض الغضب والغیظ وما شابه.

«مَكْظُومًا غِيْظُهُ» عنده سعة صدر، عنده حلم، عنده السيطرة على نفسه، كلامه وراء قلبه، لسانه وراء قلبه، لا يتكلم كلمات وتصرفات حمقاء وينفعل ولديه ردود أفعال! لا يتصرف على ضوء فعل موجود، فهو رد فعل، بل يتحرك بناءً على أن هذا الفعل هو المطلوب.

فبالتالي حينما يستفز، حينما وحينما وما شابه، لا يستفز ولا يكون عند رد فعل سلبي، وإنما يكظم غيظه، يقبض غضبه وما شابه، لا يخرج الغضب عن سيطرته وسلطته.

هذه ثلاثة علامات للمتقي، إذن:

العلامة الأولى: هو الذي يُحافظ على قيم السماء، يُحافظ على الصلاة، يُحافظ على الصوم، يُحافظ على الفعلية، يُحافظ على وقت الصلاة، يُحافظ على الصدق، يُحافظ على قراءة القرآن، يُحافظ ويُحافظ على كل هذه الأمور، يُمارس برامج، الصلاة يُحافظ عليها، يحفظ فرجه، يحفظ بطنه من أكل الحرام، يحفظ، ويحفظ.

فالدين عنده هو الأساس؛ ليس عنده استعداد أن يجعل الدين على الهامش، ليس عنده استعداد أن يضيع دينه، يخسر الدنيا ولا يخسر الدين، الدنيا كلها تذهب لكن دينه يبقى.

«حَافِظًا لِدِينِهِ»^(١)، هذا الفقيه، كذلك المتقي «حَرِيزًا دِينَهُ» حافظاً لدينه: ليس مستهتراً بالأمور، ليس على الهامش، ليست صلاة كيف ما كانت، ليسوا أصدقاء كيف ما كانوا، ليست طريقة كيف ما كانت؛ لا، لا بد أن

(١) الاحتجاج، للطبرسي، ج: ١، ص: ٢٦٣.

تكون الطريقة شرعية.

الأصدقاء من أهل الإيمان، ويلتزم بقيم السماء وما شابه؛ يُحافظ على الصدق، لا يغتاب الناس، لا يهتك أعراض الناس، وما شابه من الأمور السلبية، يحفظ دينه، وبالتالي الهاجس له الدين، الهدف له الدين.

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾^(١)، هذا هو المتقي كل أهدافه، كل تطلعاته للدار الآخرة، لهذا يلتزم بقيم الدين.

العلامة الثانية: لدى البشرية مشكلة في ماذا؟

في استجابتها للشهوات ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾^(٢)، الشهوات: أهواء وشهوات، استجابة لهم، فبالتالي ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ﴾ ما تهوى النفس ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^(٣)، سواءً الأنبياء، أو الآن العلماء الربانيين؛ هذا العالم نُكذِّبه، والعالم الثاني نقتل شخصيته ونُسقطه وما شابه، عالم رباني صادق، ليس شخصاً متلاعباً، لماذا؟ أهواء وشهوات، أمّا الإنسان المتقي الشهوة عنده لا وجود لها، ولا قرار لها:

أ. رأى طعام سال لعبه، المتقي لا يسهل لعبه.

ب. يأتون يثرونه بقضايا جنسية، أُثِرَتْ غريزته الجنسية يذهب يعتدي على أعراض الآخرين.

(١) سورة القصص: ٧٧.

(٢) سورة آل عمران: ١٤.

(٣) سورة البقرة: ٨٧.

المتّقي يغض الطرف، لا يعتدي على أعراض الآخرين؛ الشهوة هذه لا تتحرك، لا يُحرّكه الحرام، لا تُحرّكه الأشياء الزائدة، لا تُحرّكه الأشياء المثيرة والمغرية؛ العقل هو الذي يُحرّكه، فبالتالي هذا الإنسان المتّقي ليس إنساناً ضعيفاً لا يقدر أن يضبط نفسه، لا يقدر أن يلزم نفسه، رأى طعاماً سال لعبه، كيف يأكل الطعام؟ وكيف يحصل عليه؟

تعال اقطع مشوار مدته كم ساعة لأجل أن تحصل على لقمة الطعام هذه، ويأخذ ذاك الوقت وما شابه!

المتّقي ليس من هذا النوع، المتّقي لا تُثيره الشهوات، لا تُحرّكه الرغبات عقله هو الذي يُحرّكه، يصل إلى درجة ماذا؟

«مَيِّتَةً» بتعبير الإمام علي عليه السلام: «يَا دُنْيَا! ... غُرِّيْ غَيْرِي ... قَدْ طَلَقْتُكَ ثَلَاثًا»^(١)، لا يوجد رجعة، يعني هذه الشهوات لا توجد، هذه الشهوات الدنيوية والأهواء الدنيوية لا وجود لها، لأنه رَوَّضَ النفس «إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرَوَّضُهَا بِالتَّقْوَى»^(٢).

هؤلاء المتّقون رَوَّضُوا أنفسهم، الشهوة والأهواء موطنها النفس، حينما رَوَّضَ النفس وسيطر عليها ماتت الشهوات، الشهوة ماتت.

فإذن من علامات المتّقين: أن يُسيطر على أهوائه وشهواته، نحن بحاجة إلى أن نكون بهذه الروح، يجب أن نسعى لذلك.

(١) نهج البلاغة، ص: ٧٨٥-٧٨٦.

(٢) بحار الأنوار، (ط: دار الإحياء التراث) ج: ٣٣، ص: ٤٧٤، ميزان الحكمة، ج: ٢، ص: ١١٣٦.

يقول -الأمير عليه السلام-: هؤلاء المتقون، نحن لا بدّ أن نكون من المتقين، نسعى، نروّض النفس، ونبلغ هذه الدرجة.

نحن حينما نحافظ على الصلاة، هذه خطوة من خطوات التقوى بمحافظتنا على الصلاة بالخصوص في هذا الشهر: أن يستيقظ شخص للصلاة، الناس تسهر الليل على عبث وما شابه، نحن ننام مبكراً على أساس أن نجلس لحفظ هذه الصلاة؛ الناس نعسانة، بالقوة تقوم للصلاة قبل طلوع الشمس بلحظة، وبعضهم يضيعون الصلاة! ونحن نرى الشباب ما شاء الله يقومون لصلاة الصبح قبل الأذان، هذا حفظ الدين؛ نحن إذن في طريق المتقين.

فنحن لا بدّ أن نواصل ونكمل هذا الطريق: بحفظنا للدين، وسيطرتنا على شهواتنا، لنجعل عقلنا هو الذي يحكمنا، حتى نصل إلى درجات التقوى.

العلامة الثالثة: إنسان إما فاعل إما منفعل: منفعل الأجواء تُحركه، والأجواء تُوفقه؛ تستفزه الأجواء، وتُحركه الأجواء؛ بل الإنسان المصلحة الدينية، العقل، أوامر العقل هي التي تُحركه؛ شخص أتى أستفزه هل سبّه وشتّمه وما شابه، أو يكظم غيظه؟

﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾^(١)، لاحظوا هؤلاء يكظمون الغيظ، لا بدّ أن يكون لنا نموذج وقدوة: قصص أهل البيت، حياة أهل البيت، مسلك أهل البيت عليهم السلام، هذه قدوة لنا؛ هل كانوا يغتاظون وينفعلون لأنفسهم؟

(١) سورة آل عمران: ١٣٤.

لا.

١. الإمام الباقر عليه السلام يمر، يأتي إنسان يقول له: يا بقرة، يسخر على الإمام؛ إمام معصوم، له مكانة عند الله، هذا يأتي يسخر منه ويستهزئ به. الإمام بإمكانه بدعوة عليه يلغيه من الوجود، بدعاء! لا يُحرك أي ساكن، فقط دعاء! لكن مع ذلك، الإمام يتركه يمشي في طريقه، ذاك يأتي يقول: يا بقرة، يا بقرة، إياك أعني.

يقول له: «وعنك أغضي» يغض عنه، لم يرد عليه ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١)، هذا لا بد أن يكون، لم يستفزه الجاهل، لم يستفزه.

٢. الإمام زين العابدين عليه السلام يمر في طريق، يوجد شخص مهرج، الجماعة قالوا أنت لا تقدر عليه، قال كيف لا أقدر عليه، دعه يأتي؟

الإمام يمر ويقوم يأخذ عباءة الإمام! الإمام لا بس عباءته، فينزع عباءته من الإمام؛ الإمام يمشي في طريقه، هذا يقوم يسخر وكذا وما شابه، الإمام عليه السلام يغضي عنه ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٢)، هذه الأخلاق، هذه أخلاقياتنا نحن لا بد أن تكون.

هذا خلق أهل البيت عليهم السلام، هذا خلق المتقين؛ نحن لا بد أن نفتدي، لا نتفاخر فقط؛ فخر لنا أن يكون قادتنا هذه أخلاقهم، لكن لا بد أن نفتدي بأولئك القادة، بأولئك لزعماء: أهل البيت، والمتقون، هؤلاء نفتدي بهم، نفتدي بأهل البيت، نفتدي بالمتقين؛ فنكظم غيظنا، يكون عندنا صدر

(١) سورة الفرقان: ٦٣.

(٢) سورة الفرقان: ٦٣.

واسع فلا نفعل، لا نُحركنا الأجواء، ليست حركتنا ردود أفعال؛ وإنما تعقل.

لاحظوا ممكن أن يكون لدى الإنسان ردود فعل تُؤدي إلى نهاية حياته، قد يستفزه شخص، وينفعل، قد تُؤدي بحياته! خطأ واحد يُدمر هذا الإنسان!

لهذا لابد أن نكظم الغيظ، ونعفو، ويسع الصدر، والحركة من خلال الفاعلية وليس الانفعال، من خلال أني أرى في هذه الحركة مصلحة دينية، ليست ردود أفعال وأنا حركتي ليست بناءً على أن الآخر يتحرك، تحرك الآخر أم لم يتحرك، أنا أتحرك إيجابياً، نعم يتحرك الآخر أستفيد من حركته.

يمكن شخص يستفزني، يحتاج إلى تأديب، فأرد عليه لأنه بحاجة إلى أن يُؤدب، ليس كرد فعل، وإنما كفعل أيضاً، هذا الشخص يمكن عنده اعتداء، فيعتمد على نوع الاعتداء لا أرد عليه وما شابه، وأنفعل، وقد يتطلب هذا المورد أن أسكت عنه، قد يتطلب المورد أن أنصحه، قد يتطلب المورد شيئاً آخر على حسب.

فإذن حركة الإنسان المتقي ليست ردود أفعال، وإنما فعل وبالخصوص في الحق الشخصي.

حب الناس، لا نحقد على الناس: اختلفوا معنا، سبونا، شتمونا، لابد أن نغرس حباً هؤلاء، بالخصوص حينما نلاحظ أن هؤلاء مؤمنين، إنما عندهم شبهات؛ شبهة عنده، عنده لبس، فأنا هل أحمل غيظاً عليه؟

لا، دع الآخرين، إذا كان الآخرون يغتاظون نقول لهم ﴿مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾^(١)، كما يقول القرآن، إذا كان عنده غيظ، عنده حقد؛ أنت تعمل

(١) سورة آل عمران: ١١٩.

عملاً إيجابياً، ذاك يغتاظ، ماذا أعمل له؟

دعه عنك، لكن أنا حينما يعمل الطرف الآخر عملاً إيجابياً لا أغتاظ؛ ليس فقط إذا عمل إيجابياً، بل حينما يستفزني لا أغتاظ، فكيف إذا عمل عملاً إيجابياً وهو مُخالف لي، أقول بارك الله في الأعمال الإيجابية هذه روح التقوى، حينما نرى الآخرين يعملون أعمالاً إيجابية، لماذا نغتاظ؟

نحن إذا عملوا أعمالاً سلبية ضدنا شبهةً وخطأً لا نغتاظ، فكيف إذا كان العمل الصالح؟

فحينما يغتاظ الإنسان من العمل الإيجابي هذا خلاف التقوى، فلنلتفت لا نعيش حزبية ضيقة، ونغتاظ من العمل الصالح، من العمل الإيجابي لأن هذا ليس من جماعتي، لأن هذا ليس من أصدقائي؛ فالمُتَّقون هم الذين لا يغتاظون من العمل السلبي من الإنسان المفعّل الجاهل، فكيف بالعمل الصالح؟

دعونا نصل لهذه الدرجة: نكظم غيظنا، حينما يُعتدى علينا بسبب الجهل وما شابه، فلا نُستفز ولا ننفعل؛ وإنما تكون حركتنا حركة فعل على ضوء: تفكير، وتخطيط، ومصلحة دينية، ورضا الله سبحانه وتعالى.

هذه مجموعة من الرؤى، نسأل الله أن نُوفّق أن نتحلّى بها، ويكون هذا مسلكنا:

١ - حفظ الدين، وهذه هي أهم نقطة في -البحث-.

٢ - السيطرة على الأهواء والشهوات.

٣- عدم الانفعال، وإنما حركتنا تكون على ضوء: تفكير، ومصلحة دينية، فهي فعل قبل أن تكون ردود أفعال.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

﴿ تأملات في خطبة المتقين (٣١) ﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين واصفاً المتقين، وذكر علامة المتقي: «الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ»^(١).

من أهم الصفات التي يتحلّى بها المتقي، وتنعكس على واقعه: هي الصفة الإيجابية، وصفة السلب.

صفة الإيجاب: «الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ» دائماً وأبداً لا يُرجى منه إلا الخيرات، لا ينتظر منه إلا الخيرات، لا يؤمل منه إلا الأعمال الصالحة وما شابه.

وصفة السلب: كذلك لا يخشى جانبه، ومن يعيش معه يعيش الأمن والسلام؛ لا يخافه، لا يغدر، لا يرتكب الشر، لا يرتكب المعاصي، لا يعتدي على أحد.

«وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ» يعني هناك عدم وجود للشر منه، هاتان صفتان

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٢.

رئيسيتان للإنسان المتقي.

فإذن لابد أن نتحلى هاتين الصفتين، حتى نبلغ درجة التقوى، لابد أن نعكس، بل إذا أردنا أن نرى أنفسنا هل نحن من أهل التقوى أم لا، لابد أن نلاحظ وجود تلك الصفتين: هل نحن أصحاب خير، همنا فعل الخير؟ يعني ماذا الخير؟

الصلاة هذا خير، صلة الرحم خير، مساعدة الناس خير، العمل الصالح خير، العمل الديني خير، قراءة القرآن خير؛ فهذه حياة الإنسان المتقي.

الإنسان المتقي حياته مليئة ببرامج خيرة، فبالتالي حينما يكون هناك برنامج خير، أنت تتوقع أن يكون هذا من أولئك، هنا لماذا لا يوجد صلاة جماعة؟

يأتي هذا وتتوقع منه أن يُقيم صلاة جماعة، الجماعة قالوا نُقيم حلقة قراءة قرآن، تتوقع أن يكون هذا من رواد حلقة القرآن، وهكذا بقية الأمور؛ الأعمال الاجتماعية الخيرة، الأعمال الثقافية الرشيدة وما شابه.

لاحظ هذا الإنسان عنده استعداد، وعنده واقع؛ ليس فقط استعداد لكل عمل خير، بل تلاحظه يتحمل مسؤولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حينما يكون هناك قصور في المجتمع، هذا يتحمل مسؤوليته؛ أنت تتوقع أن هذا الإنسان هو ممن يتحمل مسؤولية الدعوة إلى الخير، حينما تكون هناك منكرات أنت تتوقع هذا ممن يُدافع عن القيم، ويدفع المنكرات، هذا الفعل منه مأمول.

الجهاد خير، الأمر بالمعروف خير، النهي عن المنكر خير، قيم السماء، أصول الدين: التوحيد، النبوة، والولاية، والعدل، والمعاد، والإيمان بها

خير، الصلاة خير، الصوم خير، العلاقات الاجتماعية: حسن المعاملة خير، احترام الناس خير وما شابه.

فإذاً هذه صفات الإنسان المتقي، وفي المقابل أيضاً «وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ» لا يرتكب المحرمات، لا يرتكب الزنا، لا يعتدي على أعراض الآخرين، ولا يشرب الخمر، ولا يشرب محرماً، ولا يغتاب الناس، ولا يعتدي على الناس، ولا يهتك أعراض الناس، ولا يظلم الناس، ولا يسرق الناس، ولا ينهب الناس، ولا يأكل أموال الناس بالباطل، ولا يُخيف الناس، ولا يُسقط الناس، لا ولا وما شابه من هذه الأمور، بل ولا يُزاحم الناس في عمل يُسيء للآخرين، هذا الإنسان المتقي.

الإنسان المتقي لا بدّ أن تكون عنده هذه الروح، هذا الخلق: أن الآخر يأمن شره، أن لا يبدر منه شر؛ يُدافع عن القيم، ليس معناه لا يخرج منه شر لا يُدافع عن القيم! بل يُدافع عن القيم ويُرهّب أعداء الله أيضاً، لكن الكلام هل يبدر منه شر؟ هل يغتاب الناس المؤمنين؟ هل يبهت الناس المؤمنين؟ هل يقوم بعملية النميمة؟ هل وهل وما شابه؟

هذا هو الإنسان المتقي: لا يغتاب، ولا يظلم، ولا يرتكب محرماً، ولا يعمل فتنة بين الناس، ولا يسعى لتضعيف الناس، ولا تضعيف عمل ديني ولا ما شابه، هذا هو الإنسان المتقي.

«وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ» تصوروا هذا الإنسان في مجتمع، أو تصوروا أن مجتمع موجود بهذه الروحية: مجتمع فاعل، أعماله إيجابية خيرة، سبق للخير؛ في المقابل أيضاً لا يوجد عمل سيء، مجتمع مستقر، وهذا بفعل التقوى.

لذلك لا بدّ أن نسعى لأن نبني مجتمع التقوى، ونكون نحن أهل التقوى، نحن نلزم كلمة التقوى، ونكون أهلها؛ فلا بدّ أن نسعى لأن نكون من المتّقين، الذين يأمل الناس منهم الخير، ويأمن الناس منهم الشر، فهاتان صفتان مهمتان اجتماعيتان وعقديّتان وما شابه.

نسأل الله أن نُوفّقَ للتحلي بهما، وأن نكون من أهل الخير الذي يأمل منه الناس الخير، وأن لا نكون من أهل الشر، بل أن نكون ممن يأمن الناس منهم الشر.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

﴿تأملات في خطبة المتقين (٣٢)﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين: «إِنْ كَانَ» أي هذا المتقي: «إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ، وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ»^(١).

هنا يُبين الأمير عليه السلام بعض علامات المتقين، فهنا يبين صفة رئيسية قد يسأل عنها البعض: كيف يكون هذا الإنسان في وسط المعمة الغافلة؟

هنا الإمام يقول: «إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ» كان في المجلس، المجلس يعيش حالة غفلة، لكن المتقي بطبيعة الحال ليس ممن يغفل عن ذكر الله؛ المجلس هو مجلس غفلة، لكنه ليس منهم، هو فيهم وليس معهم؛ كما يقول الإمام الحسن عليه السلام: «كن في الناس، ولا تكن معهم» لو كان في مجتمع غافل، أو في ديوانية غافلة، هذا لا يعيش الغفلة بل يعيش الذكر.

ولذلك يكتبه الله في الذاكرين، صحيح هو الآن في هذه الجماعة ظاهراً،

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٢.

ولكن حقيقةً هو في الذاكرين، يُكتب عند الله سبحانه وتعالى في الصالحين، مع الصالحين وما شابه.

لذلك مجلس لا يذكرون الله فيه، أو قد يكون الذكر في هذا المجلس غيبة ونميمة، هذا المجلس الصامت، تلحظ أن هذا يُفكر في أمر الله، يذكر الله بلسانه، بقلبه، بفكره، صحيح هو ظاهره مع هذا الجمع، لكن قلبه وروحه أبعد من هذا الواقع الظاهري؛ ولذلك يُكتب في الذاكرين «وإن كان في الذاكرين» يعني الذين يذكرون الله ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا﴾ كيف يكون هذا الذكر؟

﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هذا الذكر ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١)، هذا يذكر الله بتفكيره، بلسانه، بقلبه، بروحه؛ إذا كان في وسط الذاكرين، مع جماعة مؤمنة تذكّر الله بلسانها، يقول هذا أيضاً هنا «لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ» لماذا لا يُكتب من الغافلين؟

لأنه هنا يتجاوز حدود الذكر أيضاً، من قبل إنسان يذكر الله بلسانه، ولكن قلبه غافل، هذا ذاكر بلسانه وقلبه وبيروحه.

«وإن كان في الذاكرين لم يُكتب من الغافلين» يعني هذا الإنسان لا يُعاند الناس، لا يمشي عكس التيار، بل يمشي مع الحق، إذا كان الحق عكس التيار التزم الحق؛ إذا كان الحق مع التيار التزم التيار والحق، لا يفرق، ليست هي مسألة عناد، أريد أن أخالف حتى أكون لي شخصية؛ لا، القضية ليست هذه، بل القضية قيم ومبادئ، هذه علامة هؤلاء: الحق هو محورهم، والذكر

(١) سورة آل عمران: ١٩١.

وعدم الغفلة؛ هذا طابعهم.

لهذا الأمير عَلَيْهِ السَّلَامُ يُوَكِّدُ هنا على علامة هذا الإنسان المتقي: بالذكر الدائم، باللسان، والقلب؛ لهذا نحن أيضاً حري بنا أن نتصف بهذه الصفات، نحن نعيش في مجتمع غافل، أو في ديوانية غافلة، أو ما شابه.

لا بُدَّ أن أفكر، أولاً لا بُدَّ أن أذكر الله بلساني، أذكر الله بقلبي، أذكر الله بروحي وتفكيري، وأفكر كيف أصلح: هذا المجتمع، هذه الديوانية، هؤلاء الأصدقاء، هذا البيت الأسري، هذا المكان في العمل، هذه المؤسسة الاجتماعية، هذه المؤسسة المهنية؟ أنا في الوسط الذي أنا فيه أفكر كيف أصلح هؤلاء الغافلين؟ أفكر كيف أُشَيِّدُ الدين في هذا المكان الذي أنا فيه، الآخرون تائهون غافلون؟

لا بُدَّ أن تكون عندنا هذه الروحية، وحينما أكون مع جماعة إيمانية، تفكر بتفكيرنا أيضاً أنا لا بُدَّ لا أنسحب، وأقول يوجد غيري يقوم بالمهمة فبالتالي أنا أنسحب! لا، أنا أيضاً أقوم بدوري هناك مسألتي:

١. تارة لا يوجد أحد في الساحة، أقول ما دام لا يوجد أحد، لا يوجد عمل؛ بل أنا أعمل، حتى لو كان الكل لا يعمل أنا أعمل، الكل غافل أنا ذاكر.

٢. تارة ساحة فيها أناس، أقول غيري دعه يقوم بالعمل «وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: إِنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ»^(١)، تقول يوجد غيري، ذاك أقام العمل، وأنا لا أحتاج، أذهب أجلس بيتنا، وأستأنس وما

(١) نهج البلاغة، ص: ٨٨٢، ح: ٤١٢.

شابه، لا.

حينما نكون مع الذاكرين، نُحاول أن يكون لنا يد السبق؛ نتسابق، نتنافس على أن نُؤدي العمل أفضل، أتقن، نتقن العمل، ونُكمل العمل، ونُطور العمل وما شابه؛ هذه الروحية، هذا إذا «كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ» لا ينسحب ويقول غيري يكفي، هذا يُعَدُّ من أهل التقوى: لأنه يعمل دائماً وأبداً، إذا كان الناس في غفلة يعمل، وإذا لم يكن في الناس، وكان هناك جماعة من أهل الذكر هو يُطور عمله، ويُضاعف العمل لا ينسحب ويكتفي بعمل الغير.

بمعنى آخر: رُوحُ أُشْرِبَتْ بحب العمل الصالح، وبالذكر الإلهي، لا تقدر أن تتخلى، يعني لا تقدر أن تنفصل، بل جزء من كينونته، جزء من حياته؛ هذه الروح الصالحة، هذا الذكر والعمل الصالح، هذا ما نحن بحاجة إليه ويجب أن نغرسه في نفوسنا.

نسأل الله أن نُوفِّقَ لذكر الله الدائم في وسط الغافلين، وفي وسط الذاكرين، وأن نكون منهم دائماً وأبداً؛ إِنَّهُ سَمِيعُ الدُّعَاءِ.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطاهرين.

تأملات في خطبة المتقين (٣٣)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين، يصف ويذكر علامة المتقين منهم: «يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ»^(١).

هذه الصفات وهذه العلامات التي تنبئ عن التقوى: العفو عَمَّنْ ظلمنا: «يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ» يتسامح، يتجاوز مَنْ تجاوز عليه، يتجاوز عَمَّنْ تجاوز عليه، يعفو عنه، يصفح عنه.

«وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ» الإنسان الذي يمنع عنه العطاء، يمنع عنه الخير، ولا يُعامله بالمثل، وإنما يُعطيه.

«وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ» الإنسان قاطعه، واتخذ القطيعة وسيلة؛ المتقي لا يرد بالمثل، وإنما يصل هذا الإنسان؛ هنا ثلاث صفات تنبئ عن صفة رئيسية: وهي عدم التعامل بالمثل، وليس أفعاله ردود أفعال.

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٢.

لذلك حينما يواجه الظلم من الإنسان المؤمن طبعاً، وليس من الظالمين والطغاة «الساكت عن الحق شيطان أخرس»^(١)، ولولا سكوت المظلوم لما تمكن الظالم من الظلم، ولكن الكلام حينما إنسان مؤمن يُخطئ، يتجاوز حدوده ويظلم؛ هذا المتقي كيف يتعامل معه؟

هنا يكون العفو، فالعفو هو سجيّة المتقي، هو أخلاق المتقي، هو طبيعة المتقي؛ هو ليس إنسان يظلمك، يعتدي عليك، يسبك، يشتمك، يمزح معك، ويتجاوز حدوده وما شابه، هذا إذا كان متقياً لا بدّ أن يكون عقله -متجسداً في- فعله: العفو، الصفح، والتسامح، وتجاوز في مثل هذا الموقف.

«وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ» الإنسان عنده علم يمنعه عن غيره، -لكن المتقي- إذا تعلم يُعطيه، عنده مال إذا كان عنده مال يمنعه، لكن المتقي يعطيه وهكذا، يعني لا يُقابل الظلم وبالظلم، ولا يُقابل الحرمان بالحرمان، وإنما يُقابل الحرمان بالعطاء:

أ. إنسان لا يعطيك، أنت تعطيه، ليست ردود فعل.

ب. بالنسبة إلى الصلة، الإنسان ممكن أن يحصل بينك وبينه خصومة فيقطعك، سواء منك الخطأ أو منه الخطأ، أو بسبب انشغالات الحياة، ينشغل الإنسان بالحياة، فلا يصلك، أنت تصله كمتقي، أو بصورة عامة أنت تصله، ولكنه لا يرد لك الصلة، أنت مع ذلك تصله لا تقطعه.

هذه في الواقع روحية الإنسان المتقي التي تُنبئ عن أنّ أفعاله ليست ردود أفعال، وهذه نقطة مركزية في الواقع: نحن عندنا ردود الأفعال ونتصرف

(١) تهذيب شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، لعبد الهادي الشريفي، ج: ٢، ص: ٣٧٦.

كما يتصرف الآخرون، إذا تصرف الآخر تصرفاً خاطئاً، هل أنا أتصرف مثله، أرد الخطأ بالخطأ، حتى أنتقم: لعزتي، ولنفسي، ولكبريائي، ولغروري، وأبهتي وما شابه، أم أنتصر للقيم والحق؟

هذا إنسان غافل، هذا إنسان مؤمن لا بدّ أن لا أقطعه وما شابه، هذه العقلية هي الأساس، إذا كانت عقلية ردود أفعال غير عقلية بناء وإصلاح، بعيداً عن الأفعال التي تبدر، يقرأها ويدرسها، ولكن لا يرد عليها كرد فعل، وإنما كفعل إذا كانت تحتاج إلى رد؛ وإلا أصل الفعل أفعال بالعكس: هذا يقطعه يقوم بعملية الصلة، هذا يحرمه يقوم بعملية العطاء، هذا يظلم يقوم بعملية العفو والصفح وما شابه.

هذه العقلية هي التي تُحافظ على قوّة وسماكة المجتمع الإيماني، ووحدة هذا المجتمع وقوّته، والثقة بينهم وما شابه؛ أما إذا صار أقل شيء نحن تخصمنا، وزعلنا من بعضنا البعض، أنت تعتدي عليّ وأنا أرد الاعتداء الكيل بمكيالين، أنت عندك شيء لم تُعطني أنا حينما يصير عندي شيء أيضاً لا أعطيك، أنت تحرمني من إمكانيات عندك أنا أحرمك من إمكانيات التي عندي، أنت لا ترى وجهي وأنا لا أرى وجهك، بل أنت تغور عني وأنا أغور عنك، هذا ليس مجتمعاً إيمانياً، هذا مجتمع جاهل.

لهذا الأمير يُبين صفات المتّقين في المجتمع الإيماني، وكيف أنّهم أساس وحدة المجتمع وقوته؛ مجتمع بهذه الأخلاق، بهذا العقل يُحافظون على قوّة المجتمع، وصلابة المجتمع، وتماسك المجتمع، وتعاون المجتمع، وإرهاب أعداء المجتمع، العدو يُرهب من مجتمع متماسك قوي؛ أما مجتمع متناحر، كل شخص يظلم الآخر، ويرد الظلم بالظلم، مجتمع أناني شحيح، كل

شخص يُمسك العطاء عن الآخر، هذه الإمكانيات تذهب هدرًا.

لهذا نحن بحاجة إلى أن نتخلّق بهذه الأخلاق: نَعْفُو عَمَّنْ يَظْلِمُنَا، في هذا المجتمع أناس متدينين مؤمنين: بسبب الجهل، بسبب الغفلة، بأي سبب كان من هذه الأسباب؛ يتجاوزون علينا، يظلموننا، نحن ماذا يجب أن يكون موقفنا؟

العفو دائماً وأبداً:

حكمتنا وكان العفو منا سجية

فلما حكمتم سال بالدم أبطح

أهل البيت عليهم السلام حينما ملكوا، حينما حكموا مع القوة والقدرة كان العفو «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(١)، عفو، في الواقع هذه أخلاق أهل البيت عليهم السلام.

نحن لا بد أن نتوشح ونتخلّق بالعفو، ونجعله خلقنا: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢)، لذلك حينما طبّقها الرسول نزلت الآية القرآنية: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٣)، ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾^(٤).

القرآن يأمرنا، ونحن في الدعاء: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»^(٥)، «العفو، العفو، العفو» في صلاة الليل يُستحب أن يقول الإنسان ثلاثاً مرة: «العفو، العفو، العفو» نحن نريد من الله العفو، دعونا نعفو.

(١) بحار الأنوار، ج: ٤٤، ص: ٥، الإمامة والسياسة لابن قتيبة، تحقيق الزيني ج: ١، ص: ٨٩.

(٢) سورة الأعراف: ١٩٩.

(٣) سورة القلم: ٤.

(٤) سورة البقرة: ١٠٩.

(٥) إقبال الأعمال، ج: ١، ص: ١٣٤.

نحن إذا عفونا عن الآخرين، الله سبحانه وتعالى حتماً يعفو عنا، حتماً إذا عفونا عن الآخرين، حتماً الله سبحانه وتعالى يعفو عنا، لأن الله أكرم منا. فبالتالي لابد أن نعفو حتى نحظى بالعفو، هذا الجانب الأول: نمارسه في حياتنا العفو.

الجانب الثاني: نفس الشيء، أنا عندي إمكانيات، أنت عندك إمكانيات، إذا أنت منعنتني وأنا منعتك هذا الإمكانيات أنا لا أقدر أن أقوم بها كلها، تذهب هدرًا: سواء كانت مال، أو علم، أو قدرة، أو أفكار، أو إمكانيات أخرى أو ما شابه.

حينما نتعاون وأنت تعطيني من إمكانياتك وأنا أعطيك من إمكانياتي هنا كلانا نقوى كلانا نتقدم، بل من إمكانياتك أنا أبدأ، وأنت من إمكانياتي تبدأ، من إمكانياتك أنا أوفر إمكانيات جديدة، وأنت من إمكانياتي تحظى على إمكانيات جديدة أخرى وما شابه، تتولد إمكانيات أخرى؛ أما حينما يوجد شخص عنده مال ويقع هذا صار فقيرًا، الفقير هذا غداً من الممكن أن يسرق، ويمكن أن ينهب، بل يحتاج إلى المال ليعالج نفسه، ليس عنده مال ليعالج نفسه لوجود الفقر، احتاج إلى مال ليشتري الطعام، ولم يشتره، فانتابه المرض، بالتالي تتعطل القدرات، هذا أمر طبيعي.

لكن لو تجاوزنا الخلافات وتعاوننا فيما بيننا، أنت تُعطيني وأنا أعطيك، شيء آخر يكون، لا يبقى فقير: «مَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ غَنِيٌّ»^(١)، وهكذا

(١) نهج البلاغة، للشيخ الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٨، حكمة رقم ٣١٩، شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، ج: ١٩، ص: ٢٤٠.

في بقية الإمكانيات الأخرى ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾^(١)، كل واحد يتعاون مع الثاني ويُعطي، أما إذا أنت كنت تحرمني وأنا أحرمك من الإمكانيات، كل واحد يبقى بقدره محدوداً ماذا أنا؟ مهما كان، ماذا أنا؟ ليس عندي كل شيء، تلك بلقيس أوتيت من كل شيء، نحن أوتينا ماذا؟

بعض الشيء، فتبادل الإمكانيات حتى نتمكن من بناء قوة ضاربة، قوة متمكنة، قوة قادرة على حفظ نفسها، وتنمية نفسها، وقيادة نفسها، والوقوف أمام الأعداء.

الجانب الثالث: التواصل بيننا، العلاقة لا بد أن لا تنقطع؛ أنت تزعل مني وانتهى، ما هذه الطريقة؟

تقول فلان دعه هو يأتي أنا لا أذهب له، فلان لم يأت لي أنا لا أذهب له، وبعد ذلك؟ مجتمع إيماني يعني ماذا؟ المجتمع هل يعني كل واحد في وادي؟ أم كل شخص متواصل مع غيره؟

مجتمع إيماني بحاجة إلى أن تكون الصلة هي أساسنا، نتواصل؛ بالتالي من الأمور الرئيسيّة والأساسيّة: هي صلة الرحم، واشتق الرحم من رحمة الله، لأي درجة هذا بين الرحم، وهكذا بين المؤمنين ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(٢)، قضية أخوة يعني ماذا؟

مثلاً أن هذا أخ من الرحم لوجود علاقة موجودة، نفس الشيء المؤمنون أخوة؛ يوم القيامة تنقطع كل الوشائج، كل العلاقات إلا علاقة الإيمان إذا

(١) سورة المائدة: ٢.

(٢) سورة الحجرات: ١٠.

أنا لم أتواصل معك أي علاقة صارت بيننا؟

لاحظ هذه العلاقة التي نقطعها، نُحرم من فوائدها العظيمة يوم القيامة، أما حينما أنت تصلني وأنا أصلك، ليس في الدنيا بل يوم القيامة فضلاً عن الدنيا أرفعك وترفعني، أدفع عنك وتدفع عني، يوم القيامة بهذه العلاقة الإيمانية، بهذه الصلة الإيمانية، تدفع عني العذاب وأدفع عنك العذاب.

فبالتالي نحن بحاجة إلى أن نتواصل، لا تزعل من بعضنا وانتهى، أو نحن نغفل: القضايا الإنسانية ننساها، القضايا الاجتماعية ننساها، بل نحن عندنا قضايا إنسانية نحتاج إلى صلة، نحتاج أن نتواصل ونجلس، ونتحدث، ونتحدث، ونبني علاقات وطيدة.

هذه علامات المتقي التي هي عبارة عن: فعل بالتفكير والحكمة، وليست ردود أفعال؛ هذا يعفو عمن ظلمه، ويُعطي مَنْ حرمه، ويصل مَنْ قطعه. نسأل الله أن يُوفّقنا لأن نتحلّى بتلك العلامات، وأن نكون منهم؛ إنه سميع الدعاء.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

تأملات في خطبة المتقين (٣٤)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين مبيّناً علامة المتقي قال: «بَعِيداً فُحْشُهُ، لَيْناً قَوْلُهُ، غَائِباً مُنْكَرُهُ، حَاضِراً مَعْرُوفُهُ، مُقْبِلاً خَيْرُهُ، مُدْبِراً شَرُّهُ»^(١).

دائماً وأبداً يتصف المتقي بصفات الخير والكمال، ودائماً وأبداً يتحلّى بتلك الصفات، وتنعكس على واقعه وسلوكه؛ فلا يرى منه إلا الخير.

في هذا المقطع يُبيّن الأمير عليه السلام: «بَعِيداً فُحْشُهُ» الفحش: يعني الشيء القبيح، الذي ليس من المستحسن أن يُذكر، أو يُلفظ.

وهنا «بَعِيداً فُحْشُهُ» يعني لا يتكلم بكلمات نابية، بكلمات فاحشة، بكلمات مُزرية أو ما شابه «بَعِيداً فُحْشُهُ» فلا ترى منه كلاماً فاحشاً، أو قولاً فاحشاً.

«لَيْناً قَوْلُهُ» في كلماته تلحظ اللين، لا ينطق بتعجرف، ولا بغرور، ولا باستكبار؛ تارة تلاحظ هذا يتكلم حسب تعبيرنا (من أنفه)، تخرج الكلمة

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٢.

من أنفه: تعبر عن صلافة في القول، ويجرح الآخرين، ويشتم الآخرين.
هذا لا «لَيْنًا قَوْلُهُ» الكلمات الطيبة، الكلمات المهذبة، الكلمات التي تُداوي الجراح كالبلسم وما شابه.

فإذن من حيث النطق والأقوال كلام الفحش لا يبدر منه، الكلام الطيب يخرج منه؛ بمعنى آخر: صاحب كلمة طيبة، وبعيد عن الكلمة الخبيثة.
«عَائِبًا مُنْكَرُهُ» لا يرتكب المنكرات، منكر: يعني لا يبدر منه منكرًا، لا يبدر منه معصية، لا تلاحظها.

تارة شخص يرى منه زلة تلو زلة، معصية تلو معصية، هذا غارق في المعاصي والذنوب واضح؛ أما بالنسبة للمتقي لا ترى منه المنكرات، لا تراها في حياته، بل ترى الطهارة والنقاوة، فالمعاصي والذنوب شيء ينكره العقل، تنكره الفطرة، لا تراها منه.

«حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ» دائماً وأبداً يفعل الخير، يُحب الآخرين، يخدم الناس، يتصدى لقضايا المجتمع، يُعلم الناس، يهدي الناس، ينصح الناس، يخدم الناس، يُعين الناس، الأشياء التي يعرفها العقل، يعرفها العقلاء، يعرفها الشرع، هذا ما يبدر منه: يصلي، يقرأ القرآن، هذه أشياء معروفة؛ أعمال الخير، أعمال البر؛ تراها تفيض منه، دائماً وأبداً في نشاط وحيوية وعطاء وحب للآخرين، فهو خادم للناس، معطاء للخير للناس.

«مُقْبِلًا خَيْرُهُ» لا تتوقع منه إلا الخير، أنت دائماً وأبداً تنتظر منه فعل الخيرات، تنتظر منه الجميل؛ عندك في ذهنك أن هذا دائماً وأبداً ترجو منه الخير، ترجو منه الفضل، ترجو منه الإحسان، ترجو منه البر، ترجو منه

الخيرات، فأَيُّ شَيْءٍ مِنَ الْخَيْرَاتِ تَرْجُوها مِنْهُ تَبْدِرُ مِنْهُ، وَتَنْتَظِرُها مِنْهُ.

«مُدْبِرًا شَرًّا» لَيْسَ عِنْدَهُ كَلِمَاتٌ أَوْ أَفْعَالٌ أَوْ مَا شَابَهَ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي تُؤْذِي الْآخَرِينَ، الشَّرُّ بَعِيدٌ عَنْهُ، لَا تَتَوَقَّعُ مِنْهُ شَرًّا، لَا تَلَاظِظُ صَدْرُ مِنْهُ شَرًّا، لَا تَخَافُ مِنْهُ، بَلْ تَأْمَنُ مِنْهُ، فَأَنْتِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُتَّقِي تَعْرِفُ أَنَّ هَذَا لَا يَبْدُرُ مِنْهُ الشَّرُّ، لِهَذَا لَا تَتَوَقَّعُ مِنْهُ، بَلْ تَطْمَئِنُّ إِلَى حَرَكَتِهِ، إِلَى مُسْتَقْبَلِهِ، وَإِلَى الزَّمَنِ الْقَادِمِ مِنْهُ، لِأَنَّ هَذَا «مُدْبِرًا شَرًّا» هَذِهِ صِفَاتُ الْمُتَّقِينَ.

لَا حَظُوا صِفَاتِ كَمَالٍ وَجَلَالٍ الَّتِي تَعَكْسُ عَلَى الْمَجْتَمَعِ: سَعَادَةٌ، وَكَمَالٌ، وَتَطَوُّرٌ، وَتَمَاسُكٌ اجْتِمَاعِيٌّ، وَقُوَّةٌ فِي الْمَجْتَمَعِ، وَبِنَاءٌ لِلْأَجْيَالِ وَمَا شَابَهَ؛ هَذِهِ صِفَاتُ الْمُتَّقِينَ.

لِذَلِكَ نَحْنُ لَا بَدَّ أَنْ نَتَحَلَّى بِتِلْكَ الصِّفَاتِ، وَلَا نَكُونَ بِعِيدِينَ عَنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ:

الصفة الأولى: فَلَا بَدَّ أَنْ نَظْهَرَ أَلَسْتَنَّا: مِنَ الْغِيْبَةِ، مِنَ النَّمِيمَةِ، مِنَ الْقَوْلِ الْفَاحِشِ، مِنَ التَّهْمِ لِلْآخَرِينَ، مِنْ سَبَابِ الْآخَرِينَ، مِنْ اسْتِنْقَاصِ الْآخَرِينَ، مِنْ شَتْمِ الْآخَرِينَ؛ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ النَّايِبَةُ، هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي تَسْتَهْزِئُ بِالْآخَرِينَ، تَسْتَنْقِصُ الْآخَرِينَ؛ لَا بَدَّ أَنْ نَبْتَعدَ عَنْهَا.

لَا يَسْخَرُ مِنْ أَحَدٍ، لَا يَغْتَابُ أَحَدًا، لَا يَلْمِزُ أَحَدًا، لَا يَسِبُ أَحَدًا، لَا يَشْتُمُ أَحَدًا، لَا يُهِنُ أَحَدًا وَمَا شَابَهَ، فَهَذِهِ لَا بَدَّ أَنْ نَتَخَلَّقَ بِهَا؛ لِسَانُنَا هَذَا نَظْهَرُهُ، نَجْعَلُ هَذَا اللَّسَانَ طَاهِرًا مَحَبًّا لِلْخَيْرِ «وَهَلْ يُكَبِّ النَّاسُ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ فِي النَّارِ إِلَّا حَصَائِدُ أَلَسْتَهُمْ»^(١)، هَذَا اللَّسَانُ: كَلِمَةٌ عَلَى هَذَا، وَسَبُّ هَذَا،

(١) أَعْيَانُ الشَّيْخَةِ، لِلْسَيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ الْأَمِينِ، ج: ٤، ص: ٢٣٥.

وشتم هذا، وغيبة هذا، ونميمة لهذا، من هذا اللسان؛ أما المتقي لا يرتكب ذلك، لهذا نحن لا بدّ أن نتخلق بهذا خلق المتقين، أن نُظهر ألسنتنا من الغيبة والنميمة.

الصفة الثانية: لا بدّ أن نعوّد ألسنتنا على القول الطيب، على الكلمة الطيبة، على القول اللين؛ الكلمة التي تكون فيها جرس ونغمة حب، وود، وصلاح، كلمات تُصلح الناس، كلمات تخدم الناس، كلمات طيبة.

نختار الكلمة التي فيها مدح وثناء على المؤمنين والمتقين، هذه الكلمات التي فيها مدح وثناء على إخواننا المؤمنين، وحينما يذكرون زميلاً لي بمدح أنا لا أنضايق، بل أنا أذكره بمدح، أنا أمدحه، أخي هذا المؤمن أنا أمدحه، وأنا أثني عليه؛ هذا لساني أعوده أن أمدح وأثني به على المؤمن بما فيه طبعاً، أمدح إخواني المؤمنين بما فيهم؛ هذه الكلمات الطيبة، هذه الكلمات اللينة.

وحينما أتكلّم أتكلّم بتواضع، واحترام، وتقدير للآخر، مَنْ أنا؟ أنا مثلي مثله، على أي أساس أنا أتكبر عليه؟ وعلى أي أساس أخرج الكلمة من أنفي: مع زميلي، مع زوجتي، مع زوجي، مع ابني، مع أختي، مع أخي، مع أبي، مع جاري، مع أيّ كان؟ لماذا نحن نتعالى، وبالخصوص الزوج مع زوجته؟

بعض الأوقات الزوج لا يخرج كلامه إلا من أنفه، بل لا بدّ أن نتواضع، وإنسان يتكلم مع مَنْ هو أصغر منه، يخرج الكلام من أنفه لماذا؟

لنتكلم بكل تواضع، وكل احترام، وكل تقدير، وكل إجلال للإنسان الذي نتحدث معه؛ هذا لا بدّ أن نتعود عليه، هذا لين الكلام، أن نستخدم

الكلمات الطيبة، وطريقة التواضع في طرح الكلمة واحترام وتقدير وما شابه.

الصفة الثالثة: نحن لا بدّ أن نسعى لأن نهجر المنكرات، لماذا المنكرات تكون ملازمة لنا؟

لا بدّ أن نعوّد أنفسنا على تغييب هذه المنكرات، إذا أنا كنت أرتكب منكرات، أرتكب ذنوباً، أرتكب معاصي: من غيبة، من نميمة، أو اعتداء على أعراض، أو نهب أموال، أو ما شابه من هذه الأمور، أنا لا بدّ أن أغيبها، اعتداء على الآخرين أغيبها، لا بدّ أن هذه العادة لا نبقها عندنا «الخير عادة والشر عادة، فعودوا أنفسكم على الخير»^(١)، لا بدّ أن نقتلع عادات الشر، نُصلح أنفسنا باقتلاع عادات الشر، هذه المنكرات نقتلعها، لا نسمح لها بالبقاء.

صحيح نحن استرسلنا مع الحياة، ونسترسل مع الأيام، لكن لا بدّ أن نلتفت، لماذا أنا أترك نفسي وأسترسل مع هذه الصفات السيئة، أسترسل مع المنكرات لماذا؟

لا بدّ أن أهذب نفسي، أربي نفسي، هذه هي التربية، هذه هي التزكية، هذا هو الإصلاح للنفس؛ أي أغيب المنكرات، أقتلعها، لا أقول لا يمكن، لا أقول: أنا تعودتُ عليها وماذا سيصلح؟

لا، إذا كان عندي إرادة تُقتلع: كل منكر عندي، كل صفة سيئة عندي،

(١) وردت الرواية في كتاب ميزان الحكمة: ج: ٤، ص: ٢٧٧٠، ح: ٣٥٥٤، عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بلفظ: «الْخَيْرُ عَادَةٌ وَالشَّرُّ لَجَاجَةٌ».

إذا كان عندي إرادة بإمكانني أن أقتلها، إذن لابد أن نعوّذ أنفسنا على اقتلاع المنكرات.

الصفة الرابعة: «حَاضِراً مَعْرُوفُهُ» نعوّذ أنفسنا على عمل الخير: صلاة الجماعة مثلاً أعود نفسي عليها، قراءة قرآن أعود نفسي عليها، ارتباطي بروايات أهل البيت عليهم السلام أنا أعوّذ نفسي عليها، خدمة الآخرين أعمال خير أعوّذ نفسي عليها، التعاون في البيت: مع زوجتي، مع أهلي؛ أنا كابن مع والدي مع والدي، أنا في البيت مع زوجي مع زوجتي، الأب مع أبنائه، مع جيرانه، في العمل؛ نتعاون هذا عمل الخير، هذا المعروف، حاضر لابد أن أقوم به، أكون في أي مكان أنا أشارك، لا أبقى يخدمونني ولا عمل لي، لا.

بل أنا أخدم الآخرين، وأتعاون مع الآخرين، وألتزم بصفات الخير: صلاة الجماعة أنا أول مَنْ أبادر إليها، التعاون مع الناس أنا أول مَنْ أبادر له، خدمة الضعيف أنا أول مَنْ أبادر له، إعانة الفقير أنا أعين أو ما شابه، أنا أكون من أهل الخير، أين ما يوجد خير أنا حاضر، معروف أنا أقدمه، معروف أنا ألتزم فيه.

«حَاضِراً مَعْرُوفُهُ» تراه في: صلاة الجماعة، في احتفالات الخير، في مجالس الذكر، في المواعظ، أين ما أكون، هناك أزمة يحتاج إلى فزع؛ تراه حاضراً يخدم، من دون حساب، ولا ينتظر الشكر، لا يريد إلا الجزاء من الله ﷻ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً^(١)، من الناس، لا يريد منهم، بل يريد الثواب من الله سبحانه وتعالى، هذا هو المتقي.

(١) سورة الإنسان: ٩.

الصفة الخامسة: «مُقبلاً خَيْرُهُ» دائماً وأبداً أعمال الخير تُنتظر منه، ويُعطىها؛ يأتي ويأتي معه الخير، «اللهم اجعلني مباركا أينما كنت» هذا «مُقبلاً خَيْرُهُ» متى ما كان، كان معه الخير، كان معه العطاء: يُعلّم الناس، ينصح الناس، يخدم الناس، يحب الناس، يُضفي السعادة، ويُعطي الأمل للناس، ويحل مشاكل الناس، وما شابه.

دائماً وأبداً يُدبر منه الخير، هذا الإنسان المتّقي؛ نُعوّد أنفسنا على هذا، أني أينما أذهب أقدم خيراً، أينما أكون: في بيتي، في معلمي، في مسجدي، في حارتي، في كلّ مكان، فكّر كيف تُقدّم عمل خير، كيف تُبدع عمل خير وتقدّمه للناس، في كلّ مكان، عوّد نفسك أن تعطي الخير، تذهب رحلة أعطي خيراً، فكّر ما هو الخير الذي تُقدّمه لهذا الجمع؟ في عملك فكّر ما هو الخير الذي تُقدّمه لهذا الجمع الذي معك؟

نصيحة، تهدي كتاباً، تُعطي شريطاً هذا عمل خير؛ خيره مُقبل، جاء وجاء الخير معه، شريط موعظة وإصلاح، كتاب يوجد فيه تثقيف وتوعية وإصلاح تُعطي، هذا الخير، أين ما تذهب الخير معك.

نحن حينما نتعوّد، يعني لو أنّ شخصاً عوّد نفسه من باب المثال، الحمد لله نحن الشريط عندنا بريال، لو أنّ شخصاً يومياً اشترى شريط، يومياً جاء بشريط وأعطاه شخصاً آخر، في عمله مثلاً هذا الشريط هدية، يوم ثاني أعطى شخصاً ثانياً، كلّ يوم ريال، هو عنده عمل، ٣٠ ريال في الشهر، وإذا عنده تعطيل أيضاً خميس وجمعة كلّها ٢٠-٢٢ ريال في الشهر؛ لكن هذا خير بأي مقدار كبير.

خيره مُقبل، يوم كتاب بريال، يوم مطوية مجاناً، يُعطي مطوية، قدّم عمل

خير، تفضل هذه مطوية.

أنا في تصوّري نحن بحاجة إلى أن نمارس الخير، أنا أين ما أكون أعطي الخير: مطوية، شريط، كلمة، مال، عمل؛ بالتالي أنا معطاء للخير من كل حذب وصوب.

الصفة السادسة: «مُدْبِرًا شَرُّهُ» حتى لو أخطأ شخص في حقّي، أنا أعفو عنه، أتجاوز عنه، لماذا؟

لا آتي أتربص به، وأردّ الكيل بالمكيالين، ليس مع هؤلاء المؤمنين وبعضنا البعض؛ نعم مع الأعداء ذاك جانب آخر، ذاك رد الشر، على العدو رد للشر؛ أمّا بالنسبة لبعضنا البعض نتمثل وقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١)، حينما يأتي شخص يسبني ويشتمني وما شابه، أنا لا أردّ السبّة بالسبّة، والشتمّة بالشتمّة، والغيبة بالغيبة، والنميمة بالنميمة، أو ما شابه.

لا، أنا لا بدّ أن أتجاوز هذه الحالات السلبية، أنا دائماً وأبداً إنسان صالح نقي، فلا أحد يتوقّع مني؛ حتى ذاك الذي يُخطئ في حقّي لا يتوقّع مني، حتى المخطئ، حتى الذي يعتدي، لا يتوقّع مني إلا الخير؛ هذا معنى «مُقْبِلًا خَيْرُهُ» لا يتوقّع مني أي أؤذيه، أي أتجاوز حدودي، عندنا قيم: «لا يُطَاعَ اللهُ مِنْ حَيْثُ يَعَصَى» سبني وشتمني أنا ليس فقط أسبه، بل أسب أمّه وأبوه! على ماذا؟

هذا خطأ، حتى لو لم أسبه؛ فبالتالي نعوّد أنفسنا على أن لا نرد على الجهّال بجهل مثل جهلهم، وإنّما نحن نتعالى على التصرفات المشينة، نتعالى عن

(١) سورة المائدة: ٥٤.

السباب المشين، نحن نعمل عملاً صالحاً؛ يوجد في مقابلنا جماعة يعملون عمل غير صالح، يُخربون هل نخرب مثلهم؟

لا، لا نعمل خراباً، لا نخرب، لا يتوقع منا تخريب، لا بد أن تكون هذه صفتنا؛ يعني حينما يُخرب الطرف الآخر، أنا لا يتوقع مني أن أخرب؛ يُفسد أنا لا يتوقع مني أن أفسد، هذا معناه «مُدْبِراً شَرُّهُ» لا يتوقع مني أي عمل سلبي، حتى لو هناك عمل سلبي؛ لا يتوقع مني العمل السلبي: عمل الشر لا يتوقع مني، الاعتداءات لا يتوقع مني، المعاصي والذنوب لا يتوقع مني، وما شابه من هذه الأمور لا تتوقع مني؛ هذا متى؟

حينما أنا أخلق بأخلاق أهل البيت عليه السلام، ولا أرد:

١. ذاك يقول «إياك أعني» يقول أهل البيت عليهم السلام: «وعنك أغضي»^(١)، لا يتوقع من أهل البيت عليهم السلام الرد السلبي.

٢. يأتي شخص ويأخذ عبادة الإمام، ويسخر منه، الإمام يدعه، لا يتوقع منه إلا الخير.

٣. يأتي شخص يسخر من الإمام، ويسبّه ويُعلّق عليه: «يا بقرة» الإمام يسكت عنه، ذاك يقول: «إياك أعني» الإمام يقول «وعنك أغضي»^(٢).

٤. ذاك الآخر يأتي يسبّ الأمير عليه السلام، الأمير يذهب يدخل المسجد يصلي ركعتين يستغفر له؛ هذه أخلاق أهل البيت عليهم السلام، لا يتوقع منهم إلا الخير.

(١) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب، ج: ٣، ص: ٢٩٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب، ج: ٣، ص: ٢٩٦.

٥. الرسول ﷺ حينما فتح مكة قال: ماذا أعمل بكم؟

يقولون: كريم وابن كرام.

يقول: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(١)، لا يتوقعون منه الشر.

٦. الإمام علي عليه السلام نفس الشيء حينما ينتصر، يقول «اذهبوا فأنتم الطلقاء»^(٢)، لا يتوقع منه إلا الخير، يعني يكون هناك مهزوم وعدو إذا كان منتصراً، ماذا يتوقعون منه عادة؟

يقتل ويذبح! لكن حينما يكون الأمير عليه السلام ماذا يتوقعون منه؟

يتوقعون منه العفو والصفح وما شابه، هؤلاء هم أهل البيت عليهم السلام.

فإذن أيضاً نحن بحاجة إلى أن نتخلق بهذه الأخلاق في واقعنا، ليس فقط نستأنس أن أهل البيت عليهم السلام مارسوها، نحن أيضاً لابد أن نمارسها؛ الآخرين الذين يُنافقوننا، الذين يسبّونا، ويُنافقون بجانب سلبي أيضاً، نحن لابد أن لا يتوقع منا إلا الخير، سلوكياتنا، ممارساتنا، لا يبدر منا إلا الخير.

هذه مجموعة من صفات المتقين، نسأل الله أن نُوفّق للتخلي بها؛ إنه سميع الدعاء.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

(١) بحار الأنوار، ج: ٤٤، ص: ٥، الإمامة والسياسة لابن قتيبة، تحقيق الزيني ج: ١، ص: ٨٩.

(٢) بحار الأنوار، ج: ٤٤، ص: ٥، الإمامة والسياسة لابن قتيبة، تحقيق الزيني ج: ١، ص: ٨٩.

﴿تأملات في خطبة المتقين (٣٥)﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين ذاكراً علامات المتقين: «فِي
الزَّلَازِلِ وَقُورٍ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٍ، وَفِي الرَّخَاءِ شُكُورٌ»^(١).

في هذا المقطع يذكر بعض العلامات وبعض الأمور:

الأمر الأول: في تقلب الأمور والشدائد والهزات التي تعترى المجتمع:
هزات اجتماعية، هزات ثقافية، هزات عقائدية؛ اعتقاد عظيم، موت الرسول،
موت الإمام المعصوم، موت المرجع؛ الإنسان أيضاً موت ابنه الذي يعتمد
عليه، الذي يؤمل فيه، في الحروب، حيث هناك حروب ضروس وما شابه.

هذه الأمور الخارجة عن الوضع الطبيعي الذي يسير عليه الناس، يوميات
الناس؛ هذه الهزات الكبيرة والعظيمة، هذه الشدائد، ما هو موقفه؟

وقور، ثابت، لا يضطرب، لا يهتز، لا يشكك؛ هذا المتقي لا تهزه الهزات،

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٢.

لا يتغير عن مسلكه، لا يتغير عن ثباته ودينه وقيمه، لا يأتي يُشكك في دينه، لا يتراجع عن قيمه وما شابه «وَقُورٌ» أي لا يضطرب، بل ثابت، هادئ.

«وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ» يفقد ابن، يفقد المال، يفقد الأحبة، يفقد أصدقاءه وما شابه؛ تكون الناس ضده، أصدقاؤه يصيرون ضده، أهله يصيرون ضده، المجتمع يصير ضده؛ تحدث له مطاردة سياسية، مضايقة اجتماعية، اختناق اقتصادي أو ما شابه من جميع أنواع المكاره، كيف يتعامل مع المكاره؟ أينهار ويضعف أمامها؟

لا، بل يقول صبور، يصبر، يتحمل، لا تُؤثر عليه، لا تُغير من مسلكه، لا تُغير من تفكيره؛ صبور.

«وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٌ» النعم: تُقبل عليه الدنيا، تصير عنده زعامة، عنده مال، أصدقاؤه كثر، شهرة، سمعة، الناس يحبونه بكثرة، أو ما شابه من الرخاء؛ فالدنيا أقبلت، الدنيا مقبلة عليه في كل شيء، أو في مجال من المجالات، كيف يتعامل؟ هل يكفر؟ هل يستعمل هذه النعم للكفر بالله، للاعتداء على الآخرين؟

لا، بل يكون شكوراً لله، لا ينسى الله؛ هذا الإنسان لا يتغير حينما تنفتح عليه الدنيا، وتأتية الأموال يترك المسجد، أو يفارق القرآن، أو يفارق الأحبة المؤمنين؛ لا، بل يبقى معهم مع هذه الأشياء يبقى، ويشكر الله؛ لأن هذه نعم من نعم الله، فيزداد عبادةً، ويزداد علاقةً مع القرآن، ومع الأحبة المؤمنين، ومع المسجد، ومع الصلاة؛ يزداد هذا الشكر، يزداد عبودية لله.

فإذن هذه صفات أو علامة المتقين:

العلامة الأولى: «فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ» لا يتبدّل، ولا يتقلّب، عنده ثبات وعدم اضطراب، وهدوء مهما كانت تقلّبات الشدائد.

العلامة الثانية: «وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ» إذا حدث ما يكره: يفقد الأشياء التي يتعلّق بها، يكره الإنسان أن يفقد أحبّته، يكره الإنسان الفقر، يكره ويكره ويكره؛ لكنه يصبر على البلاء، يصبر على تحمّل المكاره، لا يتنازل عن قيمه، لا يتراجع، بل يلتزمها؛ ليس لأنّه غني يلتزم ولأنّه فقير لا يلتزم، بل في كلا الأمرين يلتزم.

العلامة الثالثة: «وَفِي الرِّخَاءِ شُكُورٌ» حينما تكون النعم مقبلة عليه، أيضاً هذه لا تُخرجه عن الالتزام بالمسجد وقيم السماء، يُحافظ على تواضعه، على محبّته للآخرين، على تعاونه، على نزوله للساحة وما شابه؛ أيضاً يزداد عبوديّة وعطاءً لله مع النعم.

هذه صفات أو علامات، نحن أيضاً بحاجة إلى أن نتحلّى بها؛ دعونا نأتي ونرى أنفسنا، حينما تحصل هزات نفقد مرجعنا، كيف نتعامل؟

ثبات عندنا أو اضطراب، قيمنا نناساها أو لا زالت القيم حاضرة نلتزمها، لدينا انفعال وردود أفعال سلبية، أم وقار وهدوء وتفكير متأنٍ والتزام بقيم السماء وما شابه.

تحدث حروب، تحدث اضطرابات اجتماعيّة، يحصل ما يحصل، يحدث ما يحدث من تقلّبات شدائد في المجتمع، بأيّ نوع من الأنواع كانت، في مثل تلك الأحداث، هل الإنسان يتنازل عن قيمه؟

حروب، حرب ضروس يتقاتل فيها الجميع حتى المؤمنين، لا تقول

غير مؤمنين، بل يتقاتل المؤمنون؛ هذا ماذا؟ هل ينسحب من الساحة، أو يبقى ثابتاً ويلتزم بالقيم؛ أو يقول: (أنا ليس لي شغل بالتدين، ليس لي شغل بالعمل الديني)، أو يقول: (أنا أعمل وأصلح، هناك فساد، هناك خراب؛ أنا مسؤوليتي أن أصلح).

هذا التفكير الهادي، هذا الهدوء، هذا الوقار، هذا الالتزام؛ يلتزم بالقيم، لا يتراجع عنها مهما كانت التقلبات، ولو كانت حرباً بين المؤمنين؛ لا يتراجع عن الالتزام بالقيم وما شابه، ثبات وهدوء وما شابه.

فنحن لابد أن نكون بهذه الروح: مهما كانت الزلازل، مهما كانت الشدائد، مهما كانت الصعوبات، مهما كانت الهزّات؛ في جميع المجالات: اجتماعيّة، سياسيّة، ثقافيّة، دينيّة، عقائديّة، عسكريّة؛ أي هزّات أخرى، أي اضطرابات أخرى، لابد أن نبقي متشبّثين بالقيم، نتشبّث بالقرآن وما جاء في القرآن، نردّد ارتباطاً بالقرآن ونعمل بما جاء فيه، هذا نلتزم به، ويكون هو من باطنه.

الأمر الثاني: يقع مكروهاً:

أ. قد أكون محبوباً عند الناس، الآن الناس قد ترتفع محبتهم.

ب. أكون مشهوراً، الآن لا أكون مشهوراً!

نبي الله أيوب عليه السلام، كان نبياً والمجتمع يُحبّه، الأموال الطائلة عنده، والأولاد، والزرع، والضرع، من كل شيء عنده نعم وخيرات وصحة؛ كلّ هذه الأمور سُلبت منه، ما عدا النبوة طبعاً: الصحة سُلبت منه، المال سُلِب منه، الزرع والضرع والأولاد والمكانة الاجتماعيّة كلّ هذه سُلبت منه؛ هل

تراجع قيد أنملة؟

لم تزد تلك الأمور إلاَّ عبوديةً لله، بقي عبداً صابراً؛ لهذا نحن نقول: (يا صبر أيوب) نبي الله أيوب، لاحظوا المال الكثير الذي عنده سُلب، الضرع سُلب؛ ضرع: حيوانات ما شاء الله، القطيع وتلك الأيام القطيع هي مصدر الرزق وما شابه؛ والزرع سُلب، حرقت الزرع تلفت، أولاده اثنا عشر ابناً كلهم انتقلوا إلى جوار ربهم!

صحته ذهبت، يحتاج إلى مَنْ يخدمه، لم يبقَ معه إلاَّ زوجته؛ مكانته الاجتماعية ذهبت، ولم تبقَ إلاَّ زوجته فقط؛ بل جاؤوا له، قالوا لا نريده في المدينة أخرجوه خارجاً، وأخرجوه إلى أطراف المدينة، لا أحد معه!

بعد المكانة الاجتماعية: كان مضيفاً، الكل يُحِبُّه: يُعطي الفقراء، ويُساعد الضعفاء، وما شابه، لكن قضاء؛ ولهذا الله سبحانه وتعالى في الدنيا والآخرة أعطاه.

نحن بحاجة حينما تقع المكاره إلى أن نصبر، نرى صحتنا نفقدها، مالنا نفقده، أحببنا نفقدهم، أو ما شابه؛ كل هذه الأمور لا تجعلنا نتنازل عن القيم، نصبر على بلاء الله، ونلتزم، ونزداد التزاماً بالقيم.

الأمر الثالث: حينما يكون عندنا رخاء: تزداد سمعتنا، تزداد علاقاتنا، يزداد مالنا، شهرتنا تزداد، زعامتنا تزداد، لا أدري كذا يزداد، أي شيء، كلَّ شخص وحسبه، وكل شخص ومكانته، ماذا يكون وضعه؟

يصير عندنا بطر، نقول فراق بيننا وبينك: أيها المسجد، أيها القرآن، أيُّها القيم! لا، بل لا بدَّ أنَّا في الرخاء، في سعة النعمة، في سعة الفضل، هذه من

الله؛ فلا بد أن نزداد شكراً، أي نزداد عبوديةً.

ليس بمعناه الآن، وبالأمس كنت أعاني قليلاً من ظرف سيء، آتي التجأ إلى الله، بل في السعة أُلجأ إلى الله؛ ليس في الضيق أُلجأ إلى الله فقط، بل أُلجأ إلى الله في الضيق، وكذلك في السعة.

كما في الشدة في الرخاء، في اليسر وفي العسر، في الفرج وفي الكرب، في الكرب وفي الفرج، في كلاهما؛ في كلا الأمرين نلجأ إلى الله، ونرتبط بالله، ونزداد عبوديةً لله.

ليس إن كنت قوياً آتي أضرب ذاك، وأظلم هذا؛ لا، بل تبقى العدالة، وتبقى محبتنا للناس؛ الآن مثلاً صار لدينا سمعة، وصارت عندنا سلطة، وصار عندنا قوة؛ أي شخص يخالفنا نبعده، أي شخص يختلف معنا نعزله، أي شخص يختلف معنا نسقطه!

لا، بل حينما الله سبحانه وتعالى يُوسع بالنعمة علينا، وتكون لنا مكانة، ومحبة عند الناس، وقوة وما شابه؛ لا بد أن تُكرس تلك لخدمة القيم ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾^(١)، ما آتانا الله: من قوة، من نعم، من فضل، من سعة، من رخاء؛ هذه لا بد أن نُكرسها لله، في خدمة القيم، لا بد أن تكون كذلك.

لهذا نحن لا بد أن نتحلّى بهذه الروح، بهذه الأخلاقيات: الثبات، والهدوء، وعدم التنازل عن القيم، مهما كانت التقلبات: التشبث بالقيم، ونصبر على الالتزام بالقيم، ونصبر على ارتباطنا بقيادتنا، وبأهل البيت عليهم السلام،

(١) سورة القصص: ٧٧.

وبالقرآن.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾^(١)، نُصَبِّرَ بَعْضَنَا الْبَعْضَ ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾^(٢)، مع المكاره نصبر مهما كان، لا بد أن نصبر، ونتحمل؛ نصبر على الالتزام بالقيم، لا نتنازل عن قيمة واحدة، عن ذرة واحدة لا نتراجع مهما كانت المكاره، مهما كانت الضغوطات، مهما كانت الابتلاءات.

الأمر الرابع: حينما الله سبحانه وتعالى يُوسع علينا، وتصير عندنا قدرة وقوة وسعة، وما شابه، أيضاً لا بد أن نُكرِّس تلك القوة لخدمة القيم.

نسأل الله أن يُوفِّقنا لذلك، ونكون من الثابتين في الزلازل، والشدائد، والصابرين عند المكاره، والشاكرين في الرخاء؛ إنه سميع الدعاء.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

(١) سورة العصر: ١-٣.

(٢) سورة الكهف: ٢٨.

﴿تأملات في خطبة المتقين (٣٦)﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين يُبين العلامة المتقين منهم: «لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ، وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ؛ يَعْرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ»^(١).

في هذا المقطع يُبين الأمير عليه السلام بعض العلامات:

العلامة الأولى: الحيف: يعني الظلم، فمن علامة المتقي أنه لا يتجاوز حدوده حتى مع أعدائه: يبغض إنسان، يكره إنسان؛ لأن المؤمن لا يبغض إلا مَنْ يتجاوز قيم الله، لأن البغض في الله؛ حتى هذا الإنسان المشرك المُلحد الظالم الطاغوي المستهتر بقيم السماء، هذا الإنسان المتعجرف، مع كل ما فيه

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٢.

من سوء، إلا أن المتقي لا يظلمه ذرة واحدة، يبغضه، لكنه لا يظلمه.
«لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ» فبالتالي بغضه لا يخرج عن القيم، بغضه وكرهه
لهذا الإنسان لا يُخرجه عن العدالة، يُمارس العدالة حتى مع أعدائه.
«وَلَا يَأْتُمُ فِيمَنْ يُحِبُّ» كذلك في المقابل حب في الله: يُحب مرجعه، يُحب
والده، يُحب والدته، الأم تُحب ولدها وما شابه؛ هذا الحب لا يجعله يأثم،
يرتكب المعاصي، ولا يتركه يقف مع مَنْ يُحب حتى لو كان مُخطئاً؛ حبه لهذا
الإنسان لا يجعله يتجاوز العدالة.

هذا الإنسان الذي يُحبه إذا تجاوز حدوده يقف ضده وليس معه، ينصره
بالوقوف أمامه، هذه النصرة، لا يسترسل، وبالتالي هذا أيضاً يُري صاحبه لا
يشجعه على ارتكاب الإثم والمعاصي؛ بل يُحب هذا، الأم تُحب ولدها، لكن
لا ترتكب معصية من أجل إرضاء الولد؛ الولد يُحب أباه ويُحب أمه لكنه لا
يرتكب معصية من أجل إرضاء الأب أو الأم.

الإنسان المُقلد يُحب مرجعه، لكن حبه للمرجع لا يجعله يتعدى على
الآخرين إرضاءً لمرجعه، أو لجماعته، أو لحزبه، أو ما شابه؛ حبه لا يُخرجه عن
العدالة، لا يجعله يعتدي على الآخرين، ولا يجعله يرتكب المعاصي إرضاء
لمَنْ يُحب وما شابه.

«وَلَا يَأْتُمُ» لا يرتكب ذنباً، لا يرتكب معصيةً، لا يتجاوز «فِيمَنْ يُحِبُّ».

العلامة الثانية: «يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ» الإنسان مسؤول، إذا
رأى خطأ من إنسان واعتدى على إنسان آخر، يقول له: أنت اعتديت، لا
يحتاج أن يشهد زوراً؛ أو يأتي ينشئ محكمة، وتعال اشهد، بل يقول فلان هو

المُخطئ.

إذا كان هناك حق، يعترف به، لا يحتاج أن يقول له أحد تعال اعترف بالحق، لا ينتظر الآخر أن يُطلب منه الاعتراف حتى يعترف، قبل أن يُطلب منه يعترف بأنّه هذا حقّ، ويشهد على أنّ هذا حق.

مسؤول، يرى نفسه مسؤول عن إشاعة الحق، بث الحق، نشر الحق، وما شابه؛ فهو يعترف بالحق، يقول هذا حق، سواء كانت قيم سماوية، أو خصومة بين طرفين أو ما شابه، يقول هذا صح وذاك خطأ، هذا حق وذاك باطل، هذه قيمة حق يُحب أن تُنشر، ينشرها، يدعو إليها.

«قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ» لا يحتاج أن يأتي أحد ويقول له: تعال يا فلان اصدع حتى هو يأتي يصدع، بل يصدع بالحق؛ وإذا شهد خصومة بين اثنين، يقول فلان هو مُخطئ، لا يحتاج أن يُقال له تعال اشهد، بل يقول فلان مُخطئ، يقول لذاك المُخطئ أنت مُخطئ، لا تتجاوز حدودك، ألزم نفسك، ألزم حدودك؛ هذه علامات المتّقين: على الإنسان أن يُحافظ على عدالة ممارساته، والمسؤولية.

نحن أيضاً لابدّ أن نتحلّى بهذه الأمور، بهذه العلامات: أنّه حينما نبغض الإنسان الآخر، بغض إنسان في الله، ليس الإنسان المؤمن.

الإنسان المؤمن لا يحقّ لنا أن نبغضه، إنسان مؤمن لا يجوز أن نبغضه؛ وإنّما ذاك الملحد، ذاك المشرك، أو الظالم، العاثر حتى لو عليه عمامة، هذا ظالم عاثر، هذا خرج عن الإيمان الحقيقي هذا أبغضه في الله: ذاك لأنّه ملحد، وذاك لأنّه مشرك، وذاك لأنّه ظالم، وذاك لأنّه عاثر؛ فأنا أبغضه في

الله، لكن هذا البغض لا يُخرجنا عن العدالة، لا أبغضه بدل الضربة أعطيه مليون ضربة! لا، كل شيء له حدود، لا يُؤدّي إلى الظلم.

بل أنا أبغض هذا الفعل، لكن هذا الفعل جزاؤه بهذا المقدار من الجزاء لا أتجاوز ذلك، هذا الفعل أبغضه؛ قد يكون جزاؤه أن أردعه بكلمة، ليس أمسكه وأكسر رأسه، وأكسر رجله، وأكسر جسمه وبدنه؛ لا، فلماذا هذا البغض؟

هذا البغض والموقف منه يتطلب كلمة، لا بدّ أن نلتفت، ونلزم حدودنا؛ فلهذا بغضنا هذا العمل، بغضنا هذا الفعل، بغضنا هذا الإنسان لفعله، أو لمعتقده أو ما شابه؛ لكن البغض لا يُخرجنا من العدالة، لا يُؤدي بنا إلى الظلم؛ يتعدّى على الآخرين، لا يحقّ له، أنا لا أقبل أن يأتي أحد يتعدّى عليّ، لا تتعدّى على أحد، لا أقبل أن يظلمني أحد، لا أظلم أحد.

الظلم قبيح في كل الموارد، حتى ظلم العدو قد يكون كذلك، أن تظلم عدوك عمل قبيح، غير مطلوب وغير مستحسن؛ الظلم مرفوض في كلّ الحالات، لا يوجد مفردة من مفردات الظلم إلا وهي قبيحة، ما دام ظلماً فهي قبيحة، لا يوجد؛ فلا بدّ أن نلزم العدالة، لا نتجاوز حدودنا.

الجانِب الآخر حُبنا أيضاً لا يُخرجنا عن توازننا، نحن حينما نُحبّ هذا المرجع، نُحبّ هذه الجماعة، نُحبّ هذا الإنسان، نُحبّ هذا القريب؛ هذا الحُبّ لا يجعلنا نرتكب المعاصي، ونتعدّى على الآخرين، ونسقط الآخرين، ونقف مع مَنْ نحبّ حتى لو كان خاطئاً:

١. شخص يُحبّ ولده، يأتي شخص يشتكي على ولده، يقول ولدي لم

يفعل، ولده فعل الخطأ، يقول لا؛ حبه لولده يمنعه من تصديق ما فعله الولد، أو ما شابه الأم بهذه الطريقة؛ بل لا يّتهم الآخرين، ولده أخطأ يؤدب، إذا جماعتي أخطؤوا، يؤدبون.

٢. الجماعة التي أصلي معهم، أنا حبي لهم يجعلني أتهم الآخرين، وأبرر كل أخطائهم؛ لا، أخطؤوا خطأ، لا أبرر.

٣. الجماعة الذين معي في الديوانية، أنا حبي لهم يجعلني أسايرهم في ارتكاب المعاصي؛ لا، خطأ، حبي لهذا الجمع الذي أعيش معه لا يعني أنني أرتكب الذنب، لا ينفعني هذا الحب.

حيناً إذن لمن نحب لا يُخرجنا عن توازننا، والتزامنا بالقيم؛ لا نجعل الحب يُبعدنا عن القيم، بل لابد أن يكون الحب في الله، حتى من جانب القيم.

العلامة الثالثة: التي لابد أن نتصف بها: نحن مسؤولون أن نصدع بالحق.

لا يحتاج أن يأتي شخص يقول لنا: اذهب اعترف بالحق، اذهب كذا؛ لا، أنا لابد أن أتحمل مسؤولية، لا يحتاج أن يقول لي أحد: تعال أنت رأيت فلان، تعال اشهد؛ بعض الأوقات شخص رأى، قال: أنا ليس لي شغل.

رأى أمام عينه، فلان ظالم وفلان مظلوم، يقول له تعال، يقول ليس لي شغل، لا؛ أنا لا أحتاج أن يقولوا لي تعال اشهد، أقول نعم، حينما يحدث شيء أنا أذهب أبادر، أقول: نعم.

يقولون: (ملقوف) ليقولوا: (ملقوف) دفاع عن الحق (ملقوف!) يقولون: (ليس لك من لقافة) لماذا ليس لك (من لقافة)؟ إذن ما هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

أي كلمة قال: (ليس لك من لقافة!) فلا أذهب لكي لا يسمّوني (ملقوفاً)، هذه العقلية عند بعض الناس؛ لا، أنا مسؤول، لا بدّ أن أكون حكيماً في مسؤوليتي في شهادتي وما شابه، حتى لا أهان، وحتى لا أهين؛ حتى لا أكون في معرض العداء وما شابه.

حينما يكون هناك تجاوز لأحد أو ما شابه، أو هناك تجاوز للقيم؛ أنا لا بدّ أن أدافع عن القيم، أدافع عن الحق، أنا أبادر، روح المبادرة، روح المسؤولية تكون عندي لنشر الحق، للدفاع عن الحق، للدفاع عن أهل الحق، لبيان الحق مهما كان؛ هذا هو الذي لا بدّ أن نتصف به، هذه الروح لا بدّ أن تكون عندنا. لو تخاصم اثنين، لو إنسان ارتكب منكراً، لو إنسان أراد أن يُخفي حقيقة، لو المجتمع تكاسل عن الالتزام بالقيم؛ أنا لا بدّ أن أبادر لنشر القيم، للالتزام بالقيم، لبيان القيم، لنشر القيم، لبيان الظالم والمظلوم وما شابه؛ لا بدّ أن نتصف بهذه الصفات.

فإذن لا بدّ أن نحافظ على توازننا: بغضنا لا يخرجنا عن العدالة، ولا يؤدي بنا إلى الظلم؛ وحبنا لا يُخرجنا أيضاً عن توازننا، فلا يؤدي بنا إلى ارتكاب المعاصي، أو إرضاء الحبيب ظلماً وزوراً ومن دون حق؛ وكذلك لا بدّ أن تكون عندنا روح المبادرة، والمسؤولية في بيان الحق، والدفاع عن الحق، والدفاع عن أهل الحق.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

تأملات في خطبة المتقين (٣٧)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين ذاكراً علامات المتقين: «لَا يُضَيِّعُ
مَا اسْتُحْفِظَ، وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ، وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ، وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ، وَلَا
يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ»^(١).

في هذا المقطع يُبين الأمير عليه السلام مجموعة من العلامات التي يتحلّى بها
المتقي، وتُرى في سلوكياته:

العلامة الأولى: الأمانة: سواء الأمانة على القيم، على الدين، على الأموال،
على الأملاك، على الأعراض؛ فهو أمين على كل شيء، لا يُضَيِّعُ، فهو يُؤدّي
الأمانة.

فأعراض الناس أمانة في رقبته، لا يعتدي عليها؛ وأموال الناس أمانة عنده
لا يُضَيِّعُها، وهكذا؛ وقيم السماء والدين والتوحيد هذه أمانات لا يُضَيِّعُها،
يحافظ عليها، ويُجذّرها، ويُعمّقها.

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٣.

العلامة الثانية: الحضور والذكر وعدم الغفلة: «وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ» الإنسان تارة يتغافل، وتارة يتناسى، وتارة الأمور حاضرة، أمور لها أهمية؛ ليس إنساناً ينسى ما عليه، ينسى الأمور التي ترتبط به، وإنما هو حاضر ذاك.

وبالتالي لا يخشى الإنسان من التعاطي مع هذا المتقي، فأماناته محفوظة، وأقواله محفوظة، ومواعيده محفوظة، وما شابه لا ينسى شيئاً أبداً.

العلامة الثالثة: يحترم الآخرين: احترام الإنسان، لا يستصغر الناس، لا يحتقر الناس، لا يزدري الناس، لا يستنقص الناس، لا يُنابز بالألقاب، لا يذكر إنسان بما ينقصه؛ هذه حالات تحدث، إذا كان لديك خلاف مع شخص، وعندك في نفسك شيء، تُنزل من قدره؛ فأنت تذكر اسم يستنقصه!

هذا المتقي لا، لديه احترام الصغير والكبير، حتى الصغير لا ينبذه، هذا الطفل الصغير يدعوه باسمه، وهذا الكبير يُسميه، وهذا الآخر يدعوه بما يرتاح إليه من اسم وهكذا؛ فإذا عنده احترام الإنسان، وذكر اللفظ الحسن، يُخاطبه بلفظ حسن.

العلامة الرابعة: الأمان وعدم الإضرار بالآخرين: تارة جارك مُتأذي منك، أو أنت مُتأذي من جارك، يعني الجار لابد أن يكون عوناً للإنسان؛ المتقي لا يُضار بجاره، بل ينفع جاره، له منفعة يأتي منه النفع والخير لجاره، للناس فضلاً عن جاره.

فبالتالي هذه علامات المتقي: أن الجار مهما بدر منه من سوء إلا أنه لا يرد السوء، بل لا يضر جاره، بل يفعل ما فيه خير ومنفعة لهذا الجار؛ جاري

مؤذي لي بوقفة سيارته، جاري مؤذي لي بالإزعاج، جاري مؤذي لي لا أدري كذا؛ لكن مع ذلك لا يذكر جاره إلا بخير.

جار مؤذي مزعج، لكن مع ذلك المتقي لا يؤذي هذا الجار؛ لأن الجار هذا مثله مثل الزواج، حياة شبه دائماً في هذه الدنيا جيرة؛ فبالتالي يسمى الجار لأنه مثل الذي يستجير بك، فلا يمكن للإنسان المتقي أن يؤذي هذا الإنسان.

العلامة الخامسة: حتى العدو، حتى الظالم الذي يؤذيه، حتى هذا لا يشمت به حين المصيبة؛ يعني حينما تكون مصيبة لمن يُعاديهِ، لمن يؤذيه؛ هناك مصيبة تُضعفه، تجرح قلبه، لا أستغل هذا الضعف، وأشمت فيه، هذا المتقي.

(أي صار ذاك، جيد ما حدث فيه، حوباتي، وإن شاء الله يحدث أعظم!) لا يشمت به، بل يُواسيه؛ يُواسيه في مصيبته، هذه روح التقوى، ليست روح وحالة الضغائن داخل القلب والأحقاد، بل حتى العدو الذي يكره في الله حينما تنزل عليه المصيبة يُواسيه، لأنها حالة إنسانية «[الناس] صِنْفَانِ: إِمَّا أَحَبَّ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمَّا نَظِيرُكَ فِي الْخَلْقِ»^(١)، هذا ما دام التشابه في الخلق، معناه ماذا؟

عنده أحاسيس ومشاعر، يتحسس ويتألم، مثلما أنت حينما تكون عندك مصيبة، هنا يُجرح قلبك، وتحتاج إلى مَنْ يُواسيك وتتأذى؛ حينما شخص يؤذيك، أو يذكرك في مثل هذه الحالة، يستغل مصابك، وأنت تتأذى نفس الشيء الآخر.

(١) نهج البلاغة، ص: ٦٩٦، تحف العقول ص: ١٢٧.

هذا المتقي عنده إحساس، ضميره حي، يقط، يشعر بالآخرين، فبالتالي لا يشمت بأحد عند مصيبتة.

هذه علامات المتقين، ونحن أيضاً حري بنا أن نتحلّى بتلك العلامات، تنعكس تلك العلامات على واقعنا، وهذه الأمور دعوة إلينا أيضاً نحن.

* رؤى من هذا المقطع:

دعونا نلاحظ هذه العلامات، نعكسها على واقعنا حتى نرتقي في درجات المتقين:

الرؤية الأولى: نكون ونتصف بالأمانة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾^(١)، ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ ماذا كان الرد؟

﴿فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ مَنْ الذي حملها؟

أنا وأنت ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ لكن هل أدى الأمانة؟

يوجد أناس كثر ضيعوها، لهذا يقول القرآن ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾^(٢)، لم يعرف قيمة الأمانة، لم يصنها؛ فلهذا الأمانات منها:

١. التوحيد، وقيم السماء، ومبادئ الرسالة؛ هذه لابد أن نحافظ عليها.

٢. أمانات الناس، حينما يأتوننا عليها، لابد من المحافظة عليها.

٣. أعراض الناس أمانة: هؤلاء البنات حينما يخرجن في الطريق، هذه

(١) سورة النساء: ٥٨.

(٢) سورة الأحزاب: ٧٢.

أمانة في رقبتني، أنا لابد أن أحفظ عرضهم.

٤. جاري أمانة: ماله، وملكه، وعرضه أمانة.

٥. المجتمع أمانة، نحن محاسبون عليها؛ لاحظوا الأمير عليه السلام، ولاحظوا كيف الأمانة؟

يقول: لو كانت نملة أنا مسؤول عنها! نملة مسؤول عنها! أمانة في رقبتني، فما بالك بالبشر! هؤلاء الناس أمانة: ابني أمانة، أخي أمانة، أبي أمانة؛ الله سبحانه وتعالى يقبضها فيسترّد الأمانة، هذه أمانات؛ كيف تتعامل معها؟ هل نُضيّعها؟ هل نُضيّع الآباء؟ هل نُضيّع الأب والأم؟
يوجد أناس بالفعل يُضيّعون آباءهم مع الأسف!

أنا رأيت مع أحد الأخوة هنا في البلد! واقع يُدمي القلب! في عز الصيف، في الظهيرة؛ كنا خارجين مع أحد المشايخ من الخارج، ليس من البلد؛ كنا خارجين، رأينا رجلاً كبيراً، خرج من بيت، يعني عمره أعتقد قريب الثمانين أو في السبعينات!

يمشي على عصاه أم أربع، هذه الحديدية أم الأربع، يمشي ومشيته مثل ديب النمل؛ خارج من باب يمشي، في الظهر شديد الحرارة! سأله: يا حاج إلى أين ذاهب؟

في هذا الظهر بطيء، هو بحد ذاته الإنسان القوي - في الظهر - يضعف، فكيف هذا الرجل المسكين؟ أين ستذهب يا حاج الآن في هذا الظهر؟

قال سأذهب بيت ولدي لأتغذى!

قلت: تعال نُوصلك!

هذا الأب أليس أمانة؟ هذا الولد أين هو من أبيه ليقطع مشواراً ليتغذى؟
أوصلناه مشواراً لا بأس فيه، يعني لو تركناه يحتاج ساعة زمان حتى
يصل، على قدر مشيته المسكين! هذا أليس أمانة؟

بعدما ربّى ابنه، هذا البيت الذي يجلس فيه المسكين، وذاك الولد الجالس
في قصر! وهذا الأب أليس له قيمة؟ أليس عيباً؟ هذا أليس أمانة؟
رقاب كثيرة في رقبتنا، هل نُضيعها؟

٦. الأبناء، أو نحن غداً حينما يصير عندنا أولاد؛ هذه الأولاد أمانة، هل
نتركهم في الطرقات؟

رأيت مرة طفلة (بحفاظتها) في الشارع العام، في آخر الليل! أليست هذه
أمانة؟

٧. أخي حينما أنا أراه ضائعاً، وتاركاً له، هذا أليس أمانة؟

أخي أنا مسؤول عنه أيضاً، عن إصلاحه؛ وهكذا بقية الناس، هذه
أمانات، نحن مسؤولون عنها، لا نُضيعها، لا بدّ أن نحفظها ونرعاها، هذه
علامة المتقين.

الرؤية الثانية: الذكر والخضوع: -قد أكون ذاكراً- عند الصلاة، لكن
أنسى حقوق الناس، وأنسى حق والدي، أنسى، وأنسى، وأنسى وما شابه؛
وعدي أنساه، وعهدي أنساه، بل وأتناساه؛ لا، أنا أذكر، لا بدّ أن أذكر

الفطرة التي فُطرت عليها ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾^(١)، لا بدّ لا أنسى، لأنني لو نسيت اليوم، ينساني الله يوم القيامة ﴿فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾^(٢)، الله سبحانه وتعالى يقول، لماذا؟

غفلت، لكن أنا ذكرت هنا؛ إنسان يُريد أن يرتكب ذنباً، قلت له: فلان التفت!

إنسان يريد أن يعمل شيئاً، أقول له: يوجد جنة ونار!

حينما شخص يُذكرني أنذكر، مثلاً: أغتاب فيأتي شخص يقول لك: يا فلان الغيبة حرام! أنا كنت غافلاً، لكن الآن هو يُذكرني؛ هل أنسى أيضاً، أم أعاند؟

لا بدّ أن نشكره، يُذكرنا إنسان بشيء نقبل، هذا ما فُطرنّا عليه، الفطرة الخالصة الصادقة، لا بدّ أن تكون حاضرة، لا ننساها، وإلاّ شخص إذا نصحني، أنا أتعجرف! يُذكرني، يعمل لي الخير «أحبّ إخواني إليّ مَنْ أهدى إليّ عيوبِي»^(٣)، بل أنا أتناسى! لأنه إذا كنت متّقياً أقبل.

لهذا نحن بحاجة إلى أن نقبل التذكير، نتذكّر أنّه يوجد جنة ونار، يوجد قيم مغروسة لا يمكن أن تُقتلع تحاكمنا في الدنيا والآخرة؛ أتغافل يأتي شخص يُذكرني.

فلهذا لا بدّ أن نكون بهذه الروح: نتذكّر، لا ننسى، لا نتغافل؛ فرأس مالنا

(١) سورة الغاشية: ٢١.

(٢) سورة الأعراف: ٥١.

(٣) مستدرک سفینه البحار، للشيخ علي النمازي، ج: ١، ص: ٧٢.

الإيمان، إذا خسرناه خسرنا كل شيء، رأس مالنا الجنة حصلنا عليها جيد، لم نحصل عليها انتهى وانتهت! كل كيانا انتهى، عذاب لا ينتهي ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾^(١)، زحزحة فقط.

لهذا نحن نحتاج إلى أن نتذكر أنه يوجد جنة ونار، لا نغفل وننسى؛ نذكر الموت «اذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَاتِ»^(٢)، حينما أرى جنازة، هنا هذه تُذكرني، هل أنسى الموت؟

لا أنسى، أذكر الموت، هذا معناه -الذكر-، الله سبحانه وتعالى يقول: أنا أذكرك، لاحظوا هذا رسولي إليك، هذا معناه الموت، هذه العلامة، وليس (اذكر الله يا غافل) وأنا غافل! أنا أغفل وأناادي (اذكر الله يا غافل) أم أنا اذكر؟

أنا أذكر -نفسي- هذه الجنازة، (هذا رسولي)؛ أنا ممكن في هذه اللحظة أموت!

يوجد شاب توفي، الرجل غسله، بعد أن غسله انتقل إلى جوار ربه، أتى له، وكأنه يقول لك: هذا آخر رسول إليك، هذا كان تذكير إليك!

الله سبحانه وتعالى يقول هذا آخر رسول إليك من البشر، إذا ذكر فاز بها. نحن بحاجة إلى أن نذكر هذه الموعظة: «عَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْمَوْتِ كَيْفَ يَفْرُحُ؟ ... وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَيْقَنَ بِالْحِسَابِ كَيْفَ يُذْنِبُ»^(٣)، هذا هل يتيقن؟

(١) سورة آل عمران: ١٨٥.

(٢) ميزان الحكمة، ج: ٤، ص: ٢٩٦٤.

(٣) جامع الأخبار، لمحمد الشعيري، ص: ١٣١.

هل يتذكّر؟

«اذْكُرُوا هَادِمَ اللَّذَاتِ»^(١)، هذا، فإذا نحن نتذكّر ونستذكر نتجاوز المعاصي والذنوب، نُصحح مشوارنا.

الرؤية الثالثة: لا ينافر بالألقاب، أنا أبحث عن كلمة معيبة أنقص بهذا: (حسنوه)، (علووه) ولا أدري!

يوجد قصة نُقلت مع الأسف الشديد! حينما يسمع شخص مثل هذه الأشياء، يقول الأمة إذا كان فيها مثل هؤلاء النماذج هل تتقدم؟

أتوا إلى أحد العلماء، في قضية فلان كذا، وفلان عالم أيضاً، لو يكون كذا، قال: هذا، مثلاً اسمه (علووه) تنقيص بالاسم، ليس أيضاً قال شيخ أو سيد مثلاً! لأنّه مثلاً يختلف معه في أمر ما، ليست قضية دين! لا، بل مثلاً يقول (علووه)، (حسنوه) هذا المعمم الذي ينبغي أن يكون لفظه حسن، ويحترم شخصية الآخر، ويُحافظ على شخصية الإطار الاجتماعي الداخلي!

ولهذا تربي على عدم الغيبة، وعلى عدم النميمة، وعلى عدم الازدراء، وعلى عدم السخرية، وعلى عدم التنازع بالألقاب ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾^(٢)، ترجع إلى علامة الفسق: الخروج عن القيم.

لهذا نحن بحاجة إلى أن نحترم الآخرين: أسماءهم، شخصياتهم؛ الإنسان الذي يتجاوز حدوده، ذاك هو تجاوز، كلامنا نحن لا بدّ أن يكون عندنا احترام لبعضنا البعض، ونرفع من مكانة بعضنا البعض، وليس هذا نُسقطه

(١) ميزان الحكمة، ج: ٤، ص: ٢٩٦٤.

(٢) سورة الحجرات: ١١.

ونزدريه باسمه وما شابه، فهذه لابد أن تكون أخلاق المتقي، ونحن كمتقين لابد أن نحترم هذا الإنسان.

الرؤية الرابعة: جيراننا: يا جماعة دعونا نعمّق علاقتنا بجارنا، وننفع جيراننا؛ أما كلّ يوم آتي أوذي أولاده، أوذيّه هو، أوذي زوجته، أوذي بناته، عرضه أنا أعتدي عليه؛ لا، لماذا جاري يناله مني الضرر؟

الجار من الاستجارة، أنا أستجير بالله، الجار مأخوذ من الجيرة؛ يعني أستجير به، وهو يستجير بي: يعني أنا أحميّه، وهو يحميني، جاري هذا: يعني أنا حماية له، كيف أنت شخص يقف ويحميك في قبال الأعداء؟

مأخوذة من الجوار، حينما يكون أمامك وما شابه، فتصير قريب؛ فهذا يستجير بي، وأنا أستجير بالله: يعني قريب من الله، إذا اقتربت من الله، مَنْ يقدر عليّ؟

لا أحد يقدر، فيستجير بالجار؛ فبالتالي هذا الجار، بدل لابد أن أجيره، هل أضرّه؟

حتى لو لم يكن عنده شيء، دعني أنا أكون صاحب الفضل: أحفظ عرضه، أحفظ شخصه، أحفظ سمعته، وما شابه، فأكون جارا نافعا.

فهذه علامة المتقين، دعنا نكون ممن نخلق روح جيرة نافعة، أنا أكون جارا صالحا، أنا أكون الجانب الإيجابي: أنا الذي أجيره، وأدافع عنه، وعن عرضه، وماله، وسمعته، وما شابه.

الرؤية الخامسة: حينما يختلف معي شخص، بل حتى العدو، هل نشمت فيه؟

تارة يوجد شخص ظالم طاغي - أعماله سيئة - يذهب لنار جهنم وبئس المصير، تارة شخص قضايا شخصية، أو تارة شخص يختلف معي في المذهب، لكن عادي؛ ليس عندي معه عداوة، ليس شخصاً يحمل راية ضدّ الدين، ويُحارب الدين، ويُحارب مذهبي، أو ذاك يُحارب ديني وما شابه، بل إنسان عادي مسكين، أو شخص على خلاف معي، وتحدث عنده مصيبة، أنا آتي أتشمت فيه! هل هذا من الخلق، حالة ضعف وانكسار وأنا آتي أتشمت فيه؟

لا، هذا ليس إنسانياً، وهذا حق الإنسان أن يختلف معنا؛ مثلاً عندنا حزبيّة مرجعيّة، في قبال حزبيّة مرجعيّة أخرى، مرجع ممكن أتشمت به أعوذ بالله! هذه حالات موجودة بين المتدينين، مرجع يدعو إلى أهل البيت عليهم السلام، فقط لأنه ليس مرجعك تشمت به أو بجماعته!

في الماضي كان، أو غيره يكون، وما شابه على ماذا هذا؟

نحن لا بدّ أن نتألم لمصاب إنسان مؤمن، حتى لو اختلفنا معه، فلا تكون عندنا هذه الحالة، التشمت بأحد عند مصيبته.

نسأل الله أن نوفق لأن نتحلّى ونتخلّق بعلامات المتّقين؛ إنّه سميع الدعاء.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

تأملات في خطبة المتقين (٣٨)

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين ذاكراً علامات المتقين: «وَلَا
يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ، وَلَا يُخْرِجُ مِنَ الْحَقِّ.
إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغْمَهُ صَمْتُهُ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَغْلُ صَوْتُهُ، وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ
حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ»^(١).

هذه بعض علامات وسلوكيات الإنسان المتقي:

العلامة الأولى: يمتنع عن الدخول في الباطل: هناك فئة باطلة، هناك
جماعة يعملون الباطل، هذه الأفكار باطلة، هذه الطريقة باطلة؛ هؤلاء
يترفعون ويتعالون عن الدخول في أمثال تلك الأمور، الباطل مرفوض
مفقوت عندهم بجميع أشكاله وألوانه.

العلامة الثانية: «وَلَا يُخْرِجُ مِنَ الْحَقِّ» يلزم جماعة الحق، قيم الحق، فكر

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٣.

الحق، لا يتنازل عنه.

هاتان الصفتان تُعبّران عن روحية: وهو أنّ العصبية لا تُدخله إلى الباطل،
والعصبية لا تُخرجه من الحق؛ يعني لا يتبع عصبته.

يعني تارة الإنسان يتعصب لعائلته، يتعصب لحزبه، يتعصب لجماعته،
فيدخل الباطل؛ هنا يقول الإنسان المتقي يتمسك بالحق، لا يجعل الحزبية أو
العائلية أو الفتوية أو ما شابه هي الأصل؛ بالتالي يُخرجه من الحق، أو يُدخله
في الباطل.

أنا مع جماعتي، حتى لو كانوا في باطل أدخل معهم! المتقي لا، أنا مع هذه
الجماعة خرجوا من الحق أخرج معهم، المتقي لا.

وهذا يحدث في كثير من الأمور، هذه الحالات تحدث ولو بقدر نسبي:
يدخل في باطل، أو يخرج من حق، تعصباً لفئة أو ما شابه.

يعني آتي من باب المثال: يحدث في المكان الفلاني عركة، بين شخص
من العوامية، وآخر ليس من العوامية، وأنت مباشرة تقف مع الذي من
العوامية، وتدخل وتضرب ذاك، هذا دخول في الباطل، عصبية.

علاقتي بهذا الإنسان باعتبار أرض العوامية، لا تجعلني أدخل وأظلم
الناس، وأدخل في الباطل أو ما شابه.

فهذا لا يذهب ويقول: يا الله ضربني أو ما شابه، المتقي قضية الحق والقيم
هي أكبر من علاقته، سواءً: من عائلته، لو كان ولده، أو أخوه؛ لا يُدخله في
باطل، كذلك لا يُخرجه من الحق.

العلامة الثالثة: إذا تطلّب الوضع أن يصمت، لمصلحة الدين هو يصمت، إذا أراد أن يُحافظ على مصلحة الدين أن لا يتكلم، صمت في هذا المورد تقيّة.

كما كان أهل البيت عليه السلام يتقون، كان التكليف الشرعي أن يصمت في هذا المورد تقيّة، هل هذا الصمت يسبّب له حالة نفسيّة: غم وهم أو ما شابه؟ يقول: لا، ما دام هذا تكليف شرعي، يعني بمعنى آخر: لا يُحبّ ثرثرة الكلام، أو بمعنى أدق: لا يتكلم حبّاً في الكلام، وإنّما يتكلم ويُبلّغ باعتباره أنّه مُكلّفٌ بتبليغ الرسالة؛ فإذا كان المورد لا يتطلّب الكلام، هذا لا يُغيّر عليه شيئاً، لأنّ القضية قضية تكليف، وأمر، ومصلحة دينيّة.

المصلحة الدينيّة تتطلّب منه أن يتكلم أربعاً وعشرين ساعة، يتكلم أربعاً وعشرين ساعة، المصلحة الدينيّة تتطلّب منه أن يصمت أربعاً وعشرين ساعة، يصمت أربعاً وعشرين ساعة، وهكذا تطول أو تقصر.

فإذن إن صمت لمصلحة دينيّة، هذا الصمت لا يسبّب له مشكلة نفسيّة: غم وهم وما شابه.

العلامة الرابعة: «وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْ لُ صَوْتُهُ» يحدث شيء، يدخل الأنس في نفسه؛ جالس رأى شيئاً يدخل الأنس، هنا يُحافظ على توازنه، يتسم أو إذا ضحك يضحك بهدوء، فالوقار يُحيطه.

ألا تلاحظ توجد ضحكة (كاكاكاكا) وأنت جالس هنا وعلى بُعد واحد كيلو متر تسمع تلك الضحكة! هذا خروج عن التوازن، هذه خفة!

الإنسان المتقي إذا ضحك لا يعلو صوته، يُحافظ على وقاره وعلى توازنه،

يعني هذا لا يجعله في حالة طرب أو ما شابه، فرح في حدوده.

في روايات أخرى: الفرح لا يحول الإنسان المؤمن أو المتقي إلى طرب وبطر وما شابه، فبالتالي يُحافظ على وقاره، يدخل في نفسه الأنس، ليس إنساناً (بغمي) وكتوم، ولا تخرج منه لا ضحكة، ولا بسمه، ولا شيء أبداً، تجد هذا وجهه مكشراً، ولا ترى منه بسمه، ولا ضحكة، ولا هم يحزنون! هذا الإنسان المتقي عنده ابتسامة، يمكن يأنس ويضحك إليك، لكن يُحافظ على توازن شخصيته ووقاره.

العلامة الخامسة: الإنسان المؤمن المتقي بطبيعة الحال يُؤدّي دوراً ورسالة، يبلغ.

يُخالط الناس في مساره الخاطي، أصحاب المصالح لا يرتاحون له بسبب إيمانه، لا يرتاحون له بسبب هدوئه؛ ولا يرتاحون لأنه يعيش مع المتقين، لا يُريدون شخصاً مثل هذا، فيؤذونه: الظالم يؤذيه، أصحاب المصالح يؤذونه، الجاهل يؤذونه، مَنْ يختلفون معه جهلاً أو مصلحةً أو حقداً أو حسداً يؤذونه، وما شابه؛ كيف يتعامل معهم هذا؟

يأتي يخلق له عداوات من هنا وهناك، لا، يقول ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾^(١)، يقول: «وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ» يصبر على الأذى، وفي نفس الوقت يصبر على أداء الرسالة، لا يتنازل.

ليس الصبر يعني أن يسكت عن أداء رسالته، وليس معناه أن يسكت عن إبلاغ الحق والصدع فيه؛ لا، بل يذهب يبلغ ويصدع بالحق، لكن يصبر

(١) سورة الفرقان: ٦٣.

على الأذى، ولا يخلق العداوات؛ وبالتالي يصبر من الجهتين: يصبر عما يجب
ويصبر على ما يكره، يصبر على الحق ويصبر على تحمّل الأذى في تبليغ الحق:
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾^(١) هل يكفي هذا؟

لا، لا بدّ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، حينما يتواصى بالحق ويُبلّغ الحق سيواجه
الأذية، لا يتركونه؛ يقول كلمة حق الدنيا تقوم عليه، حينما يرفض الباطل
تقوم الدنيا عليه، يأمر بالمعروف الدنيا تقوم عليه، ينهى عن المنكر الدنيا
تقوم عليه؛ هل يتراجع؟

هذا يتواصى به، يقول: فلان هذا حق ألزمه، هذا يُقيم الدنيا عليه؛ قسم
يقول: (أنت ما شأنك بنا؟ لا شغل لك، وأنت إنسان كذا!) ومن هذه
المقولات، ومن هذه القضايا؛ لكن هل هذا يجعله يأتي يتعارك مع هذا؟

لا، يصبر على هذا الأذى، وهل هذا الصبر على الأذى يعني الانسحاب؟
لا، بل يُبلّغ الحق أيضاً: «وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي
يَنْتَقِمُ لَهُ» يعني في يوم القيامة الله سبحانه وتعالى ينتقم له: هذا الذي اغتابه،
هذا الذي بهته، هذا الذي شتمه، هذا الذي سبّه، هذا الذي استنقصه يوم
القيامة الله سبحانه وتعالى ينتقم له من هذا الباغي، من هذا الطاغى، من هذا
الظالم؛ هذه علامات وسلوكيات المتقين.

نحن بحاجة إلى أن نتخلّق بتلك الأخلاق، بتلك العلامات ونعكسها، لا
نقول هؤلاء المتقين، نحن لسنا متقين، كيف لا نكون من المتقين؟

(١) سورة العصر: ١-٣.

فلنكن على طريق التقوى، إذا لم نكن من المتقين فلنبداً، ونسير على هذا الطريق، ونكون منهم؛ لماذا لا نكون من أهل التقوى؟ لماذا لا نلزم كلمة التقوى ونكون من أهلها، ونكون ممن هو أحق بها، كما يُعبر القرآن الكريم؟ حينما تلزم كلمة التقوى، وتكون أهلها وأحق بها، ندعو الله أن نكون كما كانوا أولئك من أهل التقوى والصادقين، فلنكن نحن منهم لكن ليس بالتمني، وإنما بالسعي والعمل؛ وهذه هي العلامة، وهذه سلوكياتهم.

* رؤى من هذا المقطع:

الرؤية الأولى: نحن حينما نأتي ونلزم الحق، خلافتنا ومصالحنا لا تدخلنا في الباطل؛ هذه علامة من علامات التقوى نحن نمارسها.

يعني أنا لا أدخل في الباطل إرضاءً لعائلي، لأصدقائي، لمصاحبي، لأهوائي، لشهواتي؛ تجعلني ألزم الحق، ألزم القيم؛ ليس صفقوا صفقنا معهم حتى لو كان باطلاً، طبلوا طبلنا معهم حتى لو كان باطلاً، أو كان خطأً أو ما شابه.

لا، أنا آتي أرى، حينما أدخل مع جماعة، أو أؤيد جماعة، أو أقف مع فلان من الناس، أو ما شابه؛ لا بد أن ألحظ، هل هذا هو الصحيح؛ أو لأن مصلحتي، أو أهوائي، أو شهواتي، أو أصدقائي كانوا هنا وأنا معهم، أو أن الناس كانوا وأنا أكون معهم؟ ما هو الذي يجعلني أدخل في هذا المسلك؟

أنا لا بد أن آتي ألاحظ: إذا رأيت الحق هو الذي أدخلني، الحمد لله، فالحق هو الذي أدخلني، إذا لم يكن الحق هو الذي أدخلني: مصلحة شخصية، علاقة أسرية، علاقة صداقة أو ما شابه؛ أنا لا أدخل.

لا بدّ أن نحن نلاحظ هذا: حينما نريد أن ندخل ضمن جماعة، ضمن فئة، ضمن عمل، نتخذ موقفاً مع جماعة أو ما شابه، ما هو الداعي لتبني هذه الرؤية، لتبني هذه النظرية، للانتماء لهذه الفئة، لاتخاذ هذا الموقف؟ ما هو الداعي؟ ما هو الذي دعاني أن أدخل في هذا؟

إذا كان هو الحق فنعم أدخل، أمّا إذا كانت الدواعي أخرى: صداقات، ومصالح؛ لا بدّ أن نخرج، ولا ندخل في هذا.

الرؤية الثانية: حينما تحصل أحاديث من هنا، لا أسكت عن الحق، مثلاً:

١. التزامي ضمن هذه الجماعة، قليلاً يُسبب لي حرجاً عند الجماعة الفلانية، هل أخرج وأتنازل عن الجماعة؟

لا، لا أتنازل عن قيم الدين، لا أتنازل عن الحق، لا أتنازل عن المذهب والعقيدة، مذهب أهل البيت عليهم السلام، لا أتنازل عن صداقتي مع المؤمنين، لا أتنازل عن قيم السماء، لا أخرج عن الحق، ليست عصبيةً لفلان وعلان، أنا آتي هنا وأتنازل عن الحق، أتنازل عن المؤمنين، أتنازل عن الصادقين، أتنازل عن قيم السماء إرضاءً لمصالحني، أو شهواتي، أو أسرتي، أو صداقتي، أو ما شابه؛ هذه علامة المتقي ﴿الْحَقُّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ﴾^(١).

٢. الجماعة والأصدقاء الذين معي كلّهم لم يدخلوا في هذا الطريق، أنا لا أدخل! بل أنا أدخل في هذا الطريق إذا كان الحق، كلّهم لم يدخلوا، عدم دخولهم لا يُخرجني، بيتنا كلّهم هكذا، دعهم كلّهم يدخلون، أنا لا يوجد شيء يمنعني.

(١) سورة يونس: ٣٥.

٣. مصلحتي تتطلب ألا أنتمي إلى هذه الفئة؟

لا، بل أنا أرى، أنني معها: إذا كان هذا الفكر حق أنا أثبتناه، إذا هذا الموقف حق أنا التزامه وأتخذه.

٤. أنا أنتظر وأرى الجماعة، أين يتخذون قراراً أتخذ معهم، أنا أدري أن هذا حق؛ لكن أنتظر الجماعة إذا دخلوا دخلت معهم، إذا لم يدخلوا أنا خرجت، يوجد حالات من هذا النوع!

دعونا نأتي بمثال عن هاتين المفردتين، وإن كان ليس تطبيقاً كاملاً، لكن من باب تقريب الفكرة: قضية المرجعية مثلاً، يوجد أناس ينتظرون، وقلت مرجع فلان وعلان كلاهما حق، فهنا أريد أن أبين كيف أن العقلية هي نفسها: عقلية مصالح أو عقلية التزام قيم!

وهو يدري أن هذه المرجعية أفضل بالنسبة إليه، لكن ينتظر إذا رأى هذه الجماعة لم يأخذوا بها لا يأخذها؛ مع أن المرجعية الثانية حق، لكن طريقة الدخول والخروج طريقة مصالح، طريقة أجواء، هذه الطريقة تجعله يخرج من الحق إلى الباطل.

غداً الجماعة تنحرف، يأتي ينتظر إذا انحرف الناس ينحرف معهم؛ ولهذا نحن مثلاً: لماذا نرى عند البنات قضية الموضة، وموضة باطلة مثلاً، وحتى عند الشباب تسيّبات؟

لأن هذه الفتاة ليس معيارها الحق والقيم، صديقاتها دخلوا في هذا الوادي دخلت معهم، فلماذا بأي مقدار يدخلون في الباطل، جاء لباس جديد لبسوا اللباس الجديد، لباس صحيح لباس خاطئ، لبسوه!

لاحظتم هذا الدخول في الباطل لأنّه بُعد عن التقوى، كان لباساً محتشماً اللواتي معها تركوه هي تركته، هذا خروج من الحق بهذه العقلية، أين هذه العقلية؟

الخلل في هذا التفكير: الدخول في الشيء والخروج من الشيء، ليس مبنياً على أساس حق وقيم؛ وإنما مبني على صداقة وفئوية وموضة، والناس ماذا يقولون، ومن هذا القبيل.

نحن لا بدّ أن نلتفت، أن تكون عندنا حالة الالتزام بالحق والقيم هو محورنا، ونلزم القيم مهما كانت الظروف، لا نخرج منها، ولا ندخل إلى قيم باطلة.

الرؤية الثالثة: مصلحة اجتماعية دينية تتطلب أن أسكت في هذا الموقف، ليس من الضروري أن أتكلّم، وتحدث عندي حالة نفسية؟

لا، لا بدّ أن ألتمز؛ لأنّه يوجد أناس تأتي تستفرك تريدك أن تنفعل، تستفرك؛ أنت هنا يتطلب منك أن تكون بحالة هدوء وحلم، فتصمت، فهل الصمت يدخل فيك الغم؟

لا، بالعكس لا بدّ أن أشعر بالراحة، لأنني التزمتُ طريق الحق، طريق المصلحة الدينية، بهدوء، أنا أصمت من أجل المصلحة الدينية؛ فالإنسان لا يُعرض نفسه للمخاطر من دون مصلحة دينية أكبر مما يقع عليه، فهنا يصمت، فلا يجب أن يكون عنده استعجال، وتصير عنده حالة فوضوية المهم هو يتكلّم كيف ما كان.

لا، الوضع يتطلب في هذا المجلس أن يتكلّم فلان ليس أنا الذي أتكلّم،

فلان الذي يُظهر الحق وليس أنا مثلاً، الآن يأتي اثنين من العلماء، يحدث حسد بينهم، الآن في هذا المجلس يتطلّب زميلي العالم، لأنّه أحقّ بالمجلس مني، هو الذي يكون المتحدث، أنا لا بدّ أن أصمت، وبكل رحابة صدر، لماذا؟

لأنّ الوضع يتطلّب مني أن أصمت وهو يتحدث، القضية قضية بيان حقائق، هو الآن يُبين، أنا أو هو، وهو أولى منّي، وأقدر على بيانها منّي، أنا هل لا بدّ أن آتي أتكلّم، أغتم إذا لم أتكلّم، ولا بدّ أن أكون أنا وأدير المجلس أو ما شابه؟

لا، في المجلس أهمّ شيء يكون بيان للحقائق، بينها فلان الحمد لله، أنا أصمت، انتهى؛ ما بينه فلان فيه الكفاية، فلا يتطلّب منّي أن أتحدث، هل لا بدّ أن أخرج لي رأساً؟

لا ليس ضرورياً، هذه حالة التقوى والورع عند المتّقين.

يأتي بعض الخطباء يقول المطلوب فلان، يكون المجلس والخطيب كذا وكذا؛ خلاص أنا آتي وأستمع له وأرتاح، ليس حينما يتكلّم وأنا لم أتكلّم ويصير عندي وداخلي حالة من الحسد، ومن هذا القليل!

لا، حينما يصمت ويستمع على حسب المطلب، وعلى حسب الوضع وما شابه.

فنحن أيضاً لا بدّ أن تكون عندنا هذه الروح: نتكلّم في موضع الكلام، ونصمت في موضع الصمت، ليس معناه أن نصمت في موضع الصمت، أن يأتي شخص يسكت عن إبلاغ رسالة وما شابه!

لا، بل بَلِّغ الرسالة في كلِّ مكان، يوجد أناس تقبل، يوجد أناس ترفض
وما شابه؛ لكن لا تأتي تخلق عداوات.

الرؤية الرابعة: الصمت يعني في هذا المجال المتحدث ذاك أكفأ مني يُبلغ
رسالة، هل لابد أن أتحدث حتى أكون البارز؟

لا، فلان هو الذي يكون البارز وأكون رقم اثنين، رقم ثلاثة، رقم عشرة
بعده؛ المهم القيم هي التي تبرز، أنا أبرزها أو غيري يُبرزها؛ ويوجد أناس
عندهم عقدة من هذا النوع، عند العلماء فضلاً عن غيرهم!

قبل كم يوم الجماعة يتحدثون في هذا الإطار، الآن مثلاً هذا الاحتفال
لابد أن ألقى فيه، في كلِّ احتفال لابد أن ألقى فيه، ليس له ربط؛ غيري
يتحدث، مطلوب مني أن أصمت وغيري يتكلم.

هي قضية تبليغ رسالة، كذلك في مجال الخطابة؛ لابد أن يكون لي صوت!
أو أنا أتأذى حينما أتى فلان، أقول هذه الفكرة كانت عندي، أتى ذاك قبلي
بها، أتأذى لماذا؟

القضية ليست قضية أنه لابد أن أقول الفكرة، المهم أن تُطرح الفكرة
الحسنة، الفكرة الحق، أتى بها بالعكس لابد أن أرتاح، لأن الفكرة التي كنت
أريد أن أبلغها، بُلِّغت وهناك أناس تعتقد بها، وهناك أناس وصلوا إليها
وطرحوها؛ هكذا يجب أن تكون روحيتنا.

الرؤية الخامسة: نحافظ على هدوئنا، وتوازننا، والوقار؛ صحيح هذه
نقطة مهمة، نحن في المجالس والديوانيات، لا تسمع إلا ضحكك (القهقهة)؛
لأكون قليلاً محافظاً على نفسي، يمكن أن أضحك ابتسم، إذا حدث شيء؛

لكن نحافظ على الهدوء بضحكة خفيفة، وأحافظ على شخصيتي ووقاري وما شابه.

نضحك ونستأنس، لكن لا يتضارب ذلك مع توازني، لأنّ المتقي هو الرجل الوقور الهادئ؛ الوقار ليس معناه أن أمشي مثل النملة! لا، بل عنده حركة ونشاط وهمة، لكن في مثل هذه الموارد لا نراه (يتنقز)، أو حينما يضحك على مسافة ١٠ كيلو تسمع ضحكته وما شابه.

الرؤية السادسة: طبيعة الحال حينما نبلغ رسالة، نجد هناك مَنْ يُؤذينا، هناك مَنْ يظلمنا، هناك مَنْ يغتائنا، هناك مَنْ يظلمنا، هناك مَنْ كذا؛ فلا بد أن نواصل تبليغ رسالتنا، قيماً سماوية نُبلّغها، دفاعاً عن مؤمنين نُدافع؛ نبلغ عن المؤمنين، عن قياداتنا، عن أئمتنا، في كلّ مكان؛ نبلغ الرسالة، ونتحمل الأذى.

تبليغ الرسالة لا يعني أن ندخل بالقوة ونتعارك مع الناس، لا؛ ذاك إذا أراد أن يتعارك معي، أقول له غفر الله لك: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١)، طرفنا الأمان، الله سبحانه وتعالى يحكم بيننا في يوم القيامة.

لذلك نحن بحاجة إلى أن نصدع بتبليغ الرسالة، ونصبر على تبليغها، ونأمر بالمعروف، ونصبر على الأمر بالمعروف، وننهي عن المنكر، ونصبر على الأمر بالمنكر، ونتواصى بالحق، ونصبر على التواصي بالحق، ونتواصى بالرحمة، ونصبر على التواصي بالرحمة وصلة الرحم، وما شابه.

ونتحمّل في سبيل ذلك، وفي ذات الوقت نصبر على الأذى، لا نتنازل،

(١) سورة الفرقان: ٦٣.

ولا نتعارك مع هؤلاء الذين يفهموننا خطأ أو ما شابه.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ
لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ صَلَّى اللهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطاهرين.

﴿تأملات في خطبة المتقين (٣٩)﴾

أعوذ بالله السميع العليم، من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم.
عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة المتقين، ذاكراً علامة المتقي، قال: «نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ؛ أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِأَخِرَتِهِ، وَأَرَاخَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ»^(١).

في هذا المقطع يُبين الأمير عليه السلام سلوكيات المتقي والروحية التي يتحلّى بها:

السلوك الأول: مجاهدة النفس الدائمة، وعدم إطلاق العنان لها «نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ» النفس هذه تُريد أن تنطلق لتلبية الأهواء والشهوات.

لذلك الأمير عليه السلام يقول: «إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى»^(٢)، والقرآن الكريم يُعبر بلسان النبي يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٣.

(٢) ميزان الحكمة، ج: ٢، ص: ١١٣٦.

رَحِمَ رَبِّي ﴿١﴾، هذه النفس تأمر الإنسان بالسوء: تريد أن ينطلق للأهواء، للشهوات، للاعتداء، للظلم، لارتكاب الفواحش وما شابه؛ تأمر بالسوء، تأمر بالفحشاء، تأمر بالمنكرات، تأمر بالظلم، لكن هنا ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ كيف الله سبحانه وتعالى يرحم؟

بترويض النفس: «إِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا» يعني ليلاً ونهاراً أنا أروض هذه: «بِالتَّقْوَى» ﴿٢﴾، فهذا الإنسان المتقي هو الذي يُجاهد نفسه، ويعيش في صِراعٍ حتى يغلبها.

لهذا في الروايات عن الأمير عليه السلام أيضاً:

أ. «القوي مَنْ غلب نفسه».

ب. «الشجاع مَنْ غلب نفسه».

ج. في كلمة أخرى: «مَيْدَانُكُمُ الْأَوَّلَ أَنْفُسُكُمْ، فَإِنْ قَدَرْتُمْ عَلَيْهَا كُنْتُمْ عَلَى غَيْرِهَا أَقْدَرُ، وَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْهَا كُنْتُمْ عَنْ غَيْرِهَا أَعْجَزُ» هذه النفس هي التي تأمر الإنسان بالخروج عن جادة الحق، عن طريق الحق.

لذلك الإنسان المتقي هو الذي يُجاهد نفسه، يُصارع نفسه؛ الميدان الأول، الحرب الأولى مع النفس؛ إذا كان عندك عدو خارجي، هذه النفس أنت إذا قدرت عليها تقدر على ذاك العدو؛ أمّا إذا عجزت، تعجز عن ذاك؛ فابدأ بترويض نفسك، بالسيطرة على نفسك، بإخضاع نفسك.

فبالتالي من الطبيعي الإنسان المتقي حينما يسلك هذا المسلك، تكون

(١) سورة يوسف: ٥٣.

(٢) ميزان الحكمة، ج: ٢، ص: ١١٣٦.

«نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ» لَأَنَّهَا تَرِيدُ أَنْ تَنْطَلِقَ، فَيَقْيِدُهَا.

السلوك الثاني: في المقابل «وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ» الناس يرتاحون منه، لأنه لا يعتدي على أحد، لأن النفس هي التي تأمر بالسوء، تأمر بالفحشاء، تأمر بالظلم؛ حينما يُسيطر الإنسان على نفسه ويروضها في هذه الحالة ليس عنده تجاوزات على أحد، ليس عنده اعتداء على أحد؛ بالتالي لا يمكن أن يبدر منه ما يؤذي الناس، ما يضر الناس، ما يُزعج الناس الصالحين المؤمنين السويين وما شابه.

لذلك الناس مرتاحة: لا يغتابهم، لا يمتن عليهم، لا يعترض طريقهم، لا يُشوّه سمعتهم، لا ينهب مالهم، لا يعتدي على أعراضهم، لا فواحش، لا منكرات؛ طبعي الناس يرتاحون من هذا الإنسان، لا يجدون منه أذى أصلاً.

لذلك «وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ» هذا الإنسان لماذا أتعب نفسه؟ لماذا جاهد نفسه؟ لماذا لم يفتح إلى نفسه المجال كي يتلذذ؟

لذات الدنيا فيها أنس: شراب، وطعام، وجنس، وثرثرة لسان، كلّها فيها تلذذ، يتلذذ بها الإنسان، لماذا هذا الإنسان المتقي أتعب نفسه؟

السلوك الثالث: «أَتَعَبَ نَفْسَهُ لِأَخِرَتِهِ» يوجد وراءه هدف، ليس معناه فقط هكذا، يوجد شخص يقول لك: بوذيون وما شابه، هؤلاء يُجاهدون أنفسهم، لكن للدنيا، ألا يوجد؟

هؤلاء جماعة اليوغا، رياضة اليوغا: يقومون بالرياضة، ويُسيطرون على أنفسهم، لكن للدنيا وما شابه، لا بدّ للعمل من هدف، وهدف حقيقي، هذا

حينما يتعب نفسه من أجل الآخرة، من أجل الحياة الحقيقية، من أجل رضا الرب؛ لماذا يتنازل عن اللذات؟

لأنه سيحصل على لذات مشروعة أفضل منها، وأضعاف مضعفة، فهذه لا قيمة لها أمام تلك اللذات بل أطعمة الجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ﴿مَّا يَشْتَهُونَ﴾^(١)، هذا ماذا يشتهي؟

موجود في الجنة: أطعمة، وأشربة، كل شيء.

السلوك الرابع: «وَأَرَّاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ» هذه تكرار للعبارة بل وتأكيد على: «وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ» هو أيضاً يتعب، ليس فقط تأكيد لتلك العبارة بل: «وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ» الناس مرتاحون منه: تارة الناس مرتاحة منه لعجز الإنسان، تارة هو أراح الناس من نفسه؛ قادر، بإمكانه أن يعتدي على هذا، بإمكانه أن ينهب ذاك، بإمكانه أن يعترض طريق هذا، لكن هو لا يقبل لنفسه أن يعتدي على الآخرين، لذلك «وَأَرَّاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ».

خلاصة: هذه الروح تُعَبَّرُ عن عدة معاني، دعونا نتحلَّى بها حتى نبليج درجة التقوى، ونكون في طريق الجنة.

* رَوَى مِنْ هَذَا الْمَقْطَعِ:

الرؤية الأولى: الخروج عن الأنانية الدانية: أن لا يكون الإنسان حالة نرجسية، محورية الذات، بل التفكير في الناس، في خدمة الناس، وراحة الناس؛ لا أن أرتاح على حساب راحة الناس، وأتلذذ على حساب لذة الناس، بل يُفَكَّرُ بالناس؛ لا أعتدي على أعراض الناس حتى أتلذذ، لا أنهب

(١) سورة الطور: ٢٢.

الناس حتى أتلذذ! وما شابه.

أنا أريد أن أرتاح والناس دعها تذهب لجهنم! أنا أريد أن أرتاح دع الناس تعيش الأذى! لا، هذا تفكير خاطئ، بل أنا أرتاح والناس يرتاحون، هذا لابد أن يكون بل أنا أتعب حتى يرتاح الناس، هذا هو الطريق السليم: أنا أتعب حتى يرتاح الناس.

فبالتالي أنا عندي النظرة الاجتماعية الإيجابية للناس، النظرة الشعورية المتحسّسة لآلام الناس، النظرة الطبيعية للمشاركة في إسعاد الناس؛ هذه الروح التي تبني المجتمع الإيماني، هذه الروح التي تُسبب استقرار وسكينة. حينما أفكر في سعادة غيري، في راحة غيري، وكل شخص يُفكر في المجتمع بهذه الطريقة، كُلُّنا نرتاح، كُلُّنا نرتاح اجتماعياً.

صحيح أنا نفسي مُتعبٌ لها لكن اجتماعياً مرتاحين: استقرار، وسعادة، وحب، وود، ووثام، وما شابه؛ هذه الروح لابد أن نتحلّى بها.

الرؤية الثانية: الغاية الحقيقية: التطلع للآخرة، لا أعمل وأعمل لأجل لا شيء، بل هناك آخرة أنا أسعى لها، هدفي كلّ أصدبه للآخرة ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ كلّ قدرتي من أجل الآخرة ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾^(١)، في الروايات «الكفن» قيمة الكفن هذا يكون عندك.

فبالتالي حاجيات الدنيا بقدر «قوت مَنْ لا يموت» القوت بهذا المقدار، الباقي الإنسان يُكرّسه للآخرة، الأمور يتركها ويكرّسها كلّها من أجل رضا الله.

(١) سورة القصص: ٧٧.

ليس معناها الإنسان لا يأكل ولا يشرب، ويكون التباس؛ لا، إنما الإنسان لابد أن يُوسع على عياله حتى يلتزم عياله بالدين، يُوسع على نفسه بقدر حتى يؤدي دوراً أكبر للدين؛ هذا لله، يأكل لله، قربة إلى الله تعالى، هذا الأكل للآخرة، لأنه هنا يأكل الطعام ليتقوى على العبادة، يتقوى على العمل في سبيل الله.

هذا الطعام الذي يأكله ويتلذذ فيه في هذه الدنيا، هذا قربة إلى الله، هذا للآخرة، هكذا لابد أن تكون عقليتنا؛ فإذا الجنبه الأخرى هي النظرة إلى الآخرة.

الرؤية الثالثة: مجاهدة النفس الدائمة: هذه مسألة مهمة، التربية ما هي؟ التربية: هي مجاهدة النفس، الإنسان خلق من أجل أن يُجاهد نفسه، ويُربي نفسه؛ هذا هدف من الأهداف، يقول لك ربّ نفسك بنفسك حتى تستحق الجنة؛ مع ذلك الله سبحانه وتعالى يُرسل الأنبياء، ويجعل الأوصياء وما شابه؛ ولكن يقول لك: ربّ نفسك، حتى تحظى بالجنة.

إذن نحن بحاجة إلى أن نتخلق بأخلاق المتقين: عن طريق إتعاب النفس، إتعابها: يعني السيطرة عليها، عدم الاستجابة لطلباتها، لأهوائها، لشهواتها، للذات، لا اعتدائها على الآخرين، أنا لا أستجيب للنفس؛ هذا لابد أن نتحلّى به، ليس عند أنفسنا قدرة، نستجيب لها:

أ. يا الله بدل ١٠ ريال، تأخذ ١٢ ريال؛ لا عليك منه، هذا رجل غني بدل ١٠ ريال، لماذا لا آخذ ١٢؟

ب. هذا سائق تكسي، أنا بائع خضرة، أنا بائع كذا! أنا لابد في ذهني: آخذ

حقى فقط؛ أمّا أنا أوسع على نفسى منه! هو عنده مال، دعنى آخذ منه!

نعم يُوسع على نفسه، لكن ليس من حق الآخرين؛ وهكذا أعراض الآخرين، وهكذا حقوق الآخرين؛ أنا أتعب نفسى وأجاهدها، ولا أستجيب إلى طلباتها ونزواتها، واعتداءاتها، وتجاوزها.

الرؤية الرابعة: لابدّ أن نُريح الناس، نجعل الناس تعيش في راحة منّا: جارى لا يتأذى منّي، زميل لا يتأذى منّي، صديقى لا يتأذى منّي، الذى معى فى العمل، الذى معى فى المدرسة، الذى معى فى البيت: إخوانى، أخواتى، أبى، أمى، ولدى، زوجى، زوجتى، لا أدري من هو، هؤلاء كل من هم حولى، كل من يتعامل معى، لابدّ أن لا يتأذى منى.

إذا أنا عملت -بشكل - صحيح، وذاك يتأذى من الصحيح، هنا ليست مسؤوليتى؛ الكلام أن لا يتأذى منى بفعل صحيح، أمّا إذا أنا أردت أن أفعل شيئاً: أريد أن أصلى، أبى مثلاً ليس ملتزماً، يتأذى (عمره لم يرتاح) مثلاً، هذا طريق حق، الكلام أن لا يكون عندى تجاوز.

فإذن لابدّ أن نجعل الناس يعيشون فى راحة منّا، لابدّ أن لا نقوم بعمل يؤذهم، بعمل خاطئ.

الرؤية الخامسة: بالفعل الدنيا تنتهى مهما بلغنا، مهما كنا؛ كم سنعيش فى هذه الدنيا؟

لنجعل الآخرة هى هدفنا دائماً وأبداً، رضا الله، إذا هذا صار فى ذهننا سيتبدل مسلكنا كثيراً: روحيتنا، راحتنا، ويكون اطمئنان عندنا، رضا الله يعنى الآخرة، والآخرة يعنى رضا الله، هذا لابدّ أن يكون.

أمّا الاستجابة لشهواتنا: نسعى للجو العام، أو على أساس أن يقولوا: فلان وعلان، لا ينفع، ذلك كله لا ينفع، نحن لا بدّ أن يكون هدفنا وتطلّعنا هذا العمل هل يُرضي الله؟

نعم أفعله، وأنا هدفي منه رضا الله، لا رضا فلان ولا إعلان، لا كبير ولا صغير؛ بل الهدف من الفعل، من العمل، من القول، من الحركة: هو رضا الله سبحانه وتعالى، هدفي الآخرة.

أن يُؤدي بي هذا الطريق إلى الجنة، أنا أصلي لأنّها طريق إلى الجنّة؛ أنا أقرأ القرآن لأنّه طريق إلى الجنّة، أقرأ نهج البلاغة طريق إلى الجنّة، أستمع إلى الموعدة، إلى محاضرة دينيّة لأنّها طريق إلى الجنّة، أجلس في مجلس مع المؤمنين لأنّه طريق إلى الجنّة، أصل رحمي لأنّه طريق إلى الجنّة؛ يعني بالتالي نُجهد أنفسنا لهذا الهدف، حينما نُجاهد النفس هذا الهدف، ليس لأجل أن يقول الناس كذا!

لاحظوا كثير يُجاهدون أنفسهم:

١ - هذا الذي يلعب كرة، على بالك ألا يُجاهد نفسه؟

هذا يتمرنّ في اليوم ست ساعات، بالتالي عنده أشياء متنازل عنها، هذا يُجاهد نفسه، ربما لكي يقولوا عنه: لاعب مشهور، جاهد نفسه أم لم يُجاهد نفسه؟

سؤال: ست ساعات يريدونه حتى لو ٢٤ لكن (هل له خلق)؟

ست ساعات! دائماً يقوم بالرياضة وما شابه، هؤلاء الذين ترونهم يقولون لك: فلان سجّل هدفًا، فلان في التنس، أو فلان في الطائرة؛ ست ساعات

يلعبون هؤلاء يُجاهدون أنفسهم، يعني نفسه تضغط عليه، تقول له: هذا المقدار من الساعات كافي، لكن من جهة أخرى نفسه تضغط عليه، تقول له: شهرة، لكن هذا يُجاهد نفسه ويتعب، فلا نتساهل.

٢- الذي يعمل في التجارة، من أجل جمع المال، ويصير عنده الملايين والمليارات ألا يُجاهد نفسه؟

يُجاهد نفسه، لكن لأجل المال، لأجل الدنيا.

٣- هذا الحاكم الظالم الذي لا ينام الليل ألا يُجاهد نفسه؟

يُجاهد نفسه، الآن في أمريكا: بوش أو غيره، هؤلاء ألا يجلسون الليل ويسهرون وما شابه، ويترك عطلته وإجازته، ويأتي يعقد مؤتمرات ليلاً ونهاراً اجتماعات، ألا يُجاهد نفسه؟

النفس أيضاً تريد أن ترتاح، عطلة جالس يرتاح ويتنزه! يقولون له: تعال، نفسه تقول له: تعال تنزه واترك الشغل!

عنده دعوة نفس من جهة أخرى، وهي النفس فيها صراع دخلي: بين نفسها ونفسها من جهة، أرتاح وأرح؛ ومن جهة أخرى تقول له: سلطة، والرئاسة تذهب عليك، وطغيان على هذا وظلم ذاك؛ فيُجاهد نفسه.

النفس ألا تريد أن تنام؟ ألا تريد أن تتلذذ؟ يُجاهدها، لكن لماذا؟

للسلطة، للزعامة، للدنيا؛ لهذا نحن نُجاهد أنفسنا ليس للدنيا بل للآخرة، وبالتالي نقطة مركزيّة تكون عندنا أننا نفكر في إراحة الناس من أنفسنا لا أقل، إن هذا من طرفي لا أؤذيه لا أقل؛ أنا أسعى لأن أريح هذا من نفسي،

من أذيتي، من إزعاجي، من التعدي الذي أمارسه وما شابه.

* خلاصة خَلَقِيَّاتِ الْمُتَّقِيَّاتِ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ:

وهذه خُلُقِيَّاتِ الْمُتَّقِيَّاتِ:

أ. يُجَاهِدُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِ رَاحَةِ الْآخَرِينَ.

ب. يُجَاهِدُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِ الْآخِرَةِ: رضا الله، فبالتالي خارج عن ذاتيّاته، ومحوريّة الذات.

ليس معناه الإنسان يلغي نفسه ووجوده، لا يكون؛ حتى بين الآخرين، يريح نفسه، لكن بالطريق المشروع وإلا حينما نحن نسعى حُبّاً للنفس، لأنّه يوجد نار، أنا نفسي لا أتحمل النار، هذا أيضاً للنفس، للنفس لكن في جانب آخر للمعالي، للشيء الحقيقي، وليس للشيء الوهمي، نسعى للخروج من ذاتيّتنا السليبيّة، لنخدم الآخرين، ونُريح الآخرين، ونسعى في طريق رضا الله، والهدف الجنة.

نسأل الله أن نُوفِّقَ للسيطرة وترويض النفس، وراحة الناس منّا، والتوفيق للسعي للآخرة، والتوفيق للسعي لإراحة الناس من أذيتنا؛ إنّه سميع الدعاء.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين.

﴿ تأملات في خطبة المتقين (٤٠) ﴾

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وأشرف المرسلين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

عن أمير المؤمنين عليه السلام في آخر خطبة المتقين، واصفاً صفاتهم وعلاماتهم: «بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ، وَدُنُوهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ، لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظَمَةٍ، وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ» وختم الأمير عليه السلام خطبته، أو حينما وصل إلى ذلك، صعق همام «قال: فصعق همام صعقة كانت نفسه فيها.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ.

ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا؟

فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين؟

فقال عليه السلام: وَيَحْكُ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ، وَسَبَبًا لَا يَتَجَاوَزُهُ،

فَمَهْلًا، لَا تَعُدِّ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ! ^(١).

هنا الختام بين الأمير عليه السلام أساس العلاقة التي يُقيمها الإنسان المتقي: هل هي علاقة مصالح، أم هي علاقة قيم؟

الأمير عليه السلام يبين أن المتقي يُقيم علاقته على أساس القيم، فبقدر ما يكون الإنسان مُلتزماً بالقيم، بقدر ما يكون المتقي قريباً منه؛ كلما ازداد الإنسان التزاماً بالقيم، كلما ازداد المتقي اقتراباً منه، وكلما ازداد الإنسان ابتعاداً عن القيم، ازداد ابتعاد المتقي عنه.

ولذلك يقول الأمير عليه السلام: «بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ» طبعاً لا يريد أن يصطدم هذا المتقي، لكن ليس عنده مصالح؛ يتنزّه المتقي ويرتفع عن أن يُكوّن علاقة من أجل المصالح، فزاهد في علاقةٍ مثل تلك، هذه العلاقة التي فيها مصلحة، أو هذه العلاقة مع الإنسان البعيد عن التقوى، البعيد عن القيم، يزهد فيها، الدنيا يزهد فيها، ويتنزّه ويرتفع.

وأما اقترابه من الآخر حينما يقترب من الإنسان الذي يلتزم بالقيم، يلتزم على أساس اللين، المؤمنون في علاقتهم مع بعضهم البعض: علاقة رحمة، علاقة الذلة، علاقة لين.

لهذا «لَيْنٌ وَرَحْمَةٌ» ﴿أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ ^(٢)، هناك الرحمة تكون هي أساس العلاقة بين المؤمنين: ﴿أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ويُقابلها أيضاً ﴿أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ ^(٣)، فهي «لَيْنٌ وَرَحْمَةٌ» لأن هذه علاقة مبنية على الإيمان، لأن

(١) نهج البلاغة، للشريف الرضي، تحقيق: الحسون، ص: ٤٨٣.

(٢) سورة الفتح: ٢٩.

(٣) سورة المائدة: ٥٤.

هذا يدنو منه؛ أي يزداد إيماناً وتقوى، فتكون العلاقة على الرحمة.

«لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبَرٍ وَعَظَمَةٍ» ليس تكبراً على ذاك حينما تباعد عنه، وإنما يزهد في مثل تلك العلاقة، لا يتكبر على الآخرين، ولا يتعالى على الآخرين؛ قد ابتعد عنه، يقول له: في أمان الله، أنا لست محتاجاً لك، ولا أنا مضطر أن أكون علاقة معك، فبقدر ما يبتعد عن القيم يبتعد عنه.

«وَلَا دُنُوهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ» لا اقتراب من هذا المتقي لمصلحة، أو يمكر عليه، أو يخدعه، أو يستفيد منه استفادة شخصية وما شابه؛ لا، وإنما لأن هذا قريب من القيم فيقترب منه.

إذن ابتعاده ودنوه مبني على القيم، هنا في هذه اللقطة حينما أنهى الإمام، هنا همام صعق صعقة!

صعق صعقة: أي صرخ صرخة، وأغشي عليه؛ وبالتالي انتقل إلى جوار ربّه.

«قال: فصعق همّام صعقةً كانت نفسه فيها» هذه الموعظة أثرت عليه إلى درجة أن الروح لم تبق، اشتاق همّام إلى الجنة، اشتاق إلى المؤمنين، اشتاق إلى أهل التقوى.

يعني هذه المواقف في أثناء إلقاء الإمام، وكلمة الإمام كانت تحتلج داخل نفسه، وتتفاعل؛ حينما وصل الإمام إلى هذا المقطع، لم يتحمل؛ يعني هنا كلما تحدث الإمام كلما ازداد شوقاً وتطلعاً إلى التقوى، وعقّت نفسه عن هذه الدنيا، فتعلّق بالآخرة والجنان؛ فهنا الله سبحانه وتعالى استجاب له، وأخذه إلى جواره.

«قال: فصعق همّام صعقةً كانت نفسه فيها» صعق: يعني غشي عليه، صرخ صرخةً وأغشي عليه، فكانت نفسه فيها: يعني انتقل إلى جوار ربّه، مات.

«فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «أما والله لقد كنتُ أخافُها عليه» الأمير عليه السلام يقول: أنا كنت أخاف عليه هذه اللحظة.

في البداية همّام حينما سأل الأمير عليه السلام عن المتقين، الأمير قال له: دعها عنك، لاحظ بداية الخطاب: «روي أن صاحباً لأمر المؤمنين عليه السلام يقال له همّام كان رجلاً عابداً، فقال له: يا أمير المؤمنين، صف لي المتقين كأنّي أنظر إليهم» كأنّي أراهم أمامي! الإمام عليه السلام كان خائفاً عليه من اللحظة التي صعق فيها، ماذا قال له؟

«فتناقل عن جوابه، ثم قال عليه السلام: «يا همّام، اتق الله وأحسن ف ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(١)» يعني اتق الله وكافي، لا يحتاج أن تسمع هذه الصفات.

أنت اتق الله واتكل على ربك، وسر في طريقك: «فلم يقنع همّام بذلك القول حتّى عزم عليه» هنا أصّر همّام، والإمام كان خائفاً عليه من هذه اللحظة، لأن الأمير يعرف همّاماً، ويعرف صدقه، ويعرف أثر الكلمة الطيبة عليه.

فالأمير عليه السلام يقول: «أما والله لقد كنتُ أخافُها عليه». ثم قال: «هكذا تصنع الموعظُ البالغة بأهلها» الكلمة، الموعظة؛ يسمعها

(١) سورة النحل: ١٢٨.

اثنين، واحد يتفاعل مع الكلمة، وتنعكس على سلوكيّاته؛ والآخر حسب تعبيرنا (عمك أصمخ) يوجد (عمك أصمخ) حسب تعبيرنا!

همام من النوع الذي يستقبل الموعظة، قلب نوراني، حجب مرفوعة، فبالتالي الكلمة تحترق أعماق قلبه؛ فنحن بحاجة إلى أن نكون كههم، يعني نهى أنفسنا، إذا اليوم الموعظة لا تؤثر علينا، لندعها تؤثر، تأثر علينا ١ ٪، نجعلها ٢ ٪، تؤثر ٣ ٪، نجعلها ٣ ٪.

يعني نسعى لأن نجعل الأثر أكبر، وذلك عن طريق تطهير القلب، عن طريق الخشية من الله، عن طريق التأمل في القرآن، عن طريق مراقبة النفس وما شابه؛ يعني لنهئ أنفسنا لاستقبال المواعظ، والتأثر بها، أن تنعكس المواعظ على سلوكيّاتنا، لا نسمع الكلمة من هنا ونخرج من هنا!

«ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا؟»

فقال له قائل: فما بالك يا أمير المؤمنين؟» أي أن المواعظ ماذا صنعت؟

انتقل إلى جوار ربّه، مات؛ ويبدو كان يوجد شخص ثاني هناك لم يستوعب كلمة أمير المؤمنين، لم يفهم الأمير! قال له: إذا كانت هكذا المواعظ فلماذا أنت باقي؟ لماذا الموعظة أنت لم تؤثر عليك ولم تمت؟

أنت مفترض حسب إدّعاءك: أنت أكثر تقوى، أنت أهل التقوى، أنت أب التقوى؛ فلماذا أنت لم تمت صاحب الموعظة، فالإمام قال له: ويحك!

«فَقَالَ: وَيْحَكَ، إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا» هذا يوم ساعته، الله سبحانه وتعالى كاتب له أن يموت وينتقل إلى جوار ربّه من هذه الموعظة، بهذه الكيفية، وقت مؤقت؛ أنا لم يأت وقتي، فبالتالي كل شيء له وقت.

«لَا يَعْدُوهُ» لا يمكن أن يسبقه، وقت للإنسان: يوم يموت، بعد سنة، لا يموت اليوم؛ لكن بعد سنة يموت.

«إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتًا لَا يَعْدُوهُ» لكل إنسان أجل مُؤجل لا يسبقه «وَسَبَبًا لَا يَتَجَاوَزُهُ» ويوجد سبب هو الذي يؤدي به إلى الموت، لا يمكن أن يدفع هذا السبب، أن يتجاوز هذا السبب، أن يؤخر هذا السبب.

يوجد سبب: همام سبب موته أن يكون من هذه الموعظة، فلان سبب موته أن يكون شهيداً في المعركة، فلان يكون سببه أن يأكل أكلة تُمرضه، وفلان أن يكون سببه أن تكون طعنة تطعنه وما شابه؛ لكل شيء سبب، هذا الإنسان لا يقدر أن يتجاوزه، ولا يمنعه.

«فَمَهْلًا» انتبه، وفكر فيما تقول، لا تتكلم فقط، الشيطان لا يأتي يُوسوس لك؛ انظر إلى مَنْ أمامك، فكر وتدبر الأمور، فكر فيها.

«لَا تُعْدُ لِمِثْلِهَا» يعني احترم قيادتك، ولا تُشكك فيها؛ لأن هذا يبدو صار في نفسه شيء.

الإمام عليه السلام يقول له: احذر، لا تعود لمثلها، لا تجعل الشيطان يُسيطر عليك، فكر بعقلك، أزل الحجب، لا تجعل أهواء وشهوات تحجب عنك الحقائق، وتجعل الشيطان يُوسوس إليك.

«لَا تُعْدُ لِمِثْلِهَا، فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ!» هذا الشيطان هنا جاء وكون لك غفلة، حجب قليلاً من عقلك، وترك هذه الكلمات تخرج على لسانك؛ هذه كلمات شيطانية ظهرت على لسانك، فأنت المفترض أن لا يبدرك منك هذا.

هنا إذن الأمير عليه السلام أيضاً أعطى درساً آخر بعد هذه الخطبة، في قضية الناس وتأثر الناس، في قضية لابد أن نكون من أهل الموعظة، من أهل التقوى؛ هذا جانب.

الجانب الآخر: لابد أن لا نجعل للشيطان سبيلاً علينا، لابد أن نتفكر فيما نقول، وفيما نتخذ من مواقف، لا نجعل الشيطان يأتي يتكلم كلمات جاهلية على ألسنتنا: نتكلم عن هذا المرجع، أو هذا المؤمن، أو هذا المتقي؛ أو نُسقط ذاك، أو نُشكك في هذا، لا نجعل الشيطان ينفث على ألسنتنا؛ هذا في خطبة المتقين.

وإلى هنا تنتهي الخطبة، والتعليق على الخطبة؛ إن شاء الله إذا الله أمكننا نُكمل البحث، باعتبار الخطبة بعدها أيضاً وتقابلها في صفات المنافقين؛ مثلما تعرّفنا على صفات المتقين، ونسعى لأن نتحلّى بها نتعرّف على صفات المنافقين، حتى لا نقع فيها.

إن شاء الله في الدروس القادمة نتحدث فيها عن صفات في خطبة الأمير عليه السلام يصف فيها المنافقين.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

الفهرس

٧	المقدمة.....
١١	تأملات في خطبة المتقين (١).....
١٧	تأملات في خطبة المتقين (٢).....
٢٣	تأملات في خطبة المتقين (٣).....
٢٥	تأملات في خطبة المتقين (٤).....
٣٣	تأملات في خطبة المتقين (٥).....
٣٩	تأملات في خطبة المتقين (٦).....
٤٧	تأملات في خطبة المتقين (٧).....
٥٥	تأملات في خطبة المتقين (٨).....
٦١	تأملات في خطبة المتقين (٩).....
٧١	تأملات في خطبة المتقين (١٠).....
٧٥	تأملات في خطبة المتقين (١١).....
٨١	تأملات في خطبة المتقين (١٢).....
٨٥	تأملات في خطبة المتقين (١٣).....
٩١	تأملات في خطبة المتقين (١٤).....
٩٧	تأملات في خطبة المتقين (١٥).....
١٠٧	تأملات في خطبة المتقين (١٦).....
١١٣	تأملات في خطبة المتقين (١٧).....

- تأملات في خطبة المتقين (١٨)..... ١٢٣
- تأملات في خطبة المتقين (١٩)..... ١٣٣
- تأملات في خطبة المتقين (٢٠)..... ١٣٩
- تأملات في خطبة المتقين (٢١)..... ١٤٥
- تأملات في خطبة المتقين (٢٢)..... ١٥١
- تأملات في خطبة المتقين (٢٣)..... ١٥٧
- تأملات في خطبة المتقين (٢٤)..... ١٦٥
- تأملات في خطبة المتقين (٢٥)..... ١٧١
- تأملات في خطبة المتقين (٢٦)..... ١٧٧
- تأملات في خطبة المتقين (٢٧)..... ١٨٣
- تأملات في خطبة المتقين (٢٨)..... ١٨٩
- تأملات في خطبة المتقين (٢٩)..... ١٩٧
- تأملات في خطبة المتقين (٣٠)..... ٢٠٩
- تأملات في خطبة المتقين (٣١)..... ٢١٩
- تأملات في خطبة المتقين (٣٢)..... ٢٢٣
- تأملات في خطبة المتقين (٣٣)..... ٢٢٧
- تأملات في خطبة المتقين (٣٤)..... ٢٣٥
- تأملات في خطبة المتقين (٣٥)..... ٢٤٥
- تأملات في خطبة المتقين (٣٦)..... ٢٥٣
- تأملات في خطبة المتقين (٣٧)..... ٢٥٩
- تأملات في خطبة المتقين (٣٨)..... ٢٧١
- تأملات في خطبة المتقين (٣٩)..... ٢٨٥
- تأملات في خطبة المتقين (٤٠)..... ٢٩٥